الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كليّة الآداب
قسم التاريخ



الغزو المقدوني للشرق وآثاره الحضارية
(مصر نموذجاً ٣٣٦ – ٣٠ ق.م)

أطروحةٌ مقدمة إلى جامعةِ دمشقَ
لنيلِ درجةِ الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد الطالب :
أيمن حسين مسعود التويب

إشـــراف :
الأستاذ الدكتور عبد المجيد حاج حمدان

دكتـــوراه
١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قرار لجنة الحكم على رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة

قسم: التاريخ اختصاص: تاريخ قديم / الإسلامي

استناداً إلى أحكام المادتين /١٦٣/ و/١٦٤/ من اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم الجامعات الصادرة بالمرسوم /٢٥٠/ تاريخ ٢٠٠٦/٧/١٠، وقرار مجلس الجامعة رقم/٨/١٤٣٦ بتاريخ ٢٠١٠/١/١٥ المتضمن إجراءات القيد في الدراسات العليا وتأليف لجان الحكم وإجراءات المناقشة العلنية للرسائل والأطروحات والدفاع عنها، ومنح الدرجات العلمية، وبناءً على قرار مجلس البحث العلمي والدراسات العليا رقم / / ا.م.ب.د بتاريخ / / ٢٠ القاضي بتأليف لجنة حكم على رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الطالب: أيمن حميد مسعود التويب والمعنونة بـ« الغزو المقدوني للشرق وآثاره الحضارية (مصر نموذجاً ٣٣٢-٣٠٠ ق.م) »

والمؤلفة من السادة:

اسم الدكتور	المرتبة العلمية	الصفة «عضواً / مشرفاً»
د. محمود عبد الحميد أحمد	أستاذ	عضواً
د. مصطفى الخاني	"	"
د. خليل سارة	"	"
د. عبد المجيد حاج حمدان	أستاذ مساعد	مشرفاً
د. خالد كيوان	مدرس	عضواً

اجتمعت لجنة الحكم يوم الخميس بتاريخ 9/ شعبان/ ١٤٣٢هـ الموافق لـ ٢٠١٢/٦/٢٨م، وناقشت الطالب: أيمن حميد مسعود التويب المولود في الزاوية سنة ١٩٨٠ في موضوع لنيل درجة الدكتوراه، وانتهت اللجنة بالإجماع / بالأكثرية إلى منحه درجة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية (اختصاص تاريخ قديم / الإسلامي) بتقدير امتياز. وعلامة قدرها/ ٨٩ / تسع وثمانون فقط. وذلك وفقاً لما يأتي:

أعضاء اللجنة	توزيع الدرجات		التوقيع
اسم الدكتور ومرتبته وصفته (عضواً/ مشرفاً)	تقدير الرسالة قبل المناقشة/٤٥	تقدير الرسالة بعد المناقشة/٤٥	
أ.د. محمود عبد الحميد أحمد	٤٣ أربعة وأربعون	٤٢ اثنتان وأربعون	
أ.د. مصطفى الخاني	٢٩ تسع وعشرون	٢٨ ثمان وعشرون	
أ.د. خليل سارة	٢٨ ثمان وعشرون	٤٠ أربعون	
أ.م.د. عبد المجيد حاج حمدان	٤٣ أربعة وأربعون	٤٢ اثنتان وأربعون	
د. خالد كيوان	٢٥ خمس وعشرون	٢٥ خمس وعشرون	
المعدل الوسطي للدرجة من ٩٠ / ٨٩/ تسع وثمانون			
إن تحكم بامتياز من ٩٥ درجات			
إن تحكم بشرف من ٩٥ درجات			
الدرجة النهائية من مئة (٨٩) تسع وثمانون		فقط وتقدير (امتياز)	

قرار مجلس قسم: .....

تلي قرار لجنة الحكم في مجلس القسم رقم/ / بتاريخ ٢٠١٢/٦/٢٨ إذ اطّلع على النتيجة النهائية ويقترح منح الطالب درجة الدكتوراه بتقدير( ) وعلامة قدرها/ / فقط. ورفع القرار إلى مجلس الكلية.

(ملاحظة: توزيع الدّرجات: الشّرف: ٩٥ ، امتياز: ٨٥-٩٤، جيّد جداً ٧٥-٨٤، جيّد:٦٥-٧٤، مقبول ٦٠- ٦٤)

رئيس القسم

ترفق صورة عن الهوية الشخصيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١

"صدق الله العظيم"

الإهـــداء

- إلى هادي البشرية على دروب الخير والعلم والسلام ...

سيدنا رسول الله وخاتم الأنبياء

- **إلى أبي** كنتَ وما زلتَ الأب المثالي، عطفاً وحُنواً، تربيةً وتوجيهاً، تعليماً وتفكيراً، أبي.. هذه ثمارك فلكَ حبي وقلبي وامتناني.
- إلى أمي مَن غرستِ فيَّ حبَّ العلم والفِكر، وكنتِ عنوانَ الإرادة في تصميم، والأصالة في تجديد، أمي..

- **إلى إخوتي** بكم يقرُب البعيد، ويستبين الغريب، ويتألق الفكر، وتسمو النفس، وتتضح الرؤية، أنتم نبع الحنان، وراحة الجنان.
- **إلى زوجتي** لولا حُبُّكِ، وجميلُ رعايتك، وكريمُ خلقكِ، لَما استقرت النَّفس، وطابت الروح.

- إلى واحة حُبي، وجَنّة قلبي، وراحة نفسي (زينب)، زهرة ترشُف عبق الحياة لزمنٍ ... آملُ أن تكون نجمته... **إلى ابنتي**... أنتِ الأمل.

أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي المشرف ***الدكتور الفاضل عبد المجيد حاج حمدان*** *على تشجيعه المستمر ، ورحابة صدره ، ورعايته وإرشاده المستمر ووقوفه إلى جانبي ، ولم يبخل بتقديم المعلومات القيمة ، وكل ما هو متوفر في مكتبته الخاصة في سبيل إنجاز هذا البحث الذي تبناه منذ أن كان فكرة إلى أن صار رسالة ، وبذل أقصى الجهد في سبيل إتمامه ، وإخراجه إلى النور بهذا الشكل، وأسجل شكري وتقديري* ***لأعضاء لجنة الحكم والمناقشة المحترمين،*** *لتفضلهم مشكورين بقراءة هذا المجهود العلمي المتواضع وموافقتهم على مناقشته.*

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع ***أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ*** *كلية الآداب جامعة دمشق لتفضلهم بالإجابة على تساؤلاتي وإتاحتهم الفرصة لي للمناقشة والاستفادة. كما أتقدم بخالص شكري* ***للدكتور عادل عمران زايد البركي والدكتور أشرف عمران زايد البركي*** *لما قدماه لي من مد يد العون والمساعدة، كما أتقدم بوافر الشكر للأخ* ***الأستاذ شاكر حسني شاكر*** *الذي كان له دور في المساعدة من أجل تجميع المادة العلمية وأكرر شكري* ***للأستاذ أحمد علي عبيد*** *الذي كان له وقفة مشرفة في تدقيق البحث لغويًا فله منّي صادق الشكر.*

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى جميع المؤسسات العلمية والتربوية في سورية على المساعدات التي أمدوني بها وأخص بالذكر الإخوة ***العاملين بمكتبة الأسد؛ ومكتبة الدراسات العليا*** *بكلية الآداب جامعة دمشق* ***ومكتبة آثار دمشق؛ ومركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس*** *؛ وإلى كل* ***العاملين بالمكتبات العامة في مصر .***

وفي الختام أتمنى من الله أن يحقق هذا البحث غاية ويُسهم في خدمة المادة العلمية وسد فراغ المكتبة .

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقـــدمـــــة	**١**
الفصل التمهيدي : **أوضاع مصر القديمة وبلاد اليونان قبل قدوم الإسكندر**	**١١**
أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية عن مصر القديمة	١٢
١ – الهكسوس	١٥
٢ – الليبيون في مصر القديمة	١٨
٣ – الوجود الكوشي في مصر القديمة	٢٠
٤ – الغزو الآشوري لمصر	٢٢
٥ – الغزو الفارسي	٢٣
ثانياً: لمحة جغرافية وتاريخية من بلاد اليونان	٢٧
ثالثاً: لمحة تاريخية من العلاقات المصرية الإغريقية قبل الغزو المقدوني	٣٢
الفصل الأول : **مقدونيا من زعامة بلاد اليونان إلى التوسع والسيطرة في عهد الإسكندر**	**٣٧**
أولاً: زعامة مقدونيا لبلاد اليونان	٣٨
ثانياً: الإسكندر المقدوني (الولد والنشأة وتولي العرش)	٤٦
ثالثاً: الإسكندر المقدوني واستعدادات الحملة	٥٣
الفصل الثاني : **مراحل سير حملة الإسكندر حتى دخوله مصر**	**٥٩**
أولاً: آسيا الصغرى وموقعة إيسوس	٦٤
ثانياً: سورية وفينيقيا	٧١
ثالثاً: تنظيمات الإسكندر التي وضعها في آسيا الصغرى وسورية وفينيقيا	٧٤
رابعاً: دخول الإسكندر لمصر	٧٥
خامساً: غزو ما وراء الفرات والهند	٨٥
سادساً: الفكر الحضاري عند الإسكندر وظهور فكرة السيطرة العالمية	٩١

الموضوع	الصفحة
سابعاً: نهاية الحملة ووفاة الإسكندر	٩٤
الفصل الثالث : **البطالمة ورثة الإسكندر في مصر**	**٩٨**
أولاً: الخطوات الأولى لإنتقال الحكم من الإسكندر إلى البطالمة	١٠٢
مؤتمر بابل	١٠٢
الصراع بين برديكاس ومناهضيه	١٠٣
الصراع بين برديكاس وبطليموس الأول	١٠٤
مؤتمر تريبارادیسوس	١٠٦
ثانياً: ملوك البطالمة	١٠٧
بطليموس الأول	١٠٧
بطليموس الثاني	١١٠
بطليموس الثالث	١١٣
بطليموس الرابع	١١٦
بطليموس الخامس	١١٨
بطليموس السادس	١٢٠
بطليموس السابع	١٢٣
بطليموس الثامن	١٢٣
بطليموس التاسع	١٢٥
بطليموس العاشر	١٢٦
بطليموس الحادي عشر	١٢٨
بطليموس الثاني عشر	١٢٨
كليوبترا السابعة	١٢٩
معركة آكتيوم وسقوط حكم البطالمة	١٣١
ثالثاً: علاقات البطالمة الخارجية مع السلوقيين والرومان	١٣٤
رابعاً: برقة في ظل الحكم البطلمي	١٤١
خامساً: مصر ولاية رومانية	١٤٥

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : **مصر والحضارة الهلينستية (الآثار الحضارية)**	**١٥٢**
أولاً: معالم النظم والحضارة المصرية في العصر الهلينستي	١٥٢
١ – تكوين المجتمع	١٥٢
٢ – النظم الاقتصادية	١٥٦
آ – الزراعة	١٥٦
ب – التجارة	١٦٢
ج – الصناعة	١٦٦
١ – صناعة الزيوت	١٦٦
٢ – صناعة المنسوجات	١٦٧
٣ – صناعة الجعة والنبيذ	١٦٨
٤ – صناعة الورق	١٦٩
د – النقـــل	١٧٢
هـــ – انتشار العملة البطلمية	١٧٣
٣ – الحياة الثقافية والدينية	١٧٤
دور المسرح السكندري	١٧٨
ثانياً: إيجابيات العصر الهلينستي وخصائصه	١٨١
انتشار التعليم	١٨٢
آ – المتحف (دار العلم)	١٨٢
ب – المكتبـــة	١٨٤
المرأة في العصر الهلينستي	١٨٤
ثالثاً: سلبيات العصر الهلينستي	١٨٦
سخاء الأغنياء وقلة الأجور	١٨٦
اضطرابات اجتماعية	١٨٦

الموضوع	الصفحة
الخـــاتمـــــة	**١٨٩**
قائمة المصادر والمراجع	**١٩٦**
الملخصSummary	**٢١٤**
قائمة الخرائط والأشكال	**٢٢٠**
أولاً: الخرائط.	٢٢١
ثانياً: الأشكال.	٢٢٩

ملحق الخرائط

رقم الخريطة	الخريطة	الصفحة
خريطة (١)	خريطة مصر القديمة	**٢٢١**
خريطة (٢)	خريطة تبين حدود الإمبراطورية الفارسية قبل إنهيارها	**٢٢٢**
خريطة (٣)	خريطة توضح بلاد اليونان القديمة	**٢٢٣**
خريطة (٤)	خريطة توضح توسط الإسكندرية للعالم اليوناني القديم	**٢٢٤**
خريطة (٥)	خريطة تبين موقع جزيرة فاروس	**٢٢٥**
خريطة (٦)	خريطة تبين اتساع إمبراطورية الإسكندر	**٢٢٦**
خريطة (٧)	خريطة تبين انقسام إمبراطورية الإسكندر عقب وفاته	**٢٢٧**
خريطة (٨)	خريطة تبين مراكز إشعاع الحضارة اليونانية القديمة	**٢٢٨**

ملحق الأشكال والجداول

رقم الشكل	الشكـــــل	الصفحة
شكل (١)	شكل تخطيطي يوضح تفاصيل معركة خايرونيا	**٢٢٩**
شكل (٢)	شكل يوضح الملك فيليب الثاني وابنه الإسكندر المقدوني أمام الإله زيوس	**٢٢٩**
شكل(٣)	بوسانياس يطعن فيليب الثاني المقدوني والد الإسكندر حتى الموت	**٢٣٠**
شكل(٤)	الإسكندر وأرسطو في مجلس العلم	**٢٣١**
شكل (٥)	منحوتة لرأس الإسكندر في مطلع شبابه من المتحف البريطاني	**٢٣١**
شكل (٦)	الإسكندر المقدوني في صغره يروض بوسيفالوس الحصان الجامح	**٢٣٢**
شكل (٧)	الإسكندر وجيشه ينهبون طيبة عقابا لها على العصيان	**٢٣٣**
شكل (٨)	صورة لداريوس الثالث الفارسي يفر من إحدى المعارك ضد الإسكندر المقدوني	**٢٣٣**
شكل (٩)	صور المشتعلة أثناء حصار الإسكندر لها	**٢٣٤**
شكل (١٠)	حصار الإسكندر لصور وجسر الردم الذي وصل به القسم القديم البري بالقسم الجديد البحري من المدينة	**٢٣٤**
شكل (١١)	الإسكندر يشرف على رسم حدود ووضع أساسات مدينة الاسكندرية	**٢٣٥**
شكل(١٢آ)	جدول رقم (١) يوضح مساحات الشوارع العرضية على مستوى أحياء مدينة الاسكندرية البطلمية	**٢٣٦**
شكل(١٢ب)	جدول رقم (٢) يوضح مساحات الشوارع الطولية على مستوى أحياء مدينـــة الاسكندرية البطلمية	**٢٣٦**
شكل (١٣)	صورة فوتغرافية لمنارة الإسكندرية	**٢٣٧**
شكل (١٤)	الإسكندر يدخل بابل على عربة داريوس الثالث الفارسي	**٢٣٧**
شكل (١٥)	الإسكندر يتفقد جثة داريوس الثالث الفارسي	**٢٣٨**
شكل (١٦)	الإسكندر يقطع العقدة الغوردية	**٢٣٨**
شكل (١٧)	جنود الإسكندر يتوسلونه للرجوع إلى الوطن	**٢٣٩**
شكل (١٨)	الإسكندر على فراش الموت وقد أحاطت به زوجاته وجنوده ورفاق دربه	**٢٣٩**

رقم الشكل	الشكـــــل	الصفحة
شكل (١٩)	شكل يوضح تعاقب ملوك البطالمة على حكم الدولة البطلمية	**٢٤٠**
شكل (٢٠)	صورة تمثال لبطليموس الأول مؤسس الدولة البطلمية في مصر	**٢٤١**
شكل (٢١)	صورة لبطليموس الثاني	**٢٤٢**
شكل (٢٢)	صورة لبطليموس الثالث	**٢٤٢**
شكل (٢٣)	صورة لكليوبترا السابعة	**٢٤٣**
شكل (٢٤)	صورة لتمثال الإله سرابيس	**٢٤٣**
شكل (٢٥)	صورة لتمثال الإلهة ايزيس	**٢٤٤**
شكل (٢٦)	صورة لتمثال الإله اوزريس	**٢٤٤**
شكل (٢٧آ)	نماذج من العملة البطلمية عليها صور لبعض ملوك البطالمة	**٢٤٥**
شكل (٢٧ب)	نماذج من العملة البطلمية عليها صور لبعض الحيوانات	**٢٤٥**

المقدمة

مقـــدمـــة

لم يكن الشرق القديم يوماً أجنبياً بسبب احتلال أجنبي مهما طالت إقامتهُ ومهما كان جبروتـــه، بل لم يتعد ذلك شكل وأسلوب الإدارة العليا للبلاد المحتلة، سواء أكان ذلك في مـــصر أم في ســـورية القديمتين، ولاسيّما داخل عاصمة الحكم، حيث كانت لغة الإدارة المركزية وصورها وأدواتها ومناصبها آنذاك أجنبية؛ أي «مقدونية» بينما ظل كل شيء ما عدا بقية أقاليم الشرق القديم على اتساع رقعتها، كما كان قبل الاحتلال المقدوني سواء كان في عاداته وتقاليده أم في دياناته ومعبوداته أم في لغة تعاملـــه اليومية بين فئاته أم في أسلوب إدارته المحلية الداخلية. ومن ثم فإن لفظة هلينستي أخذت عند الكثير مـــن الباحثين مجالاً أوسع مما هي عليه حقيقة فمن المعقول هو أن نطلـــق تلـــك اللفظـــة علـــى عواصـــم الشرق الخصوص.

يمثل الغزو المقدوني أقدم غزوة خارجية منظمة حققت أهدافها باحتلال الشرق القديم، واستغلاله اقتصادياً لصالحها، فعلى الرغم من نجاحها العسكري السياسي ظل تأثيرها الحضاري سطحياً لا يتعدى عواصمها ومراكز حكمها الرئيسة مثلما كان الحال في الإسكندرية في مصر، وأنطاكيـــة في ســـورية، وبابل في العراق، بينما نجد العكس تماماً من جانب آخر حيث كان التأثير الشرقي هو الـــذي يفـــرض نفسهُ في كثير من الأحيان و لم يكن ذلك بقوة الفتح والسلاح، فقد سلم الكثير من المقدونيين أنفـــسهم لتراث الشرق الضخم وذابوا في طياته، فراحوا يلتمسون فيه مخرجاً لإمبراطوريـــة مترامیـــة الأطـــراف يحكمونها بقوة السلاح، ولا يملكون الوسيلة لضمان سلطانهم وسيادتهم غير ذلك، ولهذا لجؤوا إلى كـــل الأساليب السياسية؛ لتحقيق نوع من الوحدة السياسية تحت إمرتهم فلجأ الإسكندر بتأثير عادات الشرق القديم في تقديس ملوكهم ورفعهم إلى مصاف الآلهة، فأقدم على تأليه نفسه مما أثار عليه حنـــق رفاقـــه وحاولوا عدة مرات التخلص منهُ. ثم أوجد لغة سهلة مبسطة من اليونانية القديمة سماهـــا «الكـــويني» Quiny؛ أي اللغة المشتركة، ليجمع عليها شعوب كل إمبراطوريته، كما أوجد بطليميوس الأول بعد أن استقل بمصر دون بقية الإمبراطوريات المقدونية ديانة جديدة هي عبادة «سيرابيس» (Serapeis) ، وخرج بها على المصريين الذين لم يقتنعوا بها وفشلت فشلاً ذريعاً في الداخل، و لم نسمع بها إلا في وثائق قليلة ونقوش خارج الحدود المصرية، أو في سجلات الدولة الرسمية فقط.

يجمع المؤرخون على اعتبار سيرة الإسكندر الأكبر كانت، إيذاناً بعهد جديد في الشؤون البشرية، ليس لأنها ضمت شتات العالم المعروف آنذاك فحسب، بل لأنها جعلت منهُ قلباً واحداً ينبض ليـــوزع تحركات سكانية وتغيرات تاريخية في محاور مختلفة الخصائص أيضاً، ولأن الإسكندر كما يُعتقـــد كـــان

يؤمن بقيام الوحدة بين البشر جميعاً، فوجد في الإسكندرية المكان المثالي الذي يمكنهُ فيه أن يجمع أطياف إمبراطوريته التي تمتد من بلاد اليونان إلى الشمال الإفريقي وجنوبي قلب آسيا، ومن ثم جاء مجتمع الإسكندرية منذ بداية تكوينه؛ تجسيداً لفكرة المدنية العالمية التي تحتوي أجناساً شتى، وتصهرها في بوتقة إنسانية وحضارية واحدة، فكثير من المصريين نقلوا اللغة اليونانية، واتخذوا لأنفسهم أسماء يونانية، و لم يجدوا صعوبة في الاستفادة قدر الإمكان من الأوضاع الجديدة المتغيرة.

ولكن هل ذلك هو ما قد ألم بالأوضاع الاجتماعية بمصر عامة والإسكندرية خاصة ؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل توفر مجالاً خصباً وواسعاً تتبارى فيه الآراء التي تحاول أن تثبت إحدى الكفتين أو ترجحها ، وهذا بالفعل ما حاولهُ الكثير من الباحثين للعمل على التقليل من قيمة الثقافة اليونانية ومدى سعتها وانتشارها وأثرها على الثقافة المصرية، رغم أن تلك الأمور في اعتقادي من الأشياء التي ليست في حاجة إلى اجتهاد. وأياً كان الأمر فلقد جاءت حضارة الإسكندرية البطلمية لتتلو مراسم تأبين الحضارة المصرية، وهي في طريقها إلى الذبول في ظل نقلة سياسية لم تتح لمصر فرصة تقرير المصير.

إن دارسي التاريخ القديم بصفة عامة يعتمدون في أغلب الأحيان على ما استجد من دراسات علمية من أجل إثبات، أو دحض بعض المعلومات التي كان يعتريها الغموض وكثيراً ما تكون مبهمة، مما يضطرهم إلى السعي حثيثاً من أجل انتقاء ما كان أجود وأدق من المصادر التاريخية ومحاولة استغلالها الاستغلال الأمثل، للكشف عن خفايا عصر من العصور أو مرحلة من المراحل، فأصبح الاجتهاد في الرأي السمة الأساسية التي تميزت بها معظم كتابات التاريخ القديم، ومن ثم فإن اختلاف الآراء يولد آراء جديدة بالمقارنة، ولاسيّما إذا كانت المنطقة المدروسة (مصر القديمة) التي كثرت الكتابات حولها حتى أصبح من الصعب الجزم برأي دون الآخر، لكن مع ذلك تبقى بعض الأمور واضحة لا غموض فيها وكثيراً ما اتفق عليها معظم الباحثين ، وإذا كان الأمر يتعلق بتاريخ الإسكندر المقدوني في الشرق عامة ومصر خاصة والفترة – المرحلة التي تليه حتى مجيء الرومان، فإن الأمر يحتاج منا إلى الوقوف عند كل صغيرة وكبيرة، ولاسيّما أن تلك المرحلة حملت في طياتها أعمالاً مثلت نقطة تحول جعلت من العالم الشرقي بحضاراته العريقة يمتزج امتزاجاً واضحاً بما أتى به ذلك العنصر الوافد من ثقافات، فانصب اهتمام الباحثين على تأكيد أو نفي قضية أثارت جدلاً واسعاً تخص هذه المرحلة التاريخية، ألا وهي قضية تأثر الحضارة الفرعونية بالحضارة الوافدة والعكس.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في محاولة التعرف على العامل الأساسي، والحقيقي وراء تطلع مقدونيا اثناء مرحلة حكم الإسكندر إلى السيطرة على الشرق. فهل كان الإسكندر قد اعتمد في دخوله للشرق ولاسيّما مصر على عوامل مساعدة ثقافية ودينية للوصول إلى مبتغاه؟ مع العلم أن المرحلة الفارسية التي سبقت مجيء الإسكندر طغت سلبياتها بشدة وبصورة واضحة في مصر؛ فكان لسكانها اليد الطولى التي ساعدت الإسكندر ظناً منهم أنّه السبيل للنجاة، فاستغل الإسكندر العامل النفسي؛ للوصول على أطماعه وتحقيقها.

وهنا يمكننا أن نضع مجموعة أسئلة يمكن طرحها خلال هذا البحث والتي تمثل تقسيمات الدراسة الأساسية فجل الدراسات مبنية على التساؤلات ومن جملتها:

- هل حقاً كانت حملة الإسكندر الأكبر على الشرق تستهدف فقط تأديب الفرس والانتقام منهم، أم أن هناك أسباباً أخرى دفعتهُ لذلك؟
- هل كانت حملة الإسكندر حملة قومية لحساب الشعب اليوناني كله، أم هي حملة شخصية لحساب العنصر المقدوني صاحب الفكرة ومنفذها؟
- هل تجاوبت مدن اليونان في الأساس مع فكرة مزج حضاراتها بما كان موجوداً في الشرق؟ ذلك إذا ما وضعنا أن هدف الحملة كان حضارياً بكل جوانبه الثقافية.
- هل استوعب الشرق تلك الحضارة الوافدة من بلاد اليونان، ومنها مصر وتجاوب معها أم أن قوة الحضارة الشرقية والمصرية تحديداً كانت سبباً في رفضها؟
- هل نجحت الحملة في تحقيق أهدافها غير الواضحة في الأساس؟
- هل نجحت فكرة السيطرة العالمية لدى الإسكندر، أم أن خلفاءه أضاعوها؟

كل هذه التساؤلات وغيرها يمكن طرحها ومحاولة الإجابة عنها، من أجل إثراء هذا البحث وإضفاء الأهمية عليها.

أهمية البحث وأهدافه :

إن أهمية هذا البحث تكمن في محاولة الكشف عن الدوافع الحقيقية التي دعت القوة المقدونية إلى تسليط أنظارها صوب الشرق، والبحث عن العوامل المساعدة التي دفعت الإسكندر للإسراع في إعداد العدة من أجل تحقيق أهدافه الاستعمارية . إنّ اختيارنا لمصر أنموذجاً في هذا البحث يتطلب منّا أن نعطي الجزء الأكبر من الأهمية لهذا الإقليم الذي طالما تدافعت العديد من القوى الاستعمارية للسيطرة على مقدراته، وعليه اختلفت أسباب قدوم تلك القوى إلى ذلك الإقليم بين سياسي واقتصادي وإقليمي «جغرافي»، المهم أن إيجابيات تلك المراحل الاستعمارية لم تكن أكثر من سلبياتها مقارنة بالمرحلة الهلينستية التي حاول فيها الإسكندر المقدوني أن يمزج ما أتى به من بلاد اليونان من ثقافات مختلفة بما كان موجوداً في منطقة الشرق، ولاسيّما مصر المزدهرة بعلومها وثقافاتها، ونقصد بالثقافات كل المظاهر الحضارية المختلفة، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية ودينية.

وبغض النظر عما هو موجود من مصادر ومراجع خاصة بدراسة موضوع البحث، فإن هذه الحقبة التاريخية من تاريخ الشرق عامة ومصر خاصة لم تتعرض لدراسات أكاديمية وافية، وعليه فإن وضع هذه المرحلة في إطار دراسة أكاديمية هو السبب الذي دفع الباحث هنا لاختيار موضوعه هادفاً من ورائه الآتي:

١ – التعرف على ماهية الغزو المقدوني للشرق، والكشف عن بعض خفاياه ومحاولة الكشف عن السبب الحقيقي وراء غزو الإسكندر للشرق عامة ومصر خاصة.

٢ – إعطاء ولو صورة مبسطة عن أوضاع الشرق خصوصاً في مصر القديمة وعلاقتها ببعض القوى ولاسيّما مع بلاد اليونان قبل غزو الإسكندر.

٣ – تحليل ما جاء في بعض الكتابات والعمل على نقدها، ولاسيّما الغربية منها التي انحازت أيما انحياز إلى حضارة اليونان بوصفها الحضارة الأقوى، والعمل على تصحيح ذلك المفهوم، بأن الحضارة الشرقية والمصرية خاصة، لم تكن ضعيفة بالقدر الذي لا يؤهلها للتأثير في غيرها من الحضارات الوافدة.

٤ – البحث في أسباب تدخل الرومان في مصر، مرحلة الصراعات بين أبناء البيت المالك والعمل الروماني الدؤب من أجل ضم مصر إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية.

٥ – إبراز أهم إيجابيات الغزو المقدوني وسلبياته وخصائصه في مصر باعتبارها مجال دراستنا المكاني.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على المنهج العلمي التاريخي الوصفي والتحليلي واستخدام أدواته بالشكل الأمثل ونقصد بها المصادر بشتى أنواعها، سواء كانت مصادر كلاسيكية أدبية قديمة أم مصادر عربية أم مراجع عربية ومعربة وأجنبية باعتبار أنها جاءت توابع تفسيرية لما جاء في المصادر، غير أنها تعبر في كثير من الأحيان عن آراء أصحابها، كذلك الاعتماد على مقارنة الدراسات ببعضها في بعض المواضع للخروج بأفكار جديدة تصب في مصلحة البحث العلمي وتخدم أهدافه، كما أن تتبع الأحداث التاريخية وترتيبها ترتيباً زمنياً صحيحاً دون تقديم أو تأخير يعد من دواعي البحث الأساسية، كذلك تحري المصداقية الكاملة في نقل المعلومات والابتعاد عن الإسهاب الممل والتقليل المخل.

تقسيمات البحث:

قسم هذا البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول أساسية وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وملحقات للخرائط والأشكال.

- جاء الفصل التمهيدي بعنوان أوضاع مصر القديمة وبلاد اليونان قبل قدوم الإسكندر وضم ثلاثة محاور أساسية وهي:

أولاً – لمحة جغرافية وتاريخية من مصر القديمة.

ثانياً – لمحة جغرافية وتاريخية من بلاد اليونان.

ثالثاً – لمحة تاريخية من العلاقات المصرية الإغريقية قبل الغزو المقدوني.

بينما جاء الفصل الأول بعنوان مقدونيا من زعامة بلاد اليونان إلى التوسع والسيطرة في عهد الإسكندر وضم أيضاً ثلاثة محاور أساسية:

أولاً – زعامة مقدونيا لبلاد اليونان.

ثانياً – التعريف بالإسكندر (حياته – نشأته – توليه العرش).

ثالثاً – الإسكندر الأكبر وإعداد الحملة لغزو الشرق.

ثم جاء الفصل الثاني معنوناً بمراحل سير حملة الإسكندر حتى دخوله مصر وقُسم كالآتي:

أولاً – آسيا الصغرى وموقعة إيسوس.

ثانياً – سورية وفينيقيا.

ثالثاً – تنظيمات الإسكندر التي وضعها في آسيا الصغرى وسورية وفينيقيا.

رابعاً – دخول الإسكندر لمصر.

خامساً – غزو ما وراء الفرات والهند.

سادساً – الفكر الحضاري عند الإسكندر وظهور فكرة السيطرة العالمية.

سابعاً – وفاة الإسكندر ونهاية الحملة.

أما الفصل الثالث، فعنوانه بالبطالمة ورثة الإسكندر في مصر وأهم محاوره:

أولاً – الخطوات الأولى لانتقال الحكم من الإسكندر إلى البطالمة.

ثانياً – ملوك البطالمة.

ثالثاً – علاقات مصر الخارجية مع السلوقيين والرومان.

رابعاً – برقة في ظل الحكم البطلمي.

خامساً – مصر ولاية رومانية.

في حين كان عنوان الفصل الرابع مصر والحضارة الهلينستية (الآثار الحضارية): وجاء في محاوره:

أولاً – معالم النظم والحضارة المصرية في العصر الهلينستي:

١ – تكوين المجتمع.

٢ – النظم الاقتصادية.

٣ – الحياة الثقافية والدينية.

ثانياً – إيجابيات العصر الهلينستي في مصر وخصائصه.

ثالثاً – سلبيات العصر الهلينستي.

- الخـــاتمـــة.

- الملاحـــق.

- أولاً : الخرائط.

- ثانياً : الأشكال.

أهم المصادر الأدبية الكلاسيكية المعتمدة في الدراسة:

– هيرودوتس / Herodotos (٤٨٤ – ٤٢٠ ق.م):

مؤرخ إغريقي ولد في هاليكارناسوس (Halekarnassus) في آسيا الصغرى أو على سواحلها، حيث قام في مرحلة من المراحل بزيارة مصر القديمة وبرقة، وكان في جل رحلاته يهدف من ورائها جمع أكبر قدر من المعلومات عن الصراع الفارسي الإغريقي، و لم تقف زياراته عند مصر وبرقة فقط، بل تعداها ليجوب كل بلاد الإغريق وآسيا الصغرى وسورية وصقلية وبلاد ما بين النهرين أيضاً، ولقد شكك العديد من الباحثين في دقة المعلومات المستقاة من مؤلفات هيرودوتس، بحجة أنهُ يعتمد على الراوية الشفهية دون غيرها من مصادر المعلومات، فلم يكن في كثير من الأحيان شاهد عيان بل تعدى ذلك ليكتب عن مراحل سابقة لزمانه، وضم كل ما كتبهُ في كتابه «History».

– بوليبيوس (Polybius) (٢٠٠ – ١٢٠ ق.م):

ولد في ميجالوبوليس (Megalopolies) اتسمت كتاباتهُ أن جلها كان عن الإمبراطورية الرومانية على الرغم من أنهُ يوناني الأصل، ويمثل تاريخهُ المكتوب والمدون باليونانية أهم المصادر التاريخية عن الإمبراطورية الرومانية، ولاسيّما في المرحلة ما بين بداية الحرب البونية الثانية ومنتصف القرن الثاني. وفي مرحلة الحروب الرومانية المقدونية أُخذ بوليبيوس أسيراً مع عدد كبير من بني جلدته إلى روما، مما أتاح لهُ فرصة الاحتكاك بالرومان، ودراسة أوضاعهم من عدة جوانب واحتك بأشهر أقطابهم، والجدير بالذكر أن معظم كتابات بوليبوس، لم تصل إلينا كاملة إلا القليل منها أما الجزء الأكبر منها لم يصلنا إلا على صورة نصوص نقلها إلينا من جاء بعدهُ مثل ديودورس وبلوتارخوس وغيرهم.

– بلوتارخ / Plutarch (١٢٠ – ٤٦ ق.م):

ولد في خايرونيا في مقاطعة بيوتيا وسط بلاد اليونان، واسمهُ الكامل لوكيوس مستريوس بلوتارخوس (Lucius Mesterius Plutarchs) زار الإسكندرية وكتب عنها زمن البطالمة؛ لذلك فهو مصدر مهم من مصادر بحثنا، فهذا المؤرخ تلقى تعليماً عالياً في عاصمة اليونان القديم أثينا، وزار في مرحلة من المراحل روما وكورنثه. اشتغل في الكهنوتية في دلفى مقر معبد الإله أبولو (Apollu)، وبقي كذلك حتى وافاه الأجل، ومن أهم مؤلفاته إيزيس وأوزريس.

– ديودورس الصقلي (Diodorus Siculus) (٩٠ – ٢١ ق.م)

ولد في صقلية في مدينة أجيريوم، (Agerum) كذلك لم تصلنا معظم كتابات هـذا المـؤرخ كاملة، تناول تاريخ ديودورس معظم بلدان العالم القديم مثل مصر وبلاد النهرين وشبه الجزيرة العربيـة والهند وشمالي إفريقيا، واليونان وروما، وحروب طروادة، وجزء ليس باليسر من العصر الهلينستي، وقد عاصر هذا المؤرخ الإمبراطور يوليوس قيصر وأوكتافيوس أغسطس، واعتمد في استسقاء معلوماته ممـن سبقوه في التأريخ أمثال بوليبيوس وبوسيدونيوس. (Posedonus)، وقد كان ديودورس من أعظـم المؤرخين في العصر الهلينستي حيث ألف أربعين كتاباً عن تاريخ العالم سماها (Bibliotheke)، وهو مصدر رئيس في عهد يوليوس قيصر.

– سترابو (Strabo) (٦٣ ق.م – ٢٤ م):

ولد في آسيا الصغرى في مدينة أماسيا، (Amasya) كان كثير المعرفة بالجغرافيا على الرغم من ميوله الأدبية، تجول في كثير من بلدان العالم القديم وكتب عنها معلومات جغرافية كثيرة، من بين هـذه البلدان، آسيا الصغرى ومصر وبلاد الإغريق وروما، غير أن بعض كتاباته فقدت و لم يصلنا منها شـيء مثل «الملاحظات التاريخية».

ويمثل كتاب «الجغرافيا» أهم مدونة باليونانية في العصور الكلاسيكية وهي من سبعة عشر جزءاً، تحدث فيها واصفاً العديد من مناطق العالم القديم.

– فيلون السكندري، (Philon) (١٥ ق. م – ٥٠م).

كان فيلون عضواً في أحد الجاليات في الإسكندرية، لكن المعروف عن حياته قليل جداً، ومـا نعلمهُ عنهُ هو أنهُ في عام ٤٠م كان رئيساً للوفد السكندري إلى الإمبراطور الروماني كاليجولا، وقـد ذكر ذلك في كتاباته التي حاول الربط فيها بين الفلسفة اليونانية للفلاسفة، فيثاغورس وأفلاطون وبين الحكمة الدينية للعهد القديم، وكان هذا الفيلسوف يوناني الطابع وكانت لغتهُ الأم هي اللغة اليونانية، وكان ضليعاً في الفلسفة اليونانية والثقافة، وقد حاول أن يجد أي علاقة بين الثقافة اليونانية والثقافات الأخرى بواسطة الفلـسفة والـدين، وقـد قـدم وصـفاً للمدينـة القديمـة في بدايـة العـصر الإمبراطوري الروماني.

- يوسيفوس فلافيوس (Josephus Flavius) (٣٧ – ١٠١ م)

هو مؤرخ اسمه الكامل يوسف بن ميتاس، كان شديد الوله بالملاحم العسكرية، فكان دائماً يرافق الحملات العسكرية؛ ليؤرخ لها صاحب يوسيفوس الجيش الروماني في حصاره للقدس عام ٧٠م، واستقر به المقام في ربوع الإمبراطورية الرومانية بعد أن عاد مع تيتوس (Tetus) إلى روما إثر هزيمة اليهود، كانت معظم كتاباته ومؤلفاته باليونانية.وبعد سقوط بيت المقدس على يد الرومان ألف يوسيفوس كتابهُ المشهور (Bellum Judaicuw) الذي كتبهُ بالآرامية ثم ترجمهُ إلى اليونانية.

- أريان Arrian:(٨٦ – ١٦٠م).

مؤرخ روماني من عرق إغريقي ولد في نيكوميدية (Nekomedia) عاصمة بيثينية، (Pethenia) الواقعة شمال غربي تركيا اليوم، ويؤكد بعض الباحثين أن أصلهُ يوناني، واسمهُ (Lucius Flavius Arrianus).

اشتغل مستشاراً لأحد حكام مقاطعات بلاد اليونان وبالتحديد حاكم آكيا الواقعة جنوبي اليونان حالياً، ويقال بأن صداقة حميمة كانت تجمعهُ بالإمبراطور هدريان، (Hadrianus) ١١٧ – ١٣٨ م، ويقال أيضاً بأنهُ اشتغل في بلاد الغال على حدود الدانوب قبل أن يصبح قنصلاً ويتم تعيينه حاكماً لإقليم كبادوكية، (Kabadokia)، ومما يدل على أن أصولهُ إغريقية نجد أن معظم مؤلفاته التي جمعها في كتابه كانت باللغة الإغريقية ومن أهم مؤلفاته التي تهم بحثنا خاصة كتابه عن حملة الإسكندر (Anabasis of Alexander). أما معظم مؤلفاته فكانت ذات طابع عسكري بحت؛ لأنهُ يمثل صلب عمله في تلك المرحلة.

- ديوكاسيوس (Dio cassius) (١٥٠– ٢٣٥م).

هو مؤرخ يوناني ولد في ١٥٠م في مدينة نيكايا (Nekaia) في بيثينية (Pethenia) وينحدر من أسرة عريقة، توفي في ٢٣٥م وقد تولى وظيفة القنصل الروماني في عام ٢٢٩م وكان صديقاً للبيت السيفيري الحاكم (نسبة إلى سيفيروس) ومن أهم مؤلفاته التاريخ الروماني الذي يقع في ثمانين كتاباً، ويتناول فيه تاريخ روما منذ تأسيسها وحتى عام ٢٢٩م تحت حكم إسكندر سيفيروس، وقد أطلق عليه اسم (Cocceianus) في العصر البيزنطي.

الفصل التمهيدي

أوضاع مصر القديمة وبلاد اليونان قبل قدوم الإسكندر

أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية من مصر القديمة.

ثانياً: لمحة جغرافية وتاريخية من بلاد اليونان.

ثالثاً: لمحة تاريخية من العلاقات المصرية الإغريقية قبل الغزو المقدوني.

أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية من مصر القديمة

*تقع مصر في الطرف الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب بلاد النوبة (كوش قديمًا)، ومن الغرب الصحراء الليبية، ومن الشرق البحر الأحمر، وهي بلاد ضيقة تمتد على جانبي نهر النيل، فلا يصلح من أرضها إلى وادي النهر الذي يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نحو (٥٠٠ ميل)، ويتسع وادي النهر عند مدينة القاهرة لينقسم عند وصوله إلى منطقة تعرف ببطن البقرة إلى فرعين (رشيد ودمياط) [١]، ترددت في معظم الكتابات القديمة عن مصر مقولة (مصر هبة النيل) [٢]؛ لأن النيل وفر لمصر الخصوبة ولاسّيما في مواسم الفيضان[٣] ، وجاء عن هيرودوت (**Herodot**) أنهُ ذكر بأن مصر هي (**هدية من النيل**)[٤]، لم يتأتَ ذلك كلهُ من فراغ، بل هو وصف دقيق لما وهبهُ النيل لمصر من خيرات وفيرة على جانبيه، فقد أعطى النيل الملامح الجغرافية لمصر القديمة وتحكم في تكوينها، فبانقسام النيل إلى قسمين، انقسمت بالضرورة مصر إلى قسمين، فالأرض التي تكوَّنت في البحر المالح منذ آلاف السنين، وقبل أن يغيِّر فيها الإنسان بالزراعة والإعمار. كانت أرض وحلة يكثر في مستنقعاتها السمك والطيور المائية، أُطلق عليها اصطلاح مصر السفلى أو الدلتا، التي تمتد في غربها الصحراء الليبية المليئة بالواحات، وقد مثَّل الجانب الغربي لمصر الجانب المقلق لها حقيقة؛ لأن معظم ما تعرضت لهُ مصر من غزوات قديمة جاءت من هذا الجانب، أما فيما يتعلق بشرقي الدلتا فتوجد صحراء جرداء تعرف الآن بصحراء سيناء، لا يمكن اعتبارها حصنًا يقي مصر غارات الغازين لكنها كانت معبرًا لآسيا، أما فيما يتعلق بمصر العليا والتي تعرف حاليًا بالصعيد، فإنها لم تكن معزولة عن مصر القديمة، بل كانت جزءًا لا يتجزأ منها بل عدَّت عنصرًا اقتصاديًا زراعيًا هامًا، ولاسّيما أنها كانت مليئة بالوديان الصغيرة أشهرها وادي الحمامات [٥].*

---

(١) هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، تر: محمد رفعت، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١، ص٧.

(٢) محمد شفيق غربال، تكوين مصر، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٧، ص٣.

(٣) هارفي بورتر، المرجع السابق، ص٨.

(٤) محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٧، ص٧٤، هامش(٣).

(٥) ج. إدجار، محمد شفيق غربال، كتاب التاريخ القديم، المطبعة الحديثة، القاهرة، ط١، د.ت، ص١٠.

أمّا فيما يتعلق بوادي النيل، فإنه يتكوّن من التقاء النيلين الأبيض والأزرق، وينبع الأبيض من جنوبي خط الاستواء بثلاث درجات من بحيرات توجد على خط الاستواء، ويتجه شمالاً نحو البحر المتوسط، ويلتقي النيل الأبيض من جهته الشرقية بفرعه الأكبر المعروف بالنيل الأزرق، وبالقرب من منطقة خط العرض ١٦° في منطقة الخرطوم على بعد ١٣٠٠ ميل من البحر المتوسط، الذي ينبع من بحيرة تانا في الهضبة الحبشية، فيكونان النهر الذي ينتهي جريانه في البحر المتوسط [١]. ***(خريطة ١)***

لقد اعتمدت مصر منذ تشكّل النيل اعتمادًا كليًا على فيضانه فكان أهلها يترقبون ذلك الفيضان ويستغربون سبب ارتفاعه دون أن يستطيعوا إدراك ما يحصل، فالنيل في تصورهم يأتي من بلاد بعيدة لا يعرفون عنها شيئًا، فكان كل همهم المحافظة على أكبر قدر من الماء بواسطة حبسه وتنظيم عملية توزيعه والحد من إسرافه، فالنيل بقدر ما كان نعمة على مصر إلا أنه أيضًا نقمةٌ شديدة عليها بسبب توجه أنظار الغزاة إليها [٢].

عاشت مصر قديمًا في وقت من الأوقات في عزلة تامة عن محيطها الجغرافي؛ لأن سكان مصر القديمة كانوا يعيشون في أرض انفصلت شرقًا وغربًا عن البلاد المجاورة بصحراوين شاسعتين، (صحراء سيناء والصحراء الليبية)، وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا، ومن الشمال يحدها شاطئ الدلتا البحري الخالي من الموانئ والمرافئ المأهولة بالسكان، وأما في الجنوب فيحدها شلال أسوان الصخري العظيم الذي يفصلها فصلاً تامًا عن أواسط أفريقية، لكن هذه الموانع الطبيعية كانت في كثير من الأحيان طرقًا ذات جدوى للعناصر الغازية والهجرات المطردة ولاسيّما الهجرات السامية عبر صحراء سيناء، ومن الغرب دخل

---

(١) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسين كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧، ص١. وللمزيد من المعلومات انظر، أسامة عبد الرحمن النور كوش-النوبة، إشكالية التسمية، أركماني، مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية، العدد الأول، ٢٠٠١ على صفحات الإنترنت على الموقع **Http://www.arkamani.org/vol-1/archaeology-vol1/cush-or-nubia.htm 3-8-2005**.

(٢) ج. إدجار، محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ص١٩، وللمزيد انظر، سترابون، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترابون، وصف ليبيا ومصر، تر: محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ٢٠٠٣، الفقرات ٤-٥، ص٢٤-٢٩؛ جورج يوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص ص٣٤٣-٣٦٤.

الليبيون عبر الصحراء الليبية [١]، أما من الجنوب، فكانت العناصر النوبية تعمل عملاً دؤبًا من أجل دخول مصر للسيطرة عليها وقد نجحوا في مرحلة من المراحل في تحقيق ذلك، وقد أكدت بعض الرسومات التي وجدت على جبل الشيخ سليمان الواقع جنوبي وادي حلفا بنحو ١١ كم أن معركة حدثت بين سكان مصر الجنوبية وبعض العناصر التي جاءت من الجنوب من بلاد النوبة حيث جرى كان ذلك على الأرجح في عهد الأسرتين الثانية والثالثة أي ما بين ٢٨٠٠ – ٢٧٠٠ ق.م، وصوَّرت الرسومات أسرى مرحّلين إلى مصر يحمل بعضهم أقواسًا ترمز إلى (تاسيتي) والتي تعني أرض حملة القوس في إشارة إلى سكان بلاد النوبة [٢].

*تعددت الآراء حول أصل كلمة مصر ومقابلها بالإنجليزية (**Egypt**)، ذلك أن المصريين القدماء أطلقوا على أرضهم اسم كيمت بمعنى الأرض السمراء أو السوداء؛ للدلالة على لون ترتبها المائل للاسمرار، وكذلك على قوة خصوبتها، وارتبط اسم مصر أيضًا في اللغات السامية بمترادفات تدل على معاني الحد والحاجز والمكان الحصين فضلاً عن البلد المتمدن، ويُعتقد أن اسم (إيجيبت) في اللغات الأجنبية قد شاع استخدامهُ أيام الإغريق (محور حديثنا فيما سيأتي لاحقًا)، وقد حُرِّف في أصله عن الاسم (أجبه) المصري بمعنى أرض الفيضان، وكثيرًا ما استخدم المصريون اسم (كمت)؛ للدلالة على أرضهم ومواطنهم، فيمكن اعتبارهُ أحب الأسماء عندهم؛ فاستُخدم في معظم كتاباتهم ونصوصهم القديمة، كذلك توجد أسماء عدة أعطت المعنى نفسه الدال على مصر والمصريين القدامى مثل (دشرت) و(تاوى) و(إيدبوى) و(تامرى) و(تامحو) و(تاشمعو) ...الخ [٣].*

*أمّا فيما يتعلق بالاسم (إيجوبتس)(*) فقد ذُكر أول مرة في القرن التاسع قبل الميلاد في ملحمة الشاعر اليوناني هوميروس (**Homerus**) الأوديسا (**Odessa**) إشارة إلى مصر، هذه الكلمة*

---

(١) جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص٣.

وللمزيد من المعلومات انظر، كلاوديوس بطليميوس، وصف ليبيا (قارة أفريقيا) ومصر، تر: محمد المبروك الذويب، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ٢٠٠٤، ص.ص ٧٤-٨٦.

(٢) محمد حسن محمد باشا، أصل المجموعة ج النوبية، جامعة السوربون، **I**.باريس، ١٩٨٤، ص٢٨، (رسالة دكتوراه غير منشورة).

(٣) محمد عبد الحميد بسيوني، بانوراما فرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص٩.

(*) بخصوص كلمة (إيجوبتس) ومدلولاتها انظر،

G.Evans, As Essay on Assyriens, Edinburgh, 1883, p.48-49.

المشتقة من أصل مصري قديم جاءت للدلالة على معنيين: أولهما: أنها مشتقة من (حت – كا- بتاح) بمعنى معبد أو مقر الإله بتاح، وهو الإسم الذي عُرف به المعبد الرئيس للإله بتاح إلـه مدينة منف المصرية، ثانيهما: أن كلمة (إجبي) كانت تعني فيضان النيل وفي ذلك دلالة على مصر، وقد أُضيفت ياء النسبة للكلمة فأصبحت (إيجوبتي) بمعنى مصري ثم صُرِّفت إلى (جبتي وقبطي) بمعنى مصري أيضًا، أما اسم مصر فقد ورد ذكرهُ منذ القرن الرابع عشر ق.م في النصوص الفينيقية والأوجاريتية (السورية القديمة)، كذلك تردد في النصوص الأكادية والآشورية والبابلية في القرنين السابع والثامن ق.م (مصر) و(مصور) و(مصرو)، وكذلك في الخطوط اليمنية القديمة المسندة، وفي النصوص العبرية (مصراييم) [1].

أما فيما يخص لقب (فرعون) في مصر القديمة فقد شاع استعمالهُ منذ القرن العاشر ق.م تقريبًا، إذ اعتاد المصريون وجيرانهم أن يطلقوا لقب (بر-عو) ومترادفاته على كل مصري إلى جانب اسمه الشخصي [2].

إنّا من خلال ما تطرقنا إليه بخصوص الإستراتيجية الجغرافية لمصر القديمة ندرك تمامًا مدى الأهمية المُثلى لذلك الإقليم، ومن ثم لا نستبعد أن تكون هناك أطماع من قوى كبرى من أجل الحصول على مقدرات ذلك الإقليم والسيطرة عليه، وفي سياق الحديث عن اللمحة التاريخية لمصر القديمة يجدر بنا أن نسلط الضوء ولو بصورة عابرة على أجناس بشرية عديدة حاولت تحقيق أهداف سياسية واقتصادية وجغرافية في مصر القديمة ابتداءً بالهكسوس ومرورًا بالتغلغل الليبي والكوشي إلى الغزو الآشوري وانتهاءً عند الغزو الفارسي لمصر القديمة.

١ – الهكسوس

*يعتقد بعض الباحثين أن تسمية الهكسوس (**Hksoos**) لم تعبر عن شعب معين بقدر ما عبرت عن مجموعة من الحكام أطلق عليهم اسم (حقا خاسوت) بمعنى حكّام البراري، غير أن الإغريق حرفوها إلى هكسوس ثم تُرجمت إلى ملوك الرعاة* [3].

---

(١) محمد عبد الحميد بسيوني، المرجع السابق، ص١٠؛ جورج بوزنر، وآخرون، المرجع السابق، ص ص٣٠٦-٣٠٨.

(٢) محمد بيومي مهران، في تاريخ العرب القديم، الرياض، ط١، ١٩٧٧، ص ص٣٤٠-٣٤٣.

(٣) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٣، د.ت، ص١٩٥؛ محمد الخطيب، الخلود في حضارة مصر القديمة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط١، ١٩٩٩، ص ص٥١، ٥٢.

بينما يذكر عبد العزيز صالح نقلاً عن المؤرخ يوسيفوس (**Uosievus**) أنها جاءت بمعنى الأسرى الرعاة، ويذكر أيضًا أن يوسف –عليه السلام– دخل مصر في عهد الهكسوس[1]. وتؤكد بعض الدراسات أن الاسم (حقا–خاسوت) يعني رؤساء البلاد الأجنبية وهو الأمر الأكثر ترجيحًا، ومنهُ اشتق مانيتون **(Maniton)**[*] اسم الهكسوس الذي أُطلق على هذه الشعوب [2].

لم يُعثر في اللغة المصرية القديمة على كلمة دالة واضحة وُضعت لتكون اسمًا علمًا للهكسوس، غير أن بعض الباحثين اجتهدوا في تسميتهم كلاً حسب ما يراه، فبعضهم أطلق عليهم اسم (الطاعون) استنادًا الى أن الهكسوس كانوا وباءً بشريًا فتاكًا لم يُصب مصر القديمة وباءٌ مثلهُ، وهناك من أطلق عليهم اسم عامو (**Amo**) بمعنى الآسيويين [3].

أتت هجرة الهكسوس إلى مصر القديمة بعد تحركات أقوام هاجرت من أواسط آسيا أمثال (الآريين) و(الهندوآريين) و(الكاشيين) و(الحثيين) و(الحوريين) و(الآخيين)، ومن المحتمل أن هجرتهم جاءت مع نهاية الأسرة الثالثة عشر. (١٧٨٥–١٧٠٠ ق.م)؛ نتيجة لما كان يعم مصر من نزاع وتفكك [4].

إذًا لم تكن كلمة هكسوس تعني أكثر من حكام البلاد الأجنبية، أي أنها صفة للحاكم فقط، وهي لا تعني أمة بعينها لها خصائصها العرقية التي تميزها عن غيرها، وهي تسمية في الأساس أطلقها المصريون على

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص١٩٥، (نقلاً عن يوسيفوس).

(*) مانيتون: كاهن وعالم شهير عاش في معبد سبينيتوس (**Sebennytos**) في بداية القرن الثامن ق.م كان يقرأ الهيروغليفية، ومعلمًا للديانة المصرية القديمة، نسبت إليه العديد من الأعمال في مجال التاريخ أهمها قائمة الأسر المصرية وملوكها، انظر، جورج بوزنر وآخرين، معجم الحضارة المصرية القديمة، تر، أمين سلامة، مكتبة الأسرة، القاهرة ، ص٢٨٧، ٢٩٨، وهو من مواليد مدينة سمنود، عاصر الملك بطليميوس الثاني ٢٨٣–٢٤٥ ق.م، ويبدو أنه هو من كلفهُ بكتابة تاريخ مصر، بالخصوص انظر ، ميخائيل شاروبيم بك، الكافي في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٩٧، ص٢٣٣.

(٢) اللجنة العلمية الدولية لتحديد تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو) حضارات أفريقيا القديمة، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، ١٩٨٥، ص٩٠.

(٣) د. ت . أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، سورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، د.ت، ص١٦٠. نقلا عن (ساليبه) و(ستتيو). للمزيد من المعلومات انظر، بهاء الدين إبراهيم، الشرطة والأمن الداخلي في مصر القديمة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ط١، د.ت، ص٣٥–٤٥.

(٤) أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص ص١٦١.

كل أجنبي كان يحكم مصر، ولذلك فالهكسوس على الأغلب هم خليط من الأقوام التي تجمعت على حدود مصر، نتيجة لضغوط الشعوب الهندوأوروبية من الشمال والشمال الشرقي، وإن كان يغلب عليها العنصر العربي السامي، والدليل على ذلك ما نصت عليه بعض نصوص تلك الفترة في مصر القديمة، قبل قدوم الهكسوس، إذ اشتملت تلك النصوص على فئتين من أسماء الأمم، الأولى عربية سامية ولها الغلبة، أما الثانية فهي غير سامية. أما الأسماء الليبية والنوبية فقد مرت عليها مرور الكرام [١]. وعندما ازداد الضغط على تلك الشعوب؛ دخلت المنطقة الواقعة إلى الشرق من الدلتا واتخذت من أفاريس ***(Owares)*** *مركزاً رئيسياً لها ويمثل ذلك الأمر المرحلة الأولى من سيطرة الهكسوس على مصر. ولعل سبب اختيارهم لمدينة أفاريس قد تم لأسباب عديدة أهمها: وجودها من الناحية الشرقية من مصر وهي الناحية التي يكثر فيها تواجدهم، بالتالي قربها من قواعدهم الأساسية، كذلك توسطها لأكبر تجمع هكسوسي ووقوعها على الطريق التجاري الرابط بين مصر وسورية [٢].*

وتعد المرحلة الثانية من حكم الهكسوس هي المرحلة الأهم والأصعب فقد اكتملت فيها سيطرتهم على الدلتا بأكملها وامتد نفوذهم حتى شمل الصعيد، والدليل على ذلك أن أمراء طيبة كانوا يدفعون الجزية لهم، وعندما استتبت لهم الأمور، حاول بعض حكام الهكسوس تقليد فراعنة مصر، فلبسوا زيهم، وتلقبوا بألقابهم وتسموا بأسمائهم أيضاً مثل (عاقنن رع – عاور سر رع – نب خيش رع) كما وضع بعضهم اسمهُ ولقبهُ داخل خراطيش ملكية [٣].

أما من الناحية الحضارية، فإن الهكسوس لم يدخلوا أي عناصر حضارية جديدة لمصر بشكل خاص، هذا إذا اعتبرنا أن اللغة والفن والدين والنظام الاجتماعي هي عناصر الحضارة الرئيسية، فكل هذه العناصر ظلت على حالها؛ باستثناء ما وجد من بعض أنواع المشابك والحلي وزخارف معينة على الجعلان والأختام والفخار الملون [٤].

---

(١) جون ويلسون، الحضارة المصرية، تر. أحمد فخري، القاهرة ١٩٥٥. ص ٢٦٢؛ محمود عبد الحميد أحمد، سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ، ج ١، العلاقات بين مصر وسورية منذ أقدم العصور إلى نهاية الأسرة الثامنة عشرة، مكتب الأنوار، دمشق، ١٩٨٥، ص ٣٦.

(٢) محمود عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٤) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص ٢٠١؛ محمود عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، ص٣٧.

*وعندما برز الهكسوس كشعب منظم تنظيمًا حربيًا متقنًا إبتداءً من سنة ١٧٠٠ق.م، واستطاعوا السيطرة على القسم الشرقي من الدلتا بما في ذلك أواريس (**Owares**) التي حصَّنوها واتخذوا منها عاصمة لهم، أدخلوا إلى مصر الحصان والعربة والدروع التي تحمى الجسم في الحروب، وقد كانت هذه الأشياء بالغة التأثير في الجيش المصري القديم، حيث ساعدتهُ في كثير من الأحيان في صد هجمات الغزاة ولاسيّما عندما ثاروا على الهكسوس أنفسهم، فكانت عاملاً مساعدًا في نصرة المصريين عليهم* [١].

وحتى لا يطول بنا المقام فقد قص علينا مانيتون نهاية الحرب مع الهكسوس ونقل إلينا **جيمس هنري برستد** ما ذكرهُ **مانيتون** بقوله: (**بعد أن هُزم الأعداء لجؤوا إلى الإحتماء داخل أواريس، ويقول بأنهم استسلموا بشروط، لذلك سُمح لهم بترك مصر، وقد كان هناك ٢٤٠ ألف جندي من الهكسوس قد تركوا مصر واجتازوا الحدود الشرقية إلى البلاد التي جاؤوا منها والمجاورة لفلسطين وتركزوا في مدينة شاروهن** (Sharohen)، **غير أن ذلك لم يعجب الملك أحمس الثاني لإحساسه بالخطر الذي مازال يتهدد مصر، فهاجم شاروهن، واستولى عليها بعد حصار دام ثلاث سنوات**)[٢]، وهكذا انتهت مرحلة الهكسوس في مصر القديمة لتأتي بعدها مراحل توالت فيها أجناس أخرى على حكم مصر والسيطرة عليها.

٢ – الليبيون في مصر القديمة

كان غربي الدلتا في بداية المرحلة التاريخية في مصر القديمة هدفًا لهجرات ليبية مما دعا ملوك تلك المرحلة لمحاربتهم، فنجد مثلاً الملك نعرمر-مينا مؤسس الأسرة الأولى (٣١٥٠ ق.م)، قد قام بتصويرهم في لوحته المعروفة (بلوحة نعرمر)[*] *وهو منتصر عليهم، وعلى الرغم من ذلك استمرت تلك الهجرات فأخذ بعضها صور الغزوات على طول التاريخ المصري القديم، مع أنهُ لم يظهر لها تاريخ حقيقي واضح إلا منذ عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٥-١١٨٨ ق.م)، عندما حاولت هجرات من*

---

(١) اللجنة العلمية الدولية لتحديد تاريخ أفريقيا العام، (اليونيسكو)، المرجع السابق، ص٩٠.

(٢) جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص١٤٧. (نقلاً عن مانيتون).

(*) لوحة نعرمر: تعرف أيضًا بلوحة التوحيد، وهي إسطوانة من العاج منقوش عليها الملك نعرمر وهو يضرب مجموعة من الأسرى الجاثمين نُقش فوقهم كلمة (تحنو) بالهيروغليفية، للمزيد من المعلومات حول لوحة نعرمر انظر، محمد علي عيسى، الليبيون القدماء في المصادر التاريخية القديمة، مجلة تراث الشعب، العدد الأول، ٢٠٠٢م، ص٣٦.

الشعوب الهندوأوربية(*) الاستقرار في دلتا النيل بالتحديد، رغم ما لاقتهُ من تصدي متواصل من بعض ملوك مصر أهمهم مرنبتاح (**Mrnbtah**) (١٢٣٦-١٢١٣ ق.م) من الأسرة التاسعة عشرة ورمسيس الثالث (**Ramses III**) (١١٩٨-١١٨٦ ق.م) من الأسرة العشرين [١].

استقرت العناصر السالفة الذكر في ليبيا على سواحل البحر المتوسط ثم تسلل بعضهم إلى مصر، واستطاع العديد منهم الانخراط في الجيش المصري كجنود مرتزقة مأجورين، وأصبح عددهم يزداد بصورة كبيرة، فخوّل بعضهم الوصول إلى أعلى الوظائف والمناصب، فكان ذلك حافزاً لهم لتهيئة الأمور لبني جنسهم لدخول مصر من أوسع أبوابها، وحصلت هذه العناصر عن طريق التسلل السلمي ما لم تحصل عليه بالحرب والقوة [٢]. فقد تهيأت الأمور لأحد كبار رجال الليبيين ليشغل أكبر وظيفة في مصر القديمة وهي الملكية، فقام بلبس التاجين الأبيض والأحمر؛ ليعلن أنهُ أصبح ملك القطرين أي (مصر الواحدة) وعرف هذا الرجل باسم شيشنق الأول (**Sheshank I**) (٩٤٥-٩٢٤ ق.م)، فمثّل بذلك أول ملوك الأسرة الليبية الحاكمة في مصر القديمة والتي عُرِفت باسم (الأسرة الشيشنقية) نسبة إليه [٣]. توجه معظم الملوك الليبيين نحو التمصير، فحكموا حكمًا مصريًا خالصًا، مخلصين لمصر في الوقت نفسه، وأعاد شيشنق الأول لمصر القديمة بعض ما كان لها من قوة واحترام، واحتل فلسطين واستولى على بيت المقدس ، واستردت مصر بفضل حملاته الموفقة نفوذها في آسيا، وقد ورد ذكر اسمه في التوراة بسبب حروبه مع بني إسرائيل [٤].

(*) الشعوب الهندوأوربية، ربما يقصد بها العناصر الليبية؛ لأنها كانت تشبه كثيرًا في أوصافها الأوربيين، مع أن بعضهم يؤكد أن الليبيين ذوي الأوصاف الأوربية بمعنى ذوي العيون الزرق والشعر الأشقر هم من سكان المنطقة الأصليين، أنظر، محمد علي عيسى، اسم ليبيا ودلالتهُ وظهور الليبين القدماء على مسرح التاريخ، تراث الشعب، العدد ١، ٢، ١٩٩٩، ص ص٩٥-١٠١، ؛ محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، الجديد للعلوم الإنسانية، العدد ٥، ٢٠٠٠م، ص ص٣٤-٣٧.

(١) أحمد فخري، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٠، ص٤١٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٤١٦.

(٣) سليم حسن، مصر القديمة، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيون لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي، ولمحة في تاريخ العبرانيين، ج٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، د.ت، ص١١.

(٤) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة، من فجر التاريخ إلى الفتح العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص٦-٧.

صنَّف **مانيتون** الأسرة الشيشنقية بأنها الأسرة الثانية والعشرين في قائمته لكن جان يويوت (**J. Yoyatte**)، يؤكد أن الأسرة الشيشنقية كانت مستقرة في مصر منذ أوائل الأسرة الحادية والعشرين (١٠٦٩-٩٤٥ ق.م) في منطقة (تل بسطه) والمعروفة حاليًا بالزقازيق، مستدلاً في ذلك على ما جاء في كل من لوحتي (أبيدوس) و(حاربسون) هذا ما أكده **جيمس هنري برستد** (**J.H.Breasted**) [١].

ظل الحكام الليبيون في مصر القديمة مدة ليست باليسيرة، محاطين بثقافة مصرية خالصة دينيًا ودنيويًا، فدفنوا أمواتهم في العرابة على الطريقة المصرية القديمة، وإلى جانب احتفاظهم بأسمائهم الأصلية فإنهم استعملوا الألقاب الفرعونية، أما المحاربون فاستخدموا ألقابهم الليبية مثل (رئيس المشواش الأكبر)، كما قدَّم الليبيون القرابين إلى الآلهة المصرية القديمة، وظل ذلك إلى حين اضمحلال الأسرة ونهايتها في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م على يد بعض القادة المصريين في الجيش المصري وبداية الأسرة الثالثة والعشرين المصرية [٢].والسؤال الذي يطرح هنا متى وكيف بدأ الوجود الكوشي في مصر القديمة وما هي تداعياته عليها؟

٣ – الوجود الكوشي في مصر القديمة

اتفق معظم المؤرخين على تسمية مرحلة حكم الأسرة الخامسة والعشرين في مصر القديمة (بالعصر المتأخر) سواء من حيث زمنه أم من حيث حضارته، وقد عُرفت الأسرة الخامسة والعشرون بالأسرة النوبية أو الكوشية أو الأثيوبية، والتي حكمت من ٧٨٠ ق.م إلى ٦٥٦ ق.م [٣].

إن تاريخ مصر زمن الأسرة الخامسة والعشرين مازال معتمًا في بعض جوانبه وكل ما نعلمهُ هو أن النوبين في عهد ملكهم كاشتا (**Kashta**) نحو عام ٧٤٩ ق.م حاولوا الزحف إلى مصر العليا،

---

(1) J. Yoyatte Histoire universelle, I, London, 1956, p 121؛ J.H Breasted. A.Historx of Egypt, New York, 1946, p226.

(2) F, Petrie, in Ancient Egypt, Vol, I, London, 1923, p19.

(٣) أسامة عبد الرحمن النور، المرجع السابق، على الويب.

*واستطاع ملكهم بدهائه أن يقنع الزوجة الإلهية لأمون الكاهنة (شب- إن- أوبت) ابنة أوسركون الثالث (**Oserkon III**) ٧٣٠ ق.م أن تتبنى ابنتهُ أو أختهُ باختلاف الآراء أمون رديس (**Amon Rades**)؛ من أجل وراثة الكهانة من بعدها، ومن ثّم الوصول إلى المنصب الكهنوتي، زائدًا ثروة آمون [١].*

*ومن أهم ملوك المملكة الكوشية في مصر القديمة الملك بيا بعنخي (**Peia Bankha**) ٧٤٧-٧١٦ ق.م، الذي يُرجح بعض الباحثين من أن أصولهُ مصرية، وغالبًا ما أطلقوا على أسرته اسم الكوشية وهو الاسم الذي أطلقهُ الإغريق على بلاد النوبة أيضًا [٢]. ويعتقد بعض المؤرخين أن بلاد النوبة هي جزء لا يتجزأ من مصر القديمة؛ ذلك لأنها تعج بالآثار الخالدة للفراعنة المصريين، وهذا دليل واضح يدحض كل رأي يقول بأن بلاد النوبة هي جزء من أثيوبيا. فما كُتب من أن أثيوبيا حكمت مصر يومًا يتعارض مع الحقائق التاريخية والجغرافية.*

وأن إطلاق اسم أثيوبيا(*) على النوبة هو خطأ انساق إليه بعض الرحالة الإغريق [٣].

لم يكن الملك تهارقا ٦٩٠-٦٦٤ ق.م أقل شأناً من بيابعنخى، فقد اشتهر بحروبه مع الآشوريين زمن ملكهم سنحاريب، وقد جاء ذكر ذلك في الكتاب المقدس (العهد القديم – التوراة) [٤] وكذلك في

---

(١) سيد توفيق، سيد أحمد علي الناصري، معالم تاريخ وحضارة مصر، منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي، مصر في العصور الفرعونية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠، ص٢٤٧؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص٤٣٤.

(٢) جان فيركوتير، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص ص١٤٦-١٤٧.

(*) إن أول ذكر لأثيوبيا نجدهُ عند هوميروس، وقد اتفق الباحثون على أن الكلمة تتكون من شقين هي إيثو بمعنى يحرق، وأوبس بمعنى مظهر أو شكل وعليه يصبح معنى الكلمتين ذي الشكل المحروق؛ أي أن التسمية عند هوميروس استندت إلى لون بشرة سكان المنطقة السمراء، ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن هذا الخلط جاء نتيجة إطلاق هوميروس وهيرودوت لفظة أثيوبيا (**Athiopia**) على سكان جنوبي الشلال الأول والتي تعني أصحاب الوجوه المحروقة، لذا يفضل الرمز للمنطقة بالاسم كوش تفريقًا لهُ عن أثيوبيا الحالية (الحبشة)، انظر، أسامة عبد الرحمن النور، المرجع السابق، على الويب.

(٣) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص٧.

(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم (التوارة)، سفر الملوك الثاني، الإصحاح التاسع عشر، ص ص ٦١٨-٦٢١.

كتابات هيرودوت المؤرخ اليوناني[١]، وبعيدًا عن الإطالة فإنهُ مع انتهاء حكم ملوك نباتا الذي استمر حسبما يذكر بعض الباحثين سبعين عامًا بدأ في مصر القديمة عصر جديد عُرف اصطلاحًا بالعصر الصاوي أو عصر النهضة[٢].

٤ – الغزو الآشوري لمصر

*عندما علم سنحريب بمساعدة مصر للدويلات السورية والفلسطينية بقوات منها، قرر الزحف بجيوشه إلى المناطق الساحلية في فلسطين، وتابع سيره إلى بيت المقدس، حيث تحصَّن حلفاء مصر هناك، وشاء القدر أن يتفشى وباء الطاعون في جيشه، فرجع في الحال إلى نينوى(**Nanwa**) عاصمة بلاده [٣]، وما إن رجع حتى وافتهُ المنية فيها عام (٦٨١ ق.م)، فاعتلى من بعده أسر حدون عرش آشور هذا الذي صمم على أن يغزو مصر مباشرة، فعمد إلى تجنب الدلتا حيث يعتقد بأن القوات المصرية كانت تتمركز بها، وعمل على عبور سيناء متجهًا نحو منف التي استولى عليها، ثم زحف على الدلتا من الخلف وأخضعها لسلطانه، وسار خليفته أشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) على الوتيرة نفسها حتى تسنى لهُ السيطرة على مصر بأكملها وقسمها وأقام الولاة عليها، واضطر ملوك نباتا إلى ترك مصر والعودة إلى بلاد النوبة [٤].*

وتجدر الإشارة أن الآشوريين قاموا بأكبر عملية سلب ونهب في التاريخ المصري القديم، ذلك أنهم سرقوا المسلات المصرية، والتي تزين الآن كثيرًا من ساحات المدن الأوربية وميادينها، كذلك التماثيل الفرعونية لم تسلم من عبث الآشوريين حيث تبين في نقوش أحد ملوك آشور أنهُ اغتصب ٦٥ تمثالاً سجَّل عليها انتصاراته، وقد دوت هذه المأساة في العالم القديم بأسره [٥].

---

(١) محمد صقر خفاجة، المرجع السابق، الفقرة ١٤١.

(٢) ولتر إمري، مصر وبلاد النوبة، تر: تحفة حندوسة، الهيئة المصرية للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٣١.

(٣) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص٦٢٤.

(٤) جان فيركوتير، المرجع السابق، ص١٥٠؛ هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، المرجع سابق، ص٣٧.

(٥) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص٦٣.

٥ – الغزو الفارسي

*عندما أضحى قورش (**Koresh**) سيد فارس وميديا (**Media**) في آن واحد، ارتعدت آسيا خوفًا لهذا الخبر، الأمر الذي أجبر ملوك المنطقة وحكامها إلى الإسراع في عقد تحالف يضم كلاً من ليديا ومصر وبابل وإسبرطه، غير أن ذلك الحلف كان عديم الجدوى، حيث أسرع قورش بالإنقضاض على ليديا فأنتزعها من يد ملكها كروسوس (**Croisus**) عام ٥٤٨ ق.م، ولم يستطع أحد من حلفائه أن ينهض لنجدته* [(١)]، فكان ذلك بمنزلة نداء موجه للعالم القديم بأسره إيذانًا بمولد قوة جديدة في المنطقة تُعرف بالقوة الميدية الفارسية التي استطاعت في مدة وجيزة السيطرة على آسيا، فدوت انتصاراتها في معظم أرجاء العالم القديم، *وقيل بأن فتوحات قورش تاخمت الصين وما وراء نهر سيحون، لذلك اتصفت أعمال قورش أول ملوك الفرس بالعظمة مما دعا الإسكندر الأكبر المقدوني (**Elexander**). حسبما تذكر بعض المراجع حين فتح فارس للوقوف على قبر قورش في بازارجاد (**Bazargad**) وذكرهُ بما يليق به من التكريم والتعظيم* [(٢)]. (**خريطة ٢**)

على الرغم من أن المصادر التاريخية لم تبين نية قورش تجاه مصر فإنهُ من الطبيعي أن تكون لهُ أطماع في تلك المنطقة، ولاسيّما أنها دخلت في ذلك الحلف الرباعي ضد فارس، وربما كانت زعيمتهُ، غير أن أمر الاستيلاء على مصر تأجل إلى بعد وفاة قورش ٥٢٩ ق.م ليتولى ذلك الأمر من بعده ابنهُ قمبيز (**Kompes**) ٥٢٨ ق.م الذي كان لا يقل عنهُ صرامة.

ذكر بعض الباحثين بأن قمبيز كان يهاب غزو مصر؛ لأنهُ كان يجهل أحوالها الداخلية، كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة؛ لأنهُ لم يعتد القتال إلا في الأراضي الزراعية، ومن ثم كاد أن يعدل عن رأيه لولا استدلاله ببعض المرجعيات الخبيرة بأحوال مصر ومسالكها وما كان يحدث بداخلها، ولاسيّما من بعض البدو الرحَّل الذين يعرفون مسالك الصحراء، فأجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصر الطرق وأٓمنها [(٣)]، *وقد استعان قمبيز في حملته على مصر بمرتزقة من اليونان، وعند منطقة*

---

(١) محمد صقر خفاجة، المرجع السابق، ص٥١؛ سليم واكيم، إيران في الحضارة، الجامعة الليبية، بنغازي، ط١، ١٩٧١، ص٢٨.

(٢) أحمد كمال الدين حلمي، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج١، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، مؤسسة جراج الصباح، الكويت، ط١، ١٩٧٩م، ص١٢٢.

(٣) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج١، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص١٦٢.

*بلوزيوم (**Piluzium**) (الفرما)(*) التقى الجمعان الفارسي والمصري وكانت الغلبة للفرس عام ٥٢٥ ق.م* [١].

*يذكر **رفاعة بدوي** أنهُ عندما غزا قمبيز مصر وضع أمام جيشهُ صفًا كبيرًا من الحيوانات التي كانت معبودة لدى المصريين، فامتنع المصريون عن الدفاع عن أنفسهم مخافة أن يصيبوا شيئًا من تلك الحيوانات؛ لأنها مقدسة وترمز للعديد من آلهتهم* [٢].

ومع ذلك يبدو أن المقاومة المصرية كانت موجودة حسبما جاء عند **هيرودوت(Herodot)** الذي رأى آثار هذه المعركة بعد نحو ثلاث أرباع القرن من وقوعها، فلمس بإحساسه التاريخي ما حدث فيها، وسجَّل ملحوظة طريفة ذكر فيها *أنهُ رأى جماجم الفرس في ناحية وجماجم المصريين في ناحية أخرى عند مصب نهر بلوزيوم نسبة إلى مدينة بلوزيوم على المدخل الشمالي الشرقي لمصر ، ولحظ أن جمجمة الفارسي يمكن أن تصدعها بحصاة، على الرغم مما هو معروف عن ضخامة الرأس الآرية، بينما لا تنكسر جمجمة المصري إلاّ بضربة حجر* [٣].

يذكر الباحثين بأن قمبيز قام بثلاث حملات متتالية على مناطق مختلفة كان مصيرها الفشل الذريع، وربما عجَّل هذا الأمر في نهاية قمبيز فالحملة الأولى كانت لتدمير واحة سيوة ليس كما فعل الإسكندر في وقت لاحق، وسيأتي ذكر لرحلة الإسكندر إلى تلك الواحة في السياق البحثي، والشيء الوحيد الذي استفادت منهُ الواحة هو دخول الجمل إليها أوّل مرة حيث استأجرهُ قمبيز من عرب شبه الجزيرة العربية لنقل جيوشه وأمتعته إلى واحة سيوة [٤].

(*) الفرما: تقع شرقي بورسعيد الحالية، وكانت تقع إلى الغرب من الفرع البيلوزي بنحو ٧ كيلومترات. انظر محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ص٧١

(١) سليم حسن، مصر القديمة من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج١٣، ط١، د.ت، ص٢؛عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، د.ت، ص٦٠٩.

(٢) رفاعة بدوي رافع، المرجع السابق، ص٦٧.

(3) Heredotus. III -13-15, L.C.L.

(٤) أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص٣٢٣؛ بوفيل روبن هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة، ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٨٨، ص ص٨١-٨٢. وللمزيد من المعلومات عن قمبيز وواحة سيوة، انظر، أحمد فخري، واحات مصر، المجلد الأول، واحة سيوة، تر: جاب الله علي جاب الله، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، العدد ٢٠، ١٩٩٣، ص١١٠.

أما الحملة الثانية فكانت على قرطاجة (**Carthage**) ولم تكن لها نتائج واضحة؛ لأن الفينيقيين الذين استعان بهم قمبيز في أمور الملاحة البحرية أبو أن يقاتلوا أبناء بلدهم، ومن ثم سُجِّلت هذه الحملة ضمن حملاته الفاشلة [1].

والحملة الثالثة كانت على بلاد النوبة، ولم يُكْتب لها النجاح كسابقتيها ربما بسبب انقطاع المؤن، أو لأنهُ لاقى هزيمة كبيرة على يد ملوك نباتا [2].

أدرك قمبيز قبل وفاته بضرورة السيطرة على قورينا (**Corena**) وبرقه (**Brqa**) على الحدود الغربية لمصر؛ لأن هذين الإقليمين كانا يمثلان موردًا اقتصاديًا مهمًا، ربما يفيد الوجود الفارسي داخل مصر، فأدراك حاكم قورينا بأن السيطرة الفارسية تحصيل حاصل، مما جعلهُ يفكر بالطريقة التي يستطيع بها أن يمتص العنفوان الفارسي حتى يضمن سلامتهُ وسلامة ممتلكاته في قورينا، حتى منصبهُ السياسي، وعليه سارع الحاكم الهليني على قوريني أركسيلاوس الثالث (**Arxelaws III**) (٥٢٧- ٥١٩ ق.م) باعتبارها مقاطعة يونانية في الشرق، بإعلان التبعية للفرس مباشرة عقب فتح مصر، وبسبب مشاغل قمبيز بفتوحاته الفاشلة سالفة الذكر فإنهُ اكتفى بفرض الجزية عليها والتي قدِّرت نحو ٥٠٠ منًا فضية(*) [3].

---

(١) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٢) رمضان عبده علي السيد، تاريخ مصر القديم، دار نهضة الشرق، القاهرة، ج٢، ط١، ٢٠٠١، ص٢١.

(*) المن، وحدة قياس وزن، قُدِّرت بأربعة وعشرون أوقية بأواقي العرب، والمن من الأوزان التي يعود أصلها إلى البابليين، وكان معروفاً عند العرب الجاهليين، والمن كان معروفاً أيضاً في العراق وخاصة في البصرة لوزن التمور. أنظر، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ج ٧، ١٩٨٧، ص٦٣٠.

(٣) جميلة عبد الكريم محمد، المرجع السابق، ص٣١٠.وللمزيد من المعلومات، انظر، كلاً من، رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقه السياسي والاقتصادي من القرن السابع ق.م حتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٨٨، ص٣٩، هامش (٢)؛فرنسوا شامو، الإغريق الأسطورة والتاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٠، ص ص١٩١-١٩٢.

توفي قمبيز سنة٥٢٢ ق.م وخلفهُ في الحكم على العرش الفارسي العديد من الملوك الذين لم يقلِّوا عنهُ أهمية بل مثَّل بعضهم أثناء مدة حكمه أهمية بالغة، ولأنه ليس من صلب موضوعنا الأساسي فإننا نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، داريوس الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م) أكسركسيس الأول (٤٨٥-٤٦٤ ق.م) داريوس الثاني (٤٢٤-٤٠٤ ق.م) أرتاكسركسيس الثالث (٣٤١-٣٣٨ ق.م) داريوس الثالث (٣٣٤-٣٣٠ ق.م) والذي بنهايته تنتهي مرحلة الحكم الفارسية في مصر القديمة التي أثقلت كاهل المصريين لتأتي بعدها مرحلة جديدة على يد الإسكندر المقدوني، محور حديثنا الأساسي في هذا البحث وسنستعرض ذلك لاحقًا. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما أهمية جغرافية بلاد اليونان ومقدونيا في التشكيل السياسي وتداعياتها على بلاد اليونان وعلاقاتها الخارجية؟

ثانيًا: لمحة جغرافية وتاريخية من بلاد اليونان

*يمثل بحر إيجة وما حولهُ من جزر مجالاً حقيقيًا للأراضي الإغريقية القديمة والتي مازالت حتى وقتنا الحاضر [١]، لكن الطبيعة الجبلية القاسية هي التي تحكَّمت في معظم مساحتها، فقد مثَّلت أراضي الإغريق الجزء الجنوبي من جبال شبه الجزيرة البلقانية التي تمتد من الشمال إلى الجنوب والتي تلتقي مع جبال أخرى تمتد من الشرق إلى الغرب، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أهم الجبال الإغريقية بحكم موقعها فمنها جبال جرانيه (**Granaah**)، بين كورنثة (**Corentha**) وأتيكة (**atteka**) ، وجبال كراتا (**Crata**) التي تعترض المضيق الذي يقع بين هاتين المدينتين، كذلك توجد جبال كثيرون، (**Kethron**)، بين كورنثه وبيوتيا (**Piutia**)، وجبال هليكون (**Helikon**) بين بيوتيا وفوكيس (**Fokies**)، وجبال بندوس (**Pndos**)، التي تفصل بين تساليا (**Tsalia**) ، وإبيروس (**Epiros**) وكلها مدن يونانية قديمة [٢]، فبلاد اليونان بحسب طبيعتها الجبلية المتداخلة فرضت التجزئة على المدن اليونانية، فأصبح لكل مدينة استقلالية وانعزالية تامة عن بقية المدن الأخرى، واختلفت تبعًا لذلك مساحة كل مدينة، فأصبح لزامًا أن تظهر مدينة أقوى من أخرى وكذلك مدينة أغنى من أخرى حسب الموقع الممنوح لها من الطبيعة، فأصبح هناك ما يعرف اصطلاحًا بنظام المدينة الدولة، ذلك أن لكل مدينة منهجًا خاصًا بها تنتهجهُ في تسييس أمورها سواء السياسية أم الاقتصادية وحتى الأمور الدينية والاجتماعية في كثير من الأحيان [٣]. (**خريطة ٣**)*

إن التجزئة التي تعرضت لها بلاد اليونان قديمًا، نتيجة ما ذكرناه من أسباب جغرافية، دعا المواطنين داخل الجزء الواحد إلى الاحتكاك ببعضهم أكثر فأكثر بحكم صغر المساحة ومن ثم فإن سرعة تكوين مجتمع منظَّم تحكمهُ أنظمة حكم متطورة وذات فاعلية سيكون سهلاً بعكس ما يكون في الدولة المترامية الأطراف، وبناءً على ذلك ظهرت مجموعة من النظم المتطورة في بلاد اليونان لم يعرفها العالم القديم قط، نظم فردية ونظم ديمقراطية شاملة [٤].

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، العصر الهيلادي، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص٢٥.

(٢) رجب عبد الحميد الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقتهُ بالوطن العربي، جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢، ٢٠٠١، ص١٥. ؛ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، ط١، القاهرة، د.ت، ص ٣٤.

(٤) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج١، ط١، دمشق، ١٩٦٩، ص ص ١٨-٣٦.

وكما هو الحال في كل مناطق العالم قديمًا بل وحديثًا، كانت المدن اليونانية القديمة الداخلية تُنعت بالمتأخرة بسبب عزلتها عن العالم الآخر، بينما من البديهي أن تكون المدن الساحلية المطلة على البحر مدنًا متحضرة، وذات ثقافات مختلفة بحكم اتصالها بالعالم الآخر، ولاسيّما عالم ما وراء البحار، الذي استفادت منهُ بلاد اليونان أيما استفادة، فأصبحت تبعًا لذلك حضارة اليونان مدرسة أوربا قاطبة [١].

إذًا أدى البحر العنصر الأساسي المتحكم في تجارة اليونان وترحالهم إلى العالم الآخر، وانعكس ذلك على ثقافاتهم العامة، فبالنظر إلى بحر إيجه والدور الذي أداه بجزره المنتشرة حولهُ، نجد الأثر واضحًا في بلاد اليونان، فعبور ذلك البحر حقق لبلاد اليونان رغبتهم في الاتصال بالعالم المجهول، فعبروه إلى مناطق الشرق والجنوب، واستطاعوا أن يتصلوا بالحضارات العربية المختلفة سواء حضارات بلاد الشام أم بلاد الرافدين أم الحضارة الفرعونية في مصر القديمة [٢].

لم يستطع الإغريق في العصور الأولى من تاريخهم تذليل الأرض التي يقطنون عليها بالزراعة، إلا مساحات صغيرة جدًا منها لا تكاد تسد حاجات ساكنيها، كل ذلك كان بسبب طبيعتها الصخرية ويؤكد ذلك ديلاس أوليدي **(Delas Olady)** نقلاً عن هوميروس (**Homerous**) في الأوديسة (**Odessa**) (**بأنها خشنة ولكنها أم الرجال وأحلى أرض عندي**)[٣]؛ ولهذا كان لزامًا على سكان تلك الأرض أن يبحثوا عن محاصيل بعينها تناسب تلك الأرض من أجل استفادة أكبر قدر ممكن، وتحدد لنا المصادر التاريخية، بعض المناطق التي تحتوي تربة خصبة في مساحة شاسعة إذا ما قورنت بمساحة المدينة نفسها، فيذكر ثوكوديدس (**Thokodedes**) المناطق الآتية: تساليا، بيوتيا (**Piutia**)، والجزء الأكبر من البلوبونيز ما عدا أركاديا (**Arkadia**) [٤].

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص٣٥.

(٢) ديلاس أوليدي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، تر. وهيب كامل، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، د.ت، ص ص٦٢-٦٣.

(٣) خليل سارة، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠٦-٢٠٠٧، ص٥٢.

(٤) خليل ساره ، المرجع السابق، ص٥٢، نقلاً عن ثوكوديدس.

وعلى الرغم من أن الزراعة لم تكن المورد الرئيس لاقتصاد المقاطعات والمدن اليونانية، إلا أن الإغريق تميزوا بإيجاد أفضل الوسائل التقنية في كل المجالات حتى في مجال الزراعة، فقاموا بتصنيف التربة وتحديد أنسب المحاصيل لها، واهتموا باتباع الدورة الزراعية الفصلية، وعرفوا طرقًا فعّالة لمكافحة الآفات الزراعية، وقاموا بتجفيف المستنقعات لاستصلاح مساحاتها وحفروا الترع وشقوا القنوات لتنظيم أعمال الري (١).

وبالنظر للتطور التاريخي لبلاد اليونان سيجري التركيز بإيجاز على الهجرات اليونانية لجماعات مختلفة داخل بلاد اليونان من أجل توضيح الدور الذي قامت به كل مجموعة من تلك المجموعات في بلاد اليونان.

إن معظم شعوب العالم القديم كانت في معظمها عبارة عن مجموعات بشرية، جاءت في وقت واحد على صورة هجرات متلاحقة، بسبب ما كان يشهدهُ العالم القديم بأسره من عدم استقرار سياسي واقتصادي ، ومن جملة ذلك العالم كان العالم اليوناني الذي تكوَّن في الأساس من هجرات عناصر أيونية وأيولية ودورية، والتي لم تستقر في بلاد اليونان فقط بل واصلت جماعات منها مسيرة هجرتها حتى أسهمت في نشوء مجتمعات أخرى خارج بلاد اليونان، خصوصاً في مصر وليبيا القديمتين، وتُعد الحضارة المينوية التي نشأت في كريت هي أقدم الحضارات اليونانية وأعرقها (٢)، *إلى أن جاء الآخيون فقضوا على المينويين أصحاب الحضارة الأقدم في كريت، وأقاموا بدلاً منها الحضارة الموكنية التي لم تنفصل انفصال كلي عن الحضارة المينوية (**Menawia**)، وعليه أصبح الآخيون (**Akhia**) في ١٤٠٠ ق.م أسياد البلوبونيز، فأغاروا على سواحل آسيا الصغرى في نحو ١٣٠٠ ق.م، وهاجموا مصر عام ١٢٢٣ ق.م تحت اسم شعوب البحر، واستفادوا من الحضارة الفرعونية أيما إفادة، ويُعد الآخيون هم أول عناصر يونانية تقيم المستعمرات وأماكن الاستيطان سواء في قبرص أم في رودس أم في ميليتوس، وبالقرب من مصب نهر العاصي بسورية كان مركز تجارتهم مع السهول المجاورة* (٣).

---

(١) خليل سارة، المرجع السابق، ص٥٢ ؛ رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص٨١ ؛ وللمزيد عن الاقتصاد اليوناني القديم ، انظر: خليل سارة، دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م ، جامعة دمشق ، دمشق ،١٩٩٧-١٩٩٨ ، ص ص٣٤-١٠٤

(٢) خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، جامعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ص٨.

(٣) رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص ٨٥-٨٦.

توافد على بلاد اليونان بعد الآخيون وسقوط الحضارة الموكينية أجناس أخرى أسهمت في إكمال فسيفسائية بلاد اليونان فجاء التساليون ومن بعدهم البويوتيون ومن ثم جاء الدوريون [1].

وفي النصف الثاني من القرن الثامن ق.م ظهرت الحضارة الإغريقية الكلاسيكية التي ازدهرت بصورة فائقة بسبب ما عُرف عن الإغريق من تنظيم، وأدت المدينة الحرة المستقلة أو دولة المدينة أهم دور في ذلك الازدهار، إذ إنهُ مع حلول القرن الثامن ق.م أقام الإغريق في مدن منظمة تنظيمًا دقيقاً، مثّلت لدى كل فرد إغريقي الوحدة السياسية الأساسية، تلك المدن الحرة المستقلة ذات الطابع الدولي كانت شبيهة إلى حد بعيد بالمدن الموكينية التي قامت في كريت، سواءً من حيث اختيار مواقعها على الساحل من أجل أن يحققوا الأمن، أم من حيث وقوعها على أرض مرتفعة ليسهل الدفاع عنها [2].

لقد أعطت الجبال الإغريقية المتداخلة والكثيفة لكل مدينة إغريقية مستقلة حصنًا صلبًا يحميها من غارات المتربصين، وكان يوحِّد تلك المدن الدول عامل واحد هو اللغة الإغريقية، لكن ذلك العامل لم يحقق الوحدة الكاملة، بل نجد على مر المراحل التاريخية نشوء صراعات بين تلك المدن من أجل تثبيت ملكيتها الخاصة للأرض التي تحيط بها [3].

*تعاقبت المدن اليونانية المستقلة في زعامتها للمدن اليونانية الأخرى داخل بلاد الإغريق من أرجوس (**Aragos**) إلى أثينا (**Athina**) إلى إسبرتا (**Esparta**)، وأخيرًا إلى طيبة (**Tiba**)، لكن المهم في الموضوع برمته أن كلاً من تلك المدن لم تحقق لبلاد اليونان الوحدة السياسية التامة، وهذا يعني أننا نشير إلى أن هناك مدينة ظهرت بعد طيبة واستلمت الزعامة منها فحققت ما لم تستطع المدن الكبرى والأقوى فعلهُ، وهو توحيد بلاد اليونان قاطبة تحت لواء واحد، ونحن نشير هنا إلى مقدونيا، المدينة التي كانت مهمشة في بلاد اليونان، لكنها قدَّمت للعالم القديم ملوكًا عظام أمثال آركلوس (**Arklos**) (٤١٣-٣٩٩ ق.م)، وفيليب الثاني (**Filipus II**) (٣٥٩-٣٣٦ ق.م)، وآخرهم*

---

(١) عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، القاهرة، ط١، ١٩٦٨، ص٥.

(٢) رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص٨٨.

(٣) سليم حسن، مصر القديمة، ج١٢، في عهد النهضة المصرية ولمحة في تاريخ الإغريق، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص ٥٣٨.

*الإسكندر المقدوني (٣٣٦-٣٢٣ ق.م) الذي يعد من أهم شخصيات التاريخ القديم، والمقدونيين كانوا منذ البداية رغم تهميشهم في بلاد اليونان والمدن اليونانية يعدّون أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من بلاد اليونان، فلغتهم يونانية على الرغم من أن معظم اليونانيين لا يفهمونها، ربما لأنها كانت بلهجة مختلفة، وكان معظم الملوك المقدونيين حريصين على إدخال معالم الحضارة الإغريقية المختلفة على مقدونيا، وكانوا على علم بكل ما يحدث في بلاد اليونان من تقلبات سياسية، وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن المقدونيين كانوا يعملون في صمت من أن يأخذوا دورهم السياسي داخل بلاد اليونان، فجاءت الفرصة مواتية لفيليب الثاني والد الإسكندر الأكبر الذي زحف إلى بلاد اليونان فأسقط مدنها واحدة تلو الأخرى، فأخضع أثينا وطيبة في موقعة خايرونية (**Chaeronia**) (**شكل ١**) في بيوثيا سنة ٣٣٨ ق.م فجمع بعدها كل بلاد اليونان تحت لواء مقدونيا إلا إسبرطة التي دعيت إلى مؤتمر كورنث (**Korenth**) الذي عقدهُ فيليب من أجل إعطاء الشرعية السياسية لمقدونيا من أجل قيادة بلاد اليونان، واسترداد ما سلبهُ الفرس من مدن يونانية، بل والزحف إلى بلاد فارس نفسها، لكنه اغتيل على يد أحد حاشيته، فسقط صريعاً ثَّم تولى المسيرة ابنه الإسكندر الذي فاق والدهُ دهاءً وحنكة رغم صغر سنه* [1]، وسيكون الفصل الأول من هذا البحث مخصصًا للإسكندر وفتوحاته الكبرى في أرجاء العالم القديم ولكن ما نوع العلاقات المصرية الإغريقية قبل الغزو المقدوني؟.

(١) سليم حسن، المرجع السابق، ص٦١٨-٦١٩. وللمزيد من المعلومات، انظر، أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، تر. رمزي جرجس، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٩١.

ثالثًا: لمحة تاريخية من العلاقات المصرية الإغريقية قبل الغزو المقدوني

عرفت مصر مثلها مثل سائر أقطار العالم القديم الأجانب كوافدين عليها ومستقرين بها وقد تدخل هؤلاء الأجانب في كل شأن من شؤون البلاد وعملوا في مختلف أوجه النشاط وعلى وجه الخصوص في الناحية العسكرية (١).

وقد عرف الإغريق مصر قبل قدوم الإسكندر الأكبر لها، وبدأوا يتصلون بها ويهاجرون إليها ويستقرون بها منذ أواخر القرن الثامن وبداية القرن السابع ق.م، وقد لاقى قدوم هؤلاء الإغريق قبولاً لدى ملوك العصر الصاوي، إذ كانوا يشجعون الأجانب على الوفود إلى مصر للاشتغال بالتجارة والجندية (٢). *واتسمت علاقة المصريين بالإغريق بمظاهر متعددة خلال تلك القرون التي تلت القرن السابع ق.م، تلك العلاقات كانت تحددها الأوضاع السائدة حينذاك، فلقد بدأت تلك العلاقات متسمة بطابع اقتصادي، عندما هجر ملوك العصر الصاوي السياسة المصرية الضيقة التي كان ينتهجها الفراعنة، وفتحوا أبواب مصر على مصراعيها لتجارة العالم* (٣). *ثم ما لبثت هذه العلاقات أن تحولت سريعاً لتشمل النواحي السياسية والعسكرية، إذ أنهُ من الثابت استخدام ملوك الأسرة السادسة والعشرون للجند المرتزقة، من الأجانب عامة ومن الإغريق خاصة* (٤).

ولقد كان ملوك الأسرة السادسة والعشرون هم أول من فتح المجال للإغريق للعمل بحرية داخل الأراضي المصرية القديمة، وسار على نهجهم ملوك الأسر التي جائت بعدهم، فقد رحب ملوك الأسرتين التاسعة والعشرون والثلاثون بالجند المرتزقة والتجار الإغريق وفتحوا لهم أبواب مصر، وعلى هذا فقد استمر وفود هؤلاء الإغريق خلال القرن السادس ق.م (٥). نخلص من هذا إلى أن مصر قبل قدوم الإسكندر المقدوني، لم تكن بعزلة عن العالم الخارجي، فقد استطاعت خلال العصر الصاوي وأثناء فترتي السيادة الفارسية، وإبان أعوام الاستقلال التي فصلت بين هاتين الفترتين أن تتصل اتصالاً وثيقاً بالعالم الخارجي.

---

(1) S. Davis, Race – relations in ancint Egypt, Landon,1951, P.18.

(2) S. Davis, Op. Cit. P. 21.

(٣) جون ولسون، الحضارة المصرية، المرجع السابق، ص ٤٦٢.

(4) Zaki Ali, Naukratis, Etudes de Papyrologie, VII, 1946, PP. 73 FF.

(٥) عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، القاهرة، ج ١، ١٩٦٢، ص ٢٣٩.

*استطاع مجموعة من تجّار مدينة ميليتوس (**Miletos**) من طريق الإبحار من بحر إيجة نحو ٧٢٥ ق.م أن يصلوا إلى مصاب نهر النيل، ولاسيّما مصبه الغربي عند (أبي قير) لسهولة الاتصال به* [١].

إن ما ذكرناه لا يعني أن هذا الحدث التاريخي يمثّل أول اتصال حقيقي بين العناصر اليونانية ومصر القديمة وإنما ربما أول اتصال حضاري ثقافي اقتصادي، ذلك أنه في عهود سابقة منذ عهد أول الأسرات المصرية القديمة أتت عناصر من بحر إيجة، فهاجمت مصر وحاولت نهبها تزامنًا مع غارات أخرى من مناطق مختلفة أطلق عليها المؤرخون والباحثون اسم شعوب البحر؛ لأن اتصالهم بمصر كان عن طريق البحر، وقد اختلف الباحثون كثيرًا في أصول تلك الشعوب غير أن معظمهم اتفقوا على أنها عناصر يونانية كانت تبحث عن أراضٍ استيطانية، إلا أن ملوك مصر الأوائل استطاعوا صدهم كغيرهم من العناصر الأخرى التي حاولت غزو مصر.

*لقد عمل اليونانيون الأوائل الذين زاروا مصر على أن يكون لهم مراكز تجارية في مختلف مناطقها، غير أنّ ما يهمنا هو المركز الأساسي لتلك العناصر والذي مثل العمود الفقري للاقتصاد اليوناني في مصر القديمة ونحن نشير بحديثنا إلى مدينة نقراطيس (**Nkraties**) التي أسسها تجار ميليتوس اليونانية على مقربة من مدينة سايس (**Saes**) أوصا الحجر، والتي عرفت في البداية باسم قلعة أهل ميليتوس، ويذكر الباحث **نصحي نقلاً عن استرابون** (**Strabon**) أن هذه القلعة أُقيمت في عهد بسماتيك الثاني (**Psmatik II**) قرابة ٦٥٠ ق.م* [٢]، وتُعرف الآن باسم كوم جعيف (**Kom Gaaf**) بمحافظة البحيرة، وقد كانت هذه المدينة سببًا في إثراء مصر وحكّامها، وكذلك أُستعين بأهلها في تجنيد المرتزقة لمواجهة تهديد ملوك نباتا والآشوريين.

على الرغم مما ذُكر عن الاستفادة المادية الاقتصادية التي كانت تجنيها مصر القديمة وملوكها من النشاط الاقتصادي الإغريقي داخل مصر وعلى حدودها، *إلا أن الإغريق في المدة المتأخرة من الوجود الفارسي داخل مصر، كانوا أعوانًا للفرس لدخولها مرة أخرى تحت اسم الغزو الفارسي الثاني، ولاسيّماً أثينا وجنودها الذين عملوا كمرتزقة في الجيش الفارسي، فيذكر لنا **سليم حسن** أن الحملة الفارسية اليونانية اكتملت في عام ٣٧٤ ق.م في عهد الملك المصري نقطانب الأول، وعلينا أن نلفت الإنتباه إلى*

---

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، ط٧، ١٩٩٨، ص٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣.

أن اليونان حلفاء الفرس كانوا في الزمن القريب حلفاء مصريين، وكانوا على علم ببعض مداخل ومخارج مصر بحكم تجوالهم الدائم بها، وقد كانت القيادة الحربية برًا وبحرًا موزعة بين القادة الفرس واليونان [1]، لذلك حدث الإنشقاق في صفوفهم رغم قوتهم، واستطاع الملك نختنبو الأول (**Nkhtenbo I**) تشتيت وحدتهم والقضاء عليهم وملاحقتهم، وقد قدَّر الباحثون عدد المرتزقة اليونان قرابة عشرين ألف مقاتل، كذلك استفاد الفرس من الخبرات اليونانية في مجال الإبحار فقد كانت ثلاثمئة (٣٠٠) سفينة من ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف ترافق الحملة ومن المرجح أن ملاحيها من اليونان [2].

وتأكيدًا لما سبق فإن الدلائل التاريخية تؤكد أن نختنبو الأول فرض ضرائب باهظة على تجار مدينة نقراطيس في مصر القديمة وخصص جزءًا منها هدية لكهنة معبد الإلهة نيت (**Neet**) في سايس الذين ساعدوا الملك في صده للتحالف الفارسي الإغريقي، ودليل ذلك العثور على نقش مكتوب بكل عناية ودقة في مدينة نقراطيس يبين الضريبة التي فرضت على الواردات إلى هذه المدينة وعلى البضائع التي تُصنع بها هي ١٠%، وتُخصص الإيرادات من هذه الضريبة للإلهة نيت بسايس (٣).

اتبع الملك تاخوس (**Takhos**) أسلوبًا مغايرًا تمامًا لأسلوب والده نختنبو الأول في معاملته للإغريق في مصر وخارجها، فأعاد ربط صلاته مع كلاً من إسبرطة وأثينا، واعتمد عليهما في تجنيد أعداد هائلة من الجنود المرتزقة مقابل مبالغ مالية هائلة(٤). يُقال بأنهُ حصل عليها من فرض الضرائب وإلغاء امتيازات كهنة سايس التي أعطاها لهم والدهُ من قبله، واستولى على جميع ما في المعابد من معادن ثمينة، لاستغلالها في الأمور العسكرية ودفع رواتب الجند المرتزقة [5]. ويقدر الباحثون أعداد المرتزقة

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك، الكافي في تاريخ مصر القديم، المرجع السابق، ص٢٣٣؛ أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، المرجع السابق، ص١٦٩.

(٢) محمد بيومي مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعرفة الجامعية، ج٣، ط٤، القاهرة، ١٩٨٨، ص٦٨٦.

(٣) عبد الحليم نور الدين، دراسات في تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة، د.ت، ص ص٣٢٨-٣٢٩. وكذلك، محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٦٨٦.

(٤) أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٥) أحمد فخري، المرجع السابق، ص٤٦٧.

قرابة عشرين ألف (٢٠،٠٠٠) من أثينا، ومن إسبرطه ألف (١٠٠٠)، وهيأ تـاخوس نحـو ٢٠٠ إلى ٣٠٠ سفينة حربية من المحتمل أن تكون إدارتها إغريقية [١].

تقاسمت أثينا وإسبرطة قيادة تلك الأعداد الهائلة من الجند، فالألف الإسبرطي كان تحت قيـادة ملك إسبرطة العجوز أجسيلاوس (**Agselaws**) الذي قدم إلى مصر أواخر عام ٣٦٢ ق.م، وقـد بلغ من العمر الثمانين، أما الأسطول البحري، فكان بقيادة الخبير وشيخ المحاربين كمـا يُطلـق عليـه خابرياس (**Khaperyas**) الأثيني، وقد حدث نزاع بينهما حول القيادة العليا واسـتطاع تـاخوس الملك المصري حل ذلك الصراع بأن تولى هو شخصيًا تلك القيادة [٢].

ويبدو أن العلاقات المصرية اليونانية في عهد الملك تاخوس كانت متطورة إلى قدر وصول آثار هذا الملك إلى مدينة أثينا اليونانية، فقد عُثر فيها على عملة من الذهب الخالص صُكت باسم تـاخوس كالتي ضربها داريوس الأول، وقد صوَّر عليها الإلهة أثينا بقبعتها، وصورة بومة، وفي اعتقادي أن هـذه العملة كانت أنموذجًا للعملة التي صكها تاخوس والتي تقطع منها رواتب الجيوش المرتزقة، وربما ضُربت لكل جماعة من مرتزقته عملة خاصة بها وصوَّر عليها ما يتعلق بها من مقدساتهم، كذلك عُثر على نقش تذكاري في أثينا خاص بسفير يسمى تاخوس والمعتقد أنهُ الفرعون المصري تاخوس، ومن المـرجح أن يكون ذلك السفير مكلفًا من قبل الملك تاخوس للقيام بتلك الزيارة [٣].

فيما يخص التبادل الحضاري بين الجانبين لم يأتِ متزامنًا مع المرحلة التي اقتربت فيها الـسيطرة المقدونية على مصر، وإنما كانت موجودة من قبل فكلا الجانبين أثر في الآخر، غير أن قـدم الحـضارة الفرعونية وعراقتها جعلها الطرف الأقوى في التأثيرات، فيذكر أحد الباحثين أن التأثير الفرعوني يظهـر جليًا في المنجزات الحضارية للمجتمع الإغريقي، ولاسّيما في الجوانب العلمية، حيث تزامن ذلـك مـع اكتشاف البردي الذي اجتهد المصريون في تدوين ما توصلوا إليه على أوراقه التي حُفظت مجموعة كبيرة منها في العديد من متاحف العالم، ولم تقتصر الاستفادة فقط على الجوانب العلميـة وإنمـا تعدتـهُ إلى

---

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص٤٦٧؛ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص٢٣٧.

(٢) **Diodorus, XV, 90–92 L.C.L** ؛ نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣، ص٤٨٥.

(٣) سليم حسن، المرجع السابق، ص ص ٣٠١-٣٠٥.

الجوانب العملية الهندسية المعمارية، ولاسّيما في عملية بناء المعابد والقصور؛ لذلك نجد أن في تلك المرحلة حدث نوع من تطبيع العلاقات، وتعزيز الروابط الثقافية والحضارية بصفة عامة، كان ذلك عن طريق وصول عدد كبير من علماء وفلاسفة اليونان إلى مصر، وهذا ما أكدهُ هيرودوت في كتابه وصف مصر [1].

ولقد زار ***هيرودوت*** *مصر في مرحلة متأخرة أثناء الوجود الفارسي، وحقيقة حدثنا كثيرًا عن ما لمسهُ فيها في تلك المرحلة إلا أن اعتمادهُ في كثير من الأحيان على الرواية الشفهية التي يأخذها عن أفواه السكان العاديين أو من كهنة المعابد أفقدهُ كثيرًا من المصداقية التاريخية، فالكثير من باحثي التاريخ اليوم يشككون فيما أتى به هذا المؤرخ الرحالة اليوناني، مع ذلك يظل تاريخهُ سواء عن مصر أم غيرها من بقاع العالم القديم أساسًا يستحيل الاستغناء عنهُ* [2].

*إن العلاقات الطيبة التي نشأت بين المصريين والإغريق في المرحلة الصاوية أدت إلى جلب العديد من الطامعين، ليس في ملك أو مال وإنما في العلوم والفلسفة، فزار مصر (كما تذكر بعض المصادر) كلٍ من الفيلسوف الإغريقي طاليس (****Thales****)، وفيثاغورس (****Phetagors****)، وفرقوديس (****Pherecydes****)، وهيراقليتوس (****Heraclitos****)، وأناكساجوراس (****Anaxagoras****) وأفلاطون وديموقريتوس (****Pemocritos****)* [3]. وظلت الاستفادة منحصرة في بعض الجوانب العلمية والعملية والفلسفية المحدودة على الرغم من أهميتها، لكن الاستفادة الكبرى والتبادل الأكبر سنشهدهُ فيما بعد في عهد البطالمة في مصر باعتباره عنصرًا أساسيًا في هذا البحث وهذا ما سيجري تناوله لاحقاً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا متى وكيف تزعمت مقدونيا بلاد اليونان؟ وما هي نشأة الإسكندر المقدوني وأثرها في توليه العرش المقدوني؟ وما هي أهم الاستعدادات والخطوات التي اتخذها من أجل بسط نفوذ مقدونيا وتداعياته على مقدونيا وبلاد اليونان؟

---

(١) تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الكتاب الثاني (وصف مصر)، ٢٠٠١م، ص١٨٠؛ محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، المرجع السابق، ص ص١٩٠-١٩١ ، هوامش، وزيادة للمعلومات، انظر، خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، المرجع السابق، ص ص١١-١٣.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، المرجع السابق، ص ص ٨-٩.

(٣) إبراهيم نصحي، المرجع السابق ، ص ص٩-١٠.

الفصل الأوَّل

مقدونيـا من زعامة بلاد اليونان إلى التوسع والسيطرة في عهد الإسكندر

- أولاً– زعامة مقدونيا لبلاد اليونان.
- ثانياً– الإسكندر المقدوني (المولد والنشأة وتولي العرش).
- ثالثاً– الإسكندر المقدوني واستعدادات الحملة.

أوَّلاً- زعامة مقدونيا لبلاد اليونان:

أشار **كيتو (Kito)** إلى الحالة التي آلت إليها بلاد اليونان قبل الغزو المقدوني للشرق وحتى قبل تسلط مقدونيا على بلاد اليونان نفسها، فذكر *أن دويلات المدن الإغريقية كانت في صراع وعدم استقرار سياسي فيما بينها أدى إلى إضعاف اليونان، وذلك قبل عام ٣٦١ق.م فقد كانت أثينا سبباً في خراب إسبرطه والعكس صحيح، وكانت آثينا سبباً أيضاً في خراب طيبة، وكانت كل دول اليونان القوية في تلك الآونة لا تتمنى انفصال حلفائها عنها خشية من انضمام حليفها إلى عدوها، وأصبح حب الاستبداد، ولاسّيماً السيطرة على الاتحاد العمومي اليوناني هو هاجس كل مدينة يونانية* [(١)]، *وفي كل هذه الأحداث حاولت كلاً من أثينا وبركلس وهما من أعظم المدن اليونانية قاطبة، الحد من الجور والتسلط فأسهمتا بصورة كبيرة في إنعاش بلاد اليونان سياسياً واقتصادياً، فلم ير اليونان زمناً أحسن من عهد سلطتهما، أما إسبرطه، فقد نقمت وتحاملت على جميع بلاد اليونان أيام استبدادها، وأما أهل ثينة (Thena) وتسبيا (Tespia) وبلاتيا (Platia) وأرخومينيا (Arkhomenia)* ، *فقد تجاوزوا حدَّ الإسبرطيين بالظلم والعبث، فكان مقصدهم مثل إسبرطه، بلوغ السلطة بالقوة، وهذا مؤشر صريح بأن الاتحاد اليوناني كان من الصعوبة أن يتحقق، حتى لو أصاب بعض المدن اليونانية نوع من الاستقرار والرخاء* [(٢)].

استطاع مواطني اليونان في عام ٣٦١ق.م تحسين أوضاعهم الاقتصادية عن طريق الاتصال المباشر بين أجزاء العالم اليوناني، وإن كان اتحادهم الكامل مازال بعيد المنال، غير أنه لم يعد هناك ذلك التسلط الذي تبادلته المدن اليونانية التي أصبحت تكون فيما بينها اتحادات منفصلة، اختلف بعضها عن الآخر، إلا أن العدل والإنصاف كان أساس معظمها، فأصبح لكل السكان في أثينا الحق في إعطاء آراءهم في المجلس العمومي [(٣)]، *وفي هذه الأثناء استقلت مسينا (Mssina) عن إسبرطة، فلم يعد لإسبرطة جنود أرقاء مرتزقة، ومن ثّم لم يعد هؤلاء الجنود يستطيعون إقلاق راحة ملوك إسبرطة بثوراتهم، وأما الأركاديون (Erkadi)، فلم يبقوا مكتوفي الأيدي، حيث إنهم كانوا موزعين على نحو*

---

(١) هـ . د . كيتو، الإغريق، تر. عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٦٢، ص ص ٨٠- ١٠٠.

(٢) جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، دار الكتب الظاهرية الأهلية، دمشق، ١٨٧٦ ،ص١٧٧.

(٣) للمزيد، انظر، عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، العصر الهيلادي، المرجع السابق ، ص ص ٢١- ٢٤.

أربعين قرية، فقاموا بالسكن جميعاً في ميجالوبوليس (Megapolies) ومعنى اسم هذه المدينة (المدينة الكبرى)، فامتنعوا بذلك عن الإسبرطيين وسكان البلوبونيس (Ploponis)، وأما الكورنثيين أهل كورنثة (Korentha)، فعملوا على نشر السلام وتوسيع التجارة وتحسين الاقتصاد، وتبعهم في ذلك أهل آرغوس، وجدد أهل آخيا (Akhia) اتحادهم القديم وأرسوه على أسس المساواة والعدل والإخاء، وأما العصبة البيوتية فقد أصبحت في طاعة طيبة، وعملت أثينا على توسيع تجارتها واستقطاب حلفاءها القدماء مثل القرطاجيين بسياسة حسنة التصرف [1].

إذاً لم تستطع المدن الثلاث الكبرى في بلاد اليونان متمثلة في إسبرطة وأثينا وطيبة أن تحقق الوحدة السياسية على مدى نصف قرن، ولم تستطع أن تنشر السلام الحقيقي في العالم اليوناني، بل كانت سبباً أساسياً في زعزعته في كثير من الأحيان، ونتيجة الصراع الدائم بين تلك المدن اندثرت قوتها تدريجياً، حتى بات الفراغ السياسي والعسكري هو السمة السائدة في بلاد اليونان، وهذا تطلب وجود زعامة قوية تملأ ذلك الفراغ، فحاولت أثينا جاهدة دون جدوى، لذلك تقدمت قوة جديدة اختلفت اختلافاً كاملاً عن سابقاتها من المدن اليونانية وهذه القوة عرفت بالقوة المقدونية [2].

ليس للشعب المقدوني أصل محدد، لكن معظم الباحثين يظهرونه على أنه مزيج من اليونان والبرابرة الذين كانوا يسكنون إيليريا وآبيزة ولما انقض الهلينيون على بلاد اليونان استطاعت أن تثبت إحدى القبائل في الجنوب الغربي من مقدونيا على مجرى نهر اليقمون (Yacmon)، وأريغون (Aregon)، وتعرف بالقبيلة الإيليرية البيوتية التي ينسب أهلها أنفسهم إلى الطروادين، أما من ناحية الجنوب، فكانت مقدونية مأوى لكل من التراقيين والكراستونيين والإيدونيين والبيزلتيين والسيثونيين، وعليه ضاع النسل اليوناني الأصيل وسط هذه القبائل التي لم تكن في جملتها يونانية بل إن هيرودوت لم يسميهم هلينيين، لكنهم استطاعوا بسرعة أن يحذوا حذو اليونان، ويمتزجوا بهم غير أنهم لم يحسنوا في كثير من الأحيان لفظ بعض الأحرف اليونانية، ومن ثم فإن شعب مقدونية أصبح يؤلف بطوناً عدة لكل

---

(١) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص١٧٨.

(٢) إبراهيم السايح، تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الأزرطية، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٨-١٩٩٩م، ص١٧١.

منها رئيس وكان أعظم هذه البطون يسكن حول بحر إيجة، وكان من العار عند هذه القبائل ألاّ يقتل الإنسان في خلال حياته عدواً له أو لقبيلته، ومن لم يستطع ذلك يميز بإشارة مهينة [1].

دخلت مظاهر الحضارة اليونانية في القرن الرابع ق.م داخل قصور الملوك المقدونيين، وتطورت ونمت موارد البلاد الاقتصادية، ولاسّيماً بعد التبادل التجاري مع مدن بلاد اليونان المختلفة، مع ذلك وضعوا حداً للمؤثرات السياسية وحالوا دون تطرقها إلى النظم السياسية المقدونية المتعلقة بنظام الحكم الملكي المطلق، وقد أنشأت المدن اليونانية الكبرى العديد من المراكز التجارية على السواحل الجنوبية لمقدونيا، لذلك كثيراً ما عدّ المقدونيون الإغريق المهدد الأول والخطر الأكبر على أمنهم، ولاسّيماً أن المدن الكبرى مثل أثينا وإسبرطة كانت كثيراً ما تحاول الاستفادة من مقدونيا في صراعها من أجل السيطرة [2].

وظلت مقدونيا دولة مصابة بالتفكك تعاني في داخلها ما عانت منه بلاد اليونان نفسها، واستمر ذلك الوضع قائماً في القرن الخامس ق.م، ولم تعرف أثناءه مقدونيا الوحدة السياسية، ولم ينتهِ ذلك الوضع إلا بعد تولي بعض الملوك المحنكين سياسياً عرش مقدونيا، فاستجابوا لما هو موجود من تحديات سياسية محيطة بهم، وحاولوا وضع الدعائم الأساسية لبناء دولتهم القوية المتماسكة، ولاسّيما في المجالات الاقتصادية والعسكرية [3].

لقد كان مصير مقدونيا مرتبطاً بالسياسات الدولية السائدة في العالم الهليني، فقد أُنقِذت مقدونيا حسبما يذكر **توينبي** مرتين، كانت فيها مقدونيا على شفا الإنهيار السياسي لولا الإجراءات التي اتخذها بعض الدول الهلينية من أجل إنعاش مصالحها الذاتية، في المدة ما بين محاولة الإمبراطورية الفارسية ضم بلاد اليونان الواقعة في الجانب الأوربي إليها بداية القرن الخامس ق.م، وبين تولي فيليب الثاني عام ٣٥٩ق.م عرش مقدونيا، وكان من المحتمل جداً أن تندمج مقدونيا في جسم الإمبراطورية

---

(١) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص١٧٩؛ محمود فهمي، تاريخ اليونان، مطبعة الغد، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص ١٣٩- ١٤٢.

(٢) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص١٧٣.

(٣) إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص١٧٣؛ نجيب إبراهيم طراد، تاريخ الدولة المكدونية، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦، ص ص ١٧ -٣١.

الفارسية وتكون ولاية فارسية بمفردها، لولا الهزيمة التي مني بها الملك الفارسي إكسركسيس (Exerksies) في عام ٤٨٠-٤٧٩ق.م أمام الحلف الهليني في المدة ما بين نهاية عهد آرخيلاوس (Arkhilaws) وبداية عهد فيليب الثاني (٣٤٠ – ٣٣٦ ق.م)، فقد أنقذتها إسبرطة بتدخلها العسكري بعدما كانت تتهيأ للاندماج النهائي في اتحاد فدرالي كانت تسعى لتكوينه المدينة الدولة والمستعمرة الخلكيدونية أولينثوس (Olynthus) وكان هذا الحلف يتألف من مدن الدول الواقعة على امتداد الساحل الشمالي لبحر إيجة [١].

يُعدّ الملك فيليب الثاني هو المؤسس الحقيقي لدولة مقدونيا، الذي تلقى تعليمه العسكري في أفضل المدارس العسكرية في مدينة طيبة اليونانية، ثم عاد بعدها إلى وطنه، واستلم الحكم عام ٣٥٩ق.م، ومضى في وضع جهاز حكومي يمكنه من تولي الإشراف على سائر المدن الإغريقية، فعمل فيليب الثاني على تقسيم البلاد إلى دوائر إدارية، وأصبح لزاماً على كل مقدوني بالغ أداء الخدمة العسكرية، وكان من الواجب على كل دائرة إدارية أن توفر عدداً من الخيالة والمشاة، لكن النظام الإقطاعي ظل سائداً بقوة في مقدونيا، وكانت النخبة المجندة من النبلاء هي خيالة الهيتير (Hetir) (رفاق الملك). أما الملاكون الصغار فكانوا يجندون في المشاة وكان اسمهم البيزهيتير (Peshetir) (الرفاق الراجلون).أما أفقر الطبقات الهيباسبيت (Hepaspit) ، فكانوا مسلحين تسليحاً خفيفاً، وكانوا يمثلون الأكثرية في الجيوش المقدونية، ونتيجة لغنى مقدونيا استطاع فيليب أن يجند العديد من المرتزقة من تساليا وبايونيا (Paunia) وغيرها من المدن اليونانية وغير اليونانية [٢].

يذكر **مفيد العابد** أن فيليب الثاني عندما تولى عرش مقدونيا كان صغير السن، إذ لم يتجاوز عمرهُ العشرين عاماً، ويؤكد الباحث نفسه أنه كان نشيطاً طموحاً بارعاً بصورة كبيرة في أمور الحرب والسياسة، وذكر أنه عندما كان في طيبة، تتلمذ على يد أشهر القادة العسكريين أمثال أبامينونداس (Epaminondas)، وبلوبيداس (Pelopidas)، وخلص الباحث إلى أن فيليب تعرف أثناء تجواله ببلاد اليونان على أعظم فلاسفة اليونان قاطبة أمثال أفلاطون وإيسوقراط وأرسطو، وهذا الأمر أضفى

---

(١) أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ، المرجع السابق، ص.ص١٢٥-١٢٦؛ محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص ص ١٤٢ -١٥١

(٢) بسام العسلي، الإسكندر الكبير المقدوني، ٣٥٦-٣٢٣ق.م، دمشق، ط١، ١٩٨٠م، ص.ص٥٣-٥٤.

إليه خبرة سياسية ومهارة حربية جعلته يتغلب على كل منافسيه في الداخل، كما أن سيطرته على بعض مناجم الذهب والفضة أتاح له أن ينشئ أسطولاً بحرياً قوياً كان في أمس الحاجة إليه لمقاومة أقوى الأساطيل في المنطقة، بل وفي العالم القديم بأسره ألا وهو الأسطول الأثيني [1].

لقد كان المقدونيون في عهد فيليب محصورين في القارة الأوروبية بسبب العزلة المفروضة عليهم والتي أبعدتهم عن مراكز الحياة اليونانية السياسية، فقد كانت مقدونيا تمثل الجزء الأوسط من شبه جزيرة البلقان وتتألف من سهول واسعة مستوية يخترقها وديان ويحدها مسالك وعرة، وكان مناخها شديد البرودة، لكن ما يميزها وفرة الموارد الطبيعية بها، فهي تمثل بلاد زراعية من الدرجة الأولى، وهذا ما دعى فيليب الثاني إلى الإسراع في محاولة إنماء ثروة بلاده بفتحه مناجم الذهب، وتوحيد القبائل تحت عرشه، وعمل على تهيئتهم للحروب والتوسع، فدربهم تدريباً عسكرياً شاملاً، وبعد المرحلة التي ناهزت الخمس عشرة سنة التي قضاها في حروبه مع الدويلات الإغريقية، استطاع أن يظهر على الساحة اليونانية فارضاً نفسه ملكاً وقائداً عاماً لجميع بلاد اليونان في مؤتمر كورنثه ليتولى بذلك حملته: الضروس على بلاد فارس [2].

ليس من المستبعد أن أدب فيليب ومعرفته التي اكتسبها أثناء وجوده في طيبه جعلاه في أفضل الأحوال وأحسنها، فعندما عاد من طيبة لم يستلم حكم مقدونيا مباشرةً، بل كان وصياً على ابن أخيه، في وقت كانت فيه مقدونيا محاطة بالأخطار، ذلك أن أهل إيليريا تشجعوا بعد قتلهم للملك برديكاس أخ فيليب وأربعة آلاف مقاتل من جنده، وتهيؤوا لدخول مقدونيا من جهة الغرب، وعمل البيوتيون على تخريب البلاد من الجهة الشمالية والتراقيون أيضاً تهيؤوا للهجوم، والأثينيون تجهزوا لاسترجاع إمفيبوليس (Emfepolies)، وكانت مقدونيا – كما ذكرنا سابقاً – تعج في داخلها بالمشاكل، ولاسّيماً ظهور رجلان ادعيا الملك في مقدونيا يدعى الأول بوسانياس (Bosanyas) هذا الذي طردهُ

---

(١) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس، ٣٣٣-٦٤ق.م، دراسة سياسية حضارية، دار شمأل، دمشق، ط١، ١٩٩٣م، ص١٣.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، حضارة وادي النيل، دار المعلمين العالية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦م، ص٤٣٩؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، مقدمة في نظم الحكم في اليونان والرومان، مطبعة الثقافة، الإسكندرية ،١٩٥٨- ص ص ٥- ٣٧.

إيفقراطس (Efekrats)، ولجأ إلى ملك تراقيا ويدعى الثاني أرجيوس (Argeus) الذي أنجدته أثينا وأمدته بأسطول وثلاثة آلاف جندي تحت قيادة امنيتاس (Emnetas) [1]، كل هذه الأمور الخطيرة كانت تستوجب وجود رجل محنك سياسياً وعسكرياً، وهذا الرجل هو فيليب الذي استطاع إقناع الأثينيين من قطع مساعدتهم عن آرجيوس مقابل استقلال إمفيبوليس، ثم أجزل العطاء لأهل تساليا وإيليريا، فامتنعوا عن محاربة مقدونيا، وقد هاجم آرجيوس مقدونيا قبل انقطاع المساعدات الأثينية عنه فسار إليه فيليب وهزمه وقيل قتلهُ، وكانت بعض جيوش آرجيوش من الأثينيين، فعاملهم معاملة حسنة، وأمدهم بالهدايا وأعادهم إلى بلادهم، وأرسل معهم إلى أثينا، رسائل ودية اكتسب بها ود أثينا فعقد معها صلحاً ضمن به جانب أثينا المقلق ثم سار إلى بيوتيا وأخضعها، ولحقت بها إيليريا، ولما جرى له كل ذلك انتخبه الشعب ملكًا عليهم، وحفظ ابن أخيه الملك الشرعي في بلاطه ثم قام بتزويجه من ابنته، وهكذا نجا فيليب من إراقة دم ابن أخيه، وضمن بقاءه تحت رعايته، ثم إن أعماله العظيمة منحته محبة الشعب وثقتهم، فكان بنفسه يجمع العساكر ويدربهم على إتقان الحركات ويخاطبهم بكل ود، وبناءً على ذلك نجح في إدراك مقاصده [2].

إن سر نجاح الملك فيليب في تحقيق أهدافه إنما يرجع أساساً إلى شخصيته الفذة التي أذهلت ربوع العالم الإغريقي، بل العالم الأوربي القديم بأسره، وخير دليل على ذلك أنه حتى عدوه اللدود الأثيني ديموستينيز (Demosthenes) أثنى عليه، وذكره بما يليق به من التكريم والتعظيم، فقد كان دهاؤه لا يضاهيه دهاء ونشاطه وصبره فريدين، مما دعى بعض المؤرخين القدامى أو مؤرخي ذلك العصر، أمثال ثيوبومبوس (Theopompus) من جزيرة خيوس (khios) أن يدعوه بأنه أعظم رجل أنجبته أوربا حتى ذلك التاريخ، ولعلهم أصابوا جزءاً من الحقيقة، ولاسيّمًا في مضمار الدهاء السياسي، فقد بين ديموستينيز (Demostenies) كيف أن فيليب استغل الذهب الذي حصل عليه من بانجايوس (Pangaius) أيما استغلال، فقد ضمن به ولاء بعض ساسة المدن والدول الهلينية

---

(١) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص١٩٤.

(٢) ممدوح درويش مصطفى، إبراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية، اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٢٩.

الكبرى، كما ضرب به عدداً هائلاً من قطع النقود، مع ذلك يبقى هناك سبباً آخر ظل خفياً عن بعض المؤرخين القدامى ذكرهُ بعض الباحثين، وهو حرص فيليب ملك مقدونيا على التشبع بحضارة العالم الهليني الذي استطاع أن يخضعه لإرادته [1].

فيما يخص قضية مقتل فيليب، فإن الجدل حولها كان كبيراً جداً، ففي الوقت الذي كان يتجهز فيه فيليب للسير في حملة ضد الفرس، استشار وحي الآلهة، فأوحت إليه أن هناك ضحية مكللة ومذبح مهيأ ومضحي منتظر، فلما سمع فيليب ذلك ظن في نفسه أنه خراب العجم من أعدائه الفرس وغيرهم، لذلك أصر فيليب في تلك الأيام على الاحتفال بالأعياد العظيمة، وأقام الولائم والألعاب ومطارحة الشعر، دعا لذلك الاحتفال جميع أصحابه من اليونان، وكانت احتفالاته مشتركة بين الابتهاج بمسيره إلى بلاد فارس، وزواج ابنته كليوباترة (Klupatra) بالإسكندر ملك إبيزة (Epeza)، فأهالت الجموع إلى محافله ملبية الدعوة، وعندما بدأ الاحتفال طلب فيليب من أحد الشعراء أن يسمعه ما عنده من الشعر، فأنشده ما ترجمته: (**يا من ترفعت نفسك إلى السماء، وأنت تنظر متكبراً إلى اتساع سلطتك، فتبني قصوراً فوق قصور وتظن أنك خالد، وها هو الموت يسرع مقبلاً إليك، ليلقي أعمالك وآمالك الطويلة في ظلام الخيبة**)[2]، فطرب فيليب لهذا الكلام، معتقداً في نفسه أنه موجه إلى ملك الفرس، وقد قُدمت لفيليب أثناء الاحتفالات كثير من أكاليل الذهب، أبرزها إكليل الأثينيين الذي كتب عليه (**من خان فيليب حيوه...**)، وعندما انتهت محافل الطعام أُجلت الألعاب إلى اليوم الثاني، (**شكل ٢**)، ولما أتى الصباح أقيم احتفال ديني كبير عرضت فيه صورة الآلهة الاثنتي عشرة[*] التي صنعها أمهر صناع اليونان مزينة بالحلي الثمينة، ثم جاء تمثال فيليب بعدها وهو جالس على عرش

---

(١) أرنولد توينبي، المرجع السابق، ص.ص١٢٧-١٢٨؛ فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضاراته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ ق. م ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٨٠، ص ص ٢١٦- ٢١٧.

(٢) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص٢١٢.

(*) الآلهة الاثنتي عشرة عرفت باسم الآلهة الأولمبية، وهي التي اعتمدت عليها العبادات الفعلية في بلاد اليونان، وبالرغم من أن الآلهة اليونانية كانت كثيرة إلا أن أغلبها، كان أشبه بالفلكلور منها إلى ممارسات دينية، وكانت الآلهة الاثنتي عشرة والمتمثلة في (زيوس – أثينا – أفروديت أوفينوس – آريس – هاديس – بوسايدون – نيتون – فولكانو – دمتير – أبولو – أيرورا – برسفونية) مصدر الميثيلوجيا اليونانية، انظر: http: //ar.wikipedid.org

*كالآلهة، ولما دخل فيليب ذلك الحفل كان لابساً ثوب أبيض، وأمر حراسه بالابتعاد عنه وكان يقصد من وراء ذلك أن يؤكد لقومه محبة اليونان له وأنه آمن على نفسه منهم، فانقض عليه حينئذٍ شاب وطعنهُ في جنبه فقتلهُ وكان القاتل من أعيان مقدونيا واسمه (بوسانياس) (Posanyas) (**شكل ٣**)، وقيل إن سبب هذا الفعل الشنيع أن فيليب لم ينصف هذا الشاب من أحد خصومه، فانتقم منه أن قتله، وهناك من اعتقد أن الفرس واليونان رشوه ليفعل ذلك، وأما الرأي الآخر فيقول بأن زوجته أولمبياس هي من دبرت عملية قتله، ذلك أن فيليب تزوج عليها امرأة أخرى؛ وهي بنت أتالوس (Atalos) أحد قواده، فنقمت عليه أولمبياس (Olempias)، لأن عادة الاقتران والزواج بأكثر من واحدة كانت جديدة في مقدونيا، فقتلته تشفياً وانتقاماً، وكان عمر فيليب حينئذٍ سبع وأربعين عاماً وكانت مدة ملكه أربع وعشرين سنة* [1].

كان فيليب أول ملك مقدوني يرأس بلاد اليونان كاملة بإقرار من جميع مدنها باستثناء إسبرطه، فهو الذي نظم شؤونها وحدد سياستها الخارجية، وقرر فيها أمور الحرب والسلم؛ لذلك استحق أن يكون أهم الساسة الذين أثروا في تاريخ اليونان بسيطرته على بلاد اليونان وتكوينه اتحاداً منهم بقيادته ضد الفرس، ووضع حداً لنظام المدينة اليونانية كما كان في القرون الأربعة السابقة [2]. ولكن كيف كانت نشأة الإسكندر المقدوني، ومتى تولى العرش وما دوره في بناء قوة مقدونيا وتعزيزها وتداعيات ذلك كله على مقدونيا وبلاد اليونان؟

---

(١) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص٢١٣؛ فادية محمد أبو بكر، دراسات في العصر الهلينستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ص ٦١- ٩٣.

[2] إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص.ص١٨٠-١٨١.

ثانياً- الإسكندر المقدوني (المولد والنشأة وتولي العرش)

يعدّ الإسكندر المقدوني في صفحات مؤرخي التاريخ القديم والحديث من أعظم الشخصيات قاطبة، ولد ونشأ في منتصف القرن الرابع ق.م في مرحلة كان العالم اليوناني يشهد مرحلة تطور هامة شملت مناحي الحياة عامة السياسية منها والاجتماعية؛ لذلك اقترنت نشأته بنوع من التجربة اليونانية هذه التجربة التي شهدت نهاية واضمحلال نظام المدنية اليونانية [1].

*تولى الإسكندر عرش مقدونيا بعد اغتيال والده فيليب عام ٣٣٦ ق.م، وكان والده قد أعده طويلاً لهذا الغرض؛ فأحضر له أرسطو (Aresto) الفيلسوف ليعلمه ويهذب من شخصيته التي اعتادت على العنف (**شكل ٤**)، ذلك أن والده اصطحبه معه في كثير من المعارك التي أبدى فيها الإسكندر شجاعة نادرة، وأصبح بأعماله ينال إعجاباً من الأرستقراطيين من مقدونيا؛ فأعطوه لقب الأكبر أو العظيم، وقد كانت أمه أولمبياس أنشأته على فكرة أنه يتميز عن كل ملوك مقدونيا، وأنه أعظمهم على الإطلاق، وأن أباه الحقيقي هو الإله زيوس (Zeuos)(آمون- رع) (Amon-Ra) صاحب المعبد الكبير في واحة سيوه المصرية، والذي كان مصدر النبوءات المقدسة في العالم القديم، لذلك كان الإسكندر شديد الحب لأمه على الرغم من تسلطها وكراهيتها لأبيه بسبب كثرة زيجاته، وعلى الرغم أيضاً من إغراقها نفسها في شعائر الشعوذة المجنونة، وكان الإسكندر قد ورث عن أمه الانفعال النفسي الشديد ، والعنف الذي يصل في بعض الأحيان إلى حد الجنون، والخيال الحالم، والواقعية العلمية، والتخطيط السليم، والتصرف المتهور الحاسم، حتى لقبهُ مؤرخو العصر الحديث بنابليون العالم القديم* [2].

وكان الإسكندر على أغلب الظن مهيئاً للقيام بدوره التاريخي ذلك أنه ورث عن والده حدة العقل فضلاً عما ورثه من والدته - فيما ذكرنا سابقاً -، أما فيما يخص تعليمه على يد الفيلسوف أرسطو، فإنه تعلم الشيء الكثير من هذه الشخصية التي كانت تعتمد مبدأ الفلسفة الأخلاقية في

---

(١) إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص.ص١٨١-١٨٢.

(٢) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الإغريق والرومان، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م، ص١٧؛مجدي كامل ،أرسطو المعلم الأول ، دار الكتاب العربي ، دمشق- القاهرة،٢٠١١،ص ص ٢٥٥-٢٦٥

تعليمها، ومعناها الاعتدال الأخلاقي، وقد تحدث كثيراً من المؤرخين عن عبقرية الإسكندر وحذاقته من أهمهم المؤرخ أريانوس (Aryanus) الذي ألف كتاباً خاصاً عن الإسكندر ذكر فيه ما استسقاه من مصادر معاصرة للإسكندر لم تصل إلى أيدينا منها كتاب بطليميوس (Ptolemos) عن الإسكندر وتتمثل أهمية هذا الكتاب في كونه كتب على يد أحد أهم قادة الإسكندر وأقرب الناس إليه [1].

لقد كان لتعاليم أستاذه أرسطو أبلغ الأثر في بناء شخصيته حتى إن بعض الباحثين ذكروا أن الإسكندر فاق في أفكاره وفلسفته ما تعلمه من أستاذه أرسطو، وهو ما جعله يُعد المدينة الدولة أو ما يعرف اصطلاحاً بالـ(Polis) كل شيء في الحياة السياسية في العالم القديم عامة، وعدّ الإسكندر الشرق غير جدير إلا بأن يحكمهُ العالم الإغريقي ويعامله معاملة العبيد [2]، وهذا يعده الباحث أحد أهم عوامل تحامل الإسكندر على الشرق وأهم بواعث غزوه له.

ومن أهم ما اشتهر به الإسكندر في بداية حياته أنه كان مغرماً بالشعر والأدب اليوناني، حتى إنه كان يحمل معه على الدوام نسخة من الألياذة (Elyada) التي أصدرها له أرسطو نفسه، كذلك عرف عن الإسكندر اهتمامه بالفلسفة والمعرفة والعلوم والطب، ويروي عنه المؤرخون حادثة طريفة في أواخر حياة أبيه، وهي أن أباه طلق أمه؛ ليتزوج من ابنة أحد قادته التي أحبها، وفي الحفلة التي أقيمت لهذه المناسبة طلب والد الفتاة – وكان ثملاً – أن يشرب المجتمعون نخب وارث العرش الآتي من ابنته فما كان من الإسكندر إلا أن قذف كأسه بوجهه؛ لأنه أهانه وأهان أمه، فنهض فيليب مجرداً سيفهُ غير أنه كان ثملاً فسقط [3].

ويذكر **إبراهيم السايح** رواية تدل على نبوغ الإسكندر، وفطنته ونضوجه المبكر، وهي *أنه في سن الثالثة عشرة قابل وفداً فارسياً حضر لزيارة والده فيليب، فدخل معهُ في مناقشة طويلة عن طبيعة آسيا الصغرى وعن مسالكها والمسافات والأبعاد بين المواقع المختلفة* [4].

---

(١) إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص١٨٢.

(٢) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين، المرجع السابق، ص.ص١٥-١٦.

(٣) طه باقر، المرجع السابق، ص٤٤٠؛ J.B.Bury, History of Greece, New york , 1963, p.374

(٤) إبراهيم السايح، المرجع سابق، ص١٨٢. وللمزيد من المعلومات عن حياة الإسكندر، أنظر، علي الجوهري، الإسكندر الأكبر حياته وانتصاراته، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص.ص٥-٧٧.

ومما يذكر عن أوصاف الإسكندر أنه كان حسن الصورة مليح العينين أبيض اللون (**شكل ٥**)، وفي وجهه وصدره حمرة ورأسه منحن إلى كتفه الأيسر، وكانت له من الأعمال وهو صغير ما يدل على أنه سيكون عظيماً في كبره، فيُذكر أنه قدم في صغره ذبيحة للآلهة فأكثر من البخور على المذبح، فقال له مهذبه ليونيداس (Leonidas). - وكان قائماً على المذبح – طالباً منه أن يقتصد من البخور: متى ملكت بلاد البخور لتسرف، فأسرها الإسكندر في نفسه، وعندما ملك الإسكندر آسيا أرسل إلى ليونيداس مئة زنة من أغلى أنواع البخور، وكتب إليه أن لا يكون بعد ذلك بخيلاً على الآلهة، وفي حادثة أخرى عندما أُهدي فيليب جواداً صعب المراس يدعى بوسيفالوس (Bucephalus) (**شكل ٦**) لم يستطع أحد ترويضه وامتطاءه، فأدرك الإسكندر أن الفرس كان يجفل من الفارس، فقام بتوجيه الفرس إلى الشمس حتى لا يرى راكبه ثم وثب عليه وشد لجامهُ، حتى أصاب التعب الجواد، ثم جاء به والدهُ منقاداً مذللاً، فأخذه فيليب من يده، وقال له: إن مُلكي ليس بكافٍ لك يا بني فانظر لك ملكاً أوسع [1].

لقد كانت حياة أرسطو العقلية مماثلة لحياة الإسكندر العسكرية، فكلاهما يعبران عن نزعة الفتح، والبناء والتركيب، ذلك أن الفيلسوف هو الذي غرس في عقل ذلك الشاب ذلك الحماس الشديد للوحدة، فكان ذلك الحماس من أكبر أسباب انتصارات الإسكندر، هذا الحماس الذي يرى بعض الباحثين أنه موروث عن فيليب، ناهيك عن أن أولمبياس كانت تدَّعي الانتساب إلى أخيل (Akhel) بطل الألياذة، ولهذا السبب كان الإسكندر مولعاً بالإلياذة وشديد الفتنة بها، فكان كثيراً ما يفسر عبوره الهلسبنت (Helsbent) (الدردنيل) بأنه تتبع خطوات جدة أخيل، وكان استيلاؤه فيما بعد على آسيا الغربية إتماماً للعمل الذي بدأه جده الأعلى في طروادة (Trwada)، وكان يحتفظ في كثير من الأحيان بنسخة من الإلياذة عليها شروح أستاذه أرسطو، فكان يضعها تحت وسادته أثناء الليل بجوار خنجره، كأنه بهذا العمل يرمز إلى أداته وهدفه [2].

---

(١) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص٣١٤.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، م٤، ج٨، حياة اليونان، تر: محمد بدران، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥١٦

لقد نجح أرسطو إلى حد بعيد في صبغ الإسكندر بالصبغة الهلينية، فالإسكندر منذ بدايته وهو مولع وشديد الإعجاب بالأدب اليوناني، فكان دائماً ما يحسد اليونان على حضارتهم، وقد قال مرة لرجلين يونانيين كانا يرافقانه أثناء مأدبته الوحشية التي قتل فيها كليتوس (klitus) (**ألا تشعران حين تجلسان في صحبة هؤلاء المقدونيين بأنكما أشبه بإلهين بين خلائق من الهمج**)[1].

كان الإسكندر طالباً شديد التحمس للتعلم، غير أن ما أُلقي عليه من أعباء جسام حال دون نضوج عقله نضوجاً كاملاً تلازماً مع صغر سنه الملحوظ، فكان يحزنه ما يحزن الكثيرين ممن يطلبون العلم ولا يستطيعون به الارتقاء إلى مرتبة المفكرين، وذكر **فلوطرخس** (Phlutrrkhs) وهو أحد مفكري ومؤرخي ذلك الزمان، أنه أي الإسكندر (**كان مولعاً بجميع أنواع المعارف محباً لقراءة جميع أنواع الكتب**)، وكان مما يدخل السرور والبهجة إلى قلبة، جلوسه بين الفينة والأخرى مع طلاب العلم والعلماء، فكتب ذات مرة إلى أستاذه أرسطو قائلاً: (**خير لي أن أتفوق على غيري في العلوم من أن أتفوق عليهم في اتساع الملك وقوة السلطان**)[2].

لقد كان الإسكندر شديد الغيرة من أعمال والده، فشكى مرة إلى أصدقائه من أن أباه سيكمل كل شيء قبل استعداده واستعدادهم وبأنه لن يترك لهم أية فرصة يعملون فيها عملاً عظيماً وخطيراً، وهذا ما دعاه لاقتحام الأخطار، والقيام بكل واجب دونما خوف، ففي يوم خيرونيا مثلاً كان هو أول من هجم على العصبة الطيبية المقدسة وفي يوم جرانيكوس (Granecos) أطلق العنان لنفسه رغبة منه في ملاقاة الأخطار [3].

قبل أن يُعد الإسكندر حملته نحو الشرق الذي يقبع تحت نير الفرس، كان لزاماً عليه أولاً أن يضع أساساً صحيحاً لملكه داخل مقدونيا نفسها،ولأن عمره لم يتجاوز العشرين عاماً، فإن ذلك كان بمنزلة فرصة لن تتكرر لخصوم فيليب الطامعين في الملك من بعده ، ولم يكونوا مدركين لفطنة الإسكندر المكتسبة والتي ساعدته وبسرعة شديدة في أن يقضي على محاولاتهم في السيطرة على عرش مقدونيا واستطاع أن يخضعهم بدهائه لسلطانه فعاملهم معاملة قاسية، كذلك انتشرت الفوضى في أنحاء

---

(1) Mahaffy, Greek life and thought, p.18.

(٢) ول ديورانت، المرجع السابق، ص.ص٥١٨-٥١٩.

(3) Arrian, I, 3.L.C.L

بلاد اليونان قاطبة، فاليونانيون رأوا في موت فيليب تحرراً من حكم مقدونيا والتمتع بنوع من الاستقلال، وقد ساعدهم في ذلك الملك الفارسي الذي كان يمني النفس بالقضاء على عرش مقدونيا وجبروت ملوكها، وكان وسط بلاد اليونان وجنوبها متمثلين في مدينتي طيبة وأثينا أول من أشعل نار الثورة ومنه انتقلت إلى الشمال المحاذي لمقدونيا والمتمثل في إقليم إليريا، ومع وجود قائد محنك سياسياً وعسكرياً مثل الإسكندر تذللت مصاعب إخماد الثورة، فبدأ عمله من الجنوب لاعتقاده أنه يمثل الخطر الأكبر فأخضع تسالياً دون قتال، فأعلنت بقية المدن الثائرة الخضوع والاستسلام، فأجبر الإسكندر معظم المدن اليونانية على تحديد حلف كورنثه بعقده لمؤتمر كورنثة الثاني، فجدد بذلك المحالفة القديمة التي أبرمها فيليب، والتي تعود بموجبها القيادة لمقدونيا في الصراع ضد الفرس، بعد ذلك يعود إلى الشمال ليخضع تراقيا، ثم يتجه غرباً ليضع حداً لتمرد إليريا، في هذه الأثناء شاع خبر وفاة الإسكندر، مما دعى الثورة للنشوب مرة أخرى في المدن اليونانية التي أخضعها الإسكندر، حيث قامت بمهاجمة الحاميات المقدونية المقيمة فيها، وكانت الثورة أشد ما تكون في مدينتي طيبة وأثينا، فأسرع الإسكندر عائداً إلى الجنوب، فهاجم طيبة وحاصرها، وطلب من أهلها التسليم، ثم قام باقتحامها وقرر تدميرها باستثناء معابدها، وفعل الإسكندر ما قرر به فأجبر بذلك كل المدن اليونانية للخضوع [1].

عاد الإسكندر إلى مقدونيا بعد أن قدمت كل المدن اليونانية الولاء والطاعة لمقدونيا والإسكندر، ووضع نصب عينيه أول مراحل غزوه لممتلكات الإمبراطورية الفارسية، ألا وهي آسيا الصغرى، فواجهته مشكلة تركها له والدهُ فيليب، وهي أن معظم خزائن الدولة تكاد تكون فارغة، وأنها مثقلة بعجز مالي قدره الباحثون نحو خمسمئة وزنة بما يعادل (٣٠٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي)، فعمد إلى التخلص من ديونه والنهوض بالميزانية العامة للبلاد، فاقترض ثمانمئة وزنه ووضع نصب عينيه التغلب على ديونه قبل قهر العالم [2].

عقد الإسكندر العزم على غزو بلاد الفرس وممتلكاتهم معتبراً نفسه وريث أبطال هيلاس وناصرها الأوحد، وكان في قرارة نفسه مدركاً أن نصف بلاد اليونان على الأقل يتمنون موته، وقد نقل

---

(١) إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص.ص١٨٣-١٨٤؛ مفيدرائف العابد، المرجع السابق، ص.ص١٦-١٧.

(2) Arrian, VII, 9.L.C.L

*إليه جواسيسه في بلاد الفرس معلومات تقول: أن الفرس باستطاعتهم أن يجمعوا جيشاً لمحاربة الإسكندر قوامه ألف ألف(*) رجل، وهو رقم خيالي، في حين لم تكن قوة الإسكندر التي يسيرها لمحاربتهم إلا ثلاثين ألفاً من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان، مع ذلك لم يعنِ له هذا الفرق في العدة أي شيء، بل ترك في مقدونيا نحو اثني عشر ألف جندي لحمايتها بقيادة أنتيباتر (Antipater) يهدفً من ذلك مراقبة بلاد اليونان التي لم يأمن جانبها، وعندما عبر بجيوشه الهلسبنت (الدردنيل)، من لسبوس إلى أبيدوس اختار أن يترجل بنفسه إلى البر عند رأس سجيوم (Sigeum)، ويسير في الطريق الذي كان يظن أن أجممنون (Agammnon) سار فيه إلى طروادة، وكان في كل خطواته يقرأ على رفاقه فقرات من الإلياذة التي كان يحفظها عن ظهر قلب تقريباً، ولما ورد على قبر أخيل المزعوم صب عليه الزيت تكريماً له ووضع عليه تاجاً من الزهور وسعى عارياً حوله كما كان يفعل من سبقوه، وصاح قائلاً: (**ما أسعد أخيل إذ كان له في حياته هذا الصديق الوفي، وبعد مماته ذلك الشاعر العظيم؛ ليمجدهُ ويخلد ذكره**)، وأقسم في تلك اللحظة أن يواصل ذلك الكفاح الطويل بين أوربا واسيا الذي بدأ عند طروادة حتى نهايته المظفرة* [1].

ويمكن إجمال أسباب حرب الإسكندر ضد الفرس في العداء المستفحل والتقليدي الدائم بين الفرس واليونان وهو السبب الحقيقي الذي دعا الإسكندر لإعداد العدة لهذه الحرب، ولاسيّما إذا كان الخطر يزداد على اليونان من قبل الملك الفارسي، مع أن خطر الملك الفارسي لم يرتقِ إلى حد درجات الغزو العسكري على بلاد اليونان، بل ظل تدخله في كثير من الأحيان تدخلاً سياسياً في شؤون اليونان المدنية، فالمدن اليونانية المتنازعة كثيراً ما كانت تلجأ إليه لحل نزاعاتها المستمرة، وهذا بطبيعة الحال ينمي داخل الإغريقي شعوره بالضعف أمام عدوه اللدود، مما دعا مفكري اليونان السياسيين يبحثون في أسباب ذلك الضعف، معللين ذلك بالانقسام الشديد والخلاف الكبير بين معظم المدن اليونانية، فأصبحت بذلك الوحدة الكاملة في بلاد اليونان مطلباً حتمياً، ليوجه ذلك الاتحاد نحو تحقيق هدف واحد وهو القضاء على السيطرة الفارسية، وكان زعيم الدعوة الاتحادية الخطيب والمفكر أيسوقراط

(*) ألف ألف رجل – أي ما يعادل المليون (١٠٠٠٠٠٠) في الوقت الحالي.

(1) Ibid, VI, 26.L.C.L

(Essokrat)، فقد دعا في الماضي أثينا ثم إسبرطه لتقود العالم اليوناني للوحدة، فلم يلقَ آذاناً صاغية، فوجد ضالته المنشودة في شخص فيليب المقدوني بعد أن أدرك أنه الرجل والشخصية الأقوى لقيادة العالم اليوناني للوحدة السياسية والعسكرية، *ومن ثّم فإن ما قام به فيليب من أجل القيام بالكيان اليوناني وتزعمه وحشد الحشود ضد فارس، لم يكن في حد ذاته دعوة استعمارية صريحة، بقدر ما كان لها أساس حقيقي استغل به فيليب كل الظروف لمصلحته الشخصية، وبقيت تلك الظروف مهيئة حتى بعد مقتل فيليب، وتولى ابنه الإسكندر عرش مقدونيا، فكانت دعوة والده في مؤتمر كورنثه، والحملة الناتجة عنه وراثية في الأسرة الحاكمة فأكد الإسكندر هذه الدعوة في مؤتمر كورنثة الثاني عام ٣٣٦ق.م*[١].

يعتقد ***إبراهيم السايح*** *أنه لم تكن لحملة الإسكندر الأكبر أهداف محددة أكثر من محاولته القضاء على الفرس وتخليص المدن اليونانية من براثن الظلم الفارسي الذي استفحل بها، وظل هذا الهدف هو الطاغي في عقول الإغريق، إلى أن أدرك الإسكندر بعد تحريره المدن اليونانية على الساحل الأسيوي مدى القوة الفارسية فصمم على أن يكون غزوه شاملاً لكل أرجاء الإمبراطورية الفارسية* [٢]. ومن هنا انطلقت لدى الإسكندر ما يعرف بفكرة العالمية ، والتي سنفرد لها جانباً خاصاً في هذا البحث، وتأكيداً لما ذكرنا فمن الواضح أن الإسكندر منذ البداية لم يكن يهدف لتحرير المدن اليونانية فقط، والدليل على ذلك مرافقة عدد من العلماء والفنيين؛ ليكونوا جزءاً لا يتجزأ من حملته، فكان الهدف من وجودهم إعطاء معلومات وافية عن المناطق التي سيفتحها الإسكندر، والتي لم يكن الإغريق على دراية بها؛ لأنها أراضٍ جديدة، فالمدن اليونانية على الساحل الآسيوي، لم تكن لتصعب عليهم فهي معروفة لهم، و لم تكن بحاجة إلى دراسة. ولكن ما هي الخطوات والتدابير التي اتخذها الإسكندر في الاستعداد للمواجهة بينه وبين الفرس وأثرها في انتصارات الإسكندر وسيطرته الخارجية؟

---

(١) إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص.ص١٨٤-١٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص.ص١٨٦-١٨٧.

ثالثاً- الإسكندر المقدوني واستعدادات الحملة

تطرق العديد من الباحثين لمسألة تجهيز الإسكندر لحملته التي غزا بها الشرق الفارسي، وساد الاختلاف بينهم حول تلك التجهيزات سواء من حيث العدد أم من حيث العتاد أم من حيث الأجناس البشرية المشاركة بها.وفي هذا الإطار يذكر أحد الباحثين *أن الإسكندر انطلق في ربيع عام ٣٣٤ ق.م من بلا (Pella) وخلف في مقدونيا انتيباتر (Entepater)، وحين وصل إلى قواده أغدق عليهم العطاء وبذل لهم الأموال، وأنفق كل ما يملكه فقيل له ما أبقيت لنفسك، فقال أبقيت لنفسي الرجاء، ثم واصل سيره حتى وصل إلى سستوس (Cestos)، فاستدعى إليه بارمينيون (Parmenion)، وأمره بأن يحمل الجنود على السفن لعبور الهلسبنت (الدردنيل)، ولما دنت السفن من البر، رمى الإسكندر بسهم غرزه في الأرض إشارة منه إلى استيلائه عليها، فكان هو أول النازلين من السفن إلى الأرض، وقدر جيش الإسكندر بـ١٣٠٠٠ مقدوني و٧٠٠٠ من المتحالفين اليونان، و٥٠٠٠ من المستجندين الغرباء وهم جميعاً تحت إمرة برمينيون ثم ٥٠٠٠ من الأودريسيين والتريباليين والإيليريين و١٠٠٠ ممن يحملون الرماح، كل الأعداد السالفة كانوا مشاة، أما الفرسان، فكانوا من المقدونيين منهم ١٥٠٠فارس تحت قيادة فيلوتاس (Philotas) ابن برمينيون و١٥٠٠ فارس من التساليين و٦٠٠ فارس من اليونان المحالفين و٩٠٠ فارس من تراقيا، فكان عدد القوات الإجمالي حسبما عدده الباحث قد ناهز ٣٥٥٠٠ مقاتل* [(١)].

وبخلاف ذلك يذكر باحث آخر *أن الإسكندر قبل أن يغادر مقدونيا ترك لأنتيباتر قائده المستخلف في مقدونيا قرابة ٩٠٠٠ من المشاة و ٦٠٠٠ من الفرسان لتصريف أمور مقدونيا، وهو رقم يزيد عمّا ذكر سابقيه نحو ٤٠٠٠ عسكري، ويرجع ذلك لاختلاف المصادر المستسقاة منها المعلومات، غير أن هنا الباحث اتفق مع سابقه في عدد العساكر المرافقين لحملة الإسكندر، فذكر أن عددهم ٣٠٠٠٠ من المشاة وما يزيد عن ٥٠٠٠ من الفرسان* [(٢)].

---

(١) جرجي ديمتري سرسق، المرجع السابق، ص.ص٣١٧-٣١٨؛ هارفي بورتر، المرجع السابق، ص٢٩١.

(٢) أحمد علي إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام القديم، م١، ط١، مركز الشام للخدمات الطباعية، دمشق، ١٩٩٨م، ص٣١٩.

لقد تميز الباحث **بسام العسلي** في كتابه الذي أفرده لدراسة مشاهير قادة العالم في الجزء الخاص بالإسكندر الكبير المقدوني، بالتفصيل في معلوماته والإسهاب فيها عنه، فقد أورد الباحث *أن الإسكندر استطاع حشد قوات يزيد عددها على اثنين وثلاثين ألفاً ٣٢٠٠٠ من المشاة وخمسة آلاف ٥٠٠٠ من الفرسان، فضلاً عما تركه في مقدونيا من جند قدرت قرابة ٩٠٠٠ من المشاة وستمئة ٦٠٠ فارس، وكان جيش الإسكندر بعد تنظيمه يضم نحو ثلاثة عشر ألفاً وخمسمئة ١٣٥٠٠ من الرفاق المقدونيين المخلصين، وقد نظم الإسكندر فيلقاً من المقدونيين مكون من تسعة آلاف ٩٠٠٠ مقسمة على ست فرق، أما الأربعة آلاف ٤٠٠٠ الباقين من المقدونيين، فكانوا من حملة الدروع وهم يؤلفون ثلاث فرق، ثم يأتي بعد ذلك الأعوان البلقانيون، وهم أيضاً نخبة من المقاتلين تميزهم سراويلهم الفضفاضة ودروعهم المغطاة بالجلد، وخوذهم ذات الأعراف يقودهم ضباط مقدونيين، وكانت مهمتهم التمهيد للغارات، وحمايتها واحتكار واجبات الإستطلاع، ثم يضاف للجيش مشاة تراقيين وإغريانيين مسلحين بالقسي وهي أدوات حربية استخدمت النار لتقسيتها، والمزار وهي دروع صلبة من الجلد القاسي، وكذلك ترييباليين وأوخيسيين وألبانيين وعددهم يناهز السبعة آلاف ٧٠٠٠، يضاف إليهم حلفاء إغريق يضفون مظهر الوحدة الهلينية على عساكر الحملة، غير أنهم لم يكونوا موضع ثقة للإسكندر لكنهم انضموا إلى قواته، وكانوا يمثلون نوعاً من الرهائن يضبط بهم بلاد اليونان، وقد عمل الإسكندر على استخدامهم في مهمات قانونية، وفي المحافظة على البلاد المحتلة وحماية طرق المواصلات ويقدرون نحو ستمئة ٦٠٠ فارس وسبعة آلاف ٧٠٠٠ من المشاة وقد أعطى المقدونيون الثقة الكاملة للألف والثمانمئة ١٨٠٠ فارس الذين جاؤوا من تساليا، وكذلك للإغريق المرتزقة وعددهم ستة آلاف ٦٠٠٠ ممن يطلق عليهم اصطلاحاً بالهوبليت والبيلتاست، وهي مصطلحات عسكرية أطلقت على مجموعات من المقاتلين الذين جاؤوا من إيتواليا وأكارنينا ومن سائر المدن، وخمسمئة ٥٠٠ من كريت يحملون النبال* [1].

إن نظام التعبئة عند الإسكندر كان يمتاز بنظام الصف المعروف اصطلاحاً بـ(Phalanx)، وهو أقوى جهاز عسكري في جيش الإسكندر، ووصل عدد الجنود به في مرحلة ما إلى ما يقارب ٢٠٠٠٠ مقاتل من الجنود المسلحين بحراب كبيرة طولها ٢٠ قدماً، وسيوف وبيضات وتروس ودروع،

---

(١) بسام العسلي، المرجع السابق، ص٥٦.

وقد دربوا على القتال في ستة عشر صفاً، صفاً بعد صف، وكانت تروسهم متصلة بعضها ببعض، أما الصفوف الخمسة الأولى، فقد زودت برماح مشهرة بلغ طولها (١٣-١٤ قدماً)، أما الجزء الآخر، فهم من المشاة المسلحين تسليحاً ثقيلاً، ويعرفون اصطلاحاً بالهوبليت (Hoplite)، وقد جئنا على ذكرهم سابقاً، ويحمل هذا الصنف تروساً مقدونية مدورة، وكانت الأفضلية في هذا الصنف من المشاة للجنود المدرعين بالدروع الفضية، وهناك صنف آخر كان يحمل جنوده تروساً أخف وزناً أُطلق عليهم اصطلاحاً اسم بيلتاست (Peltast)، ومن ثم يأتي رماة القذائف الذين على الأغلب هم ليسوا من المقدونيين، أما فيما يخص الحرس الشخصي الخاص بالإسكندر، فيتكون من مشاة الطبقة النبيلة وجزء منهم يتألف من الخيالة المقدونيين المعروفين باسم الأصحاب، ثم تأتي الفئة التي تركب على عربات تجرها الخيول محمية بالزرد، ثم أضيفت الفيلة للجيوش المقدونية بعدما غزا الإسكندر بلاد الهند، وتحمل هذه الفيلة أبراجاً على ظهورها باستثناء السائق، وتحمل هذه الأبراج أربعة رجال مسلحين، ثم يصب أمام الفيلة عصير أحمر إما لإهاجتها أو لمنع اضطرابها عند رؤيتها للدم [1].

أمّا فيما يتعلق بالتجهيزات العسكرية الأخرى، فقد استخدم جيش الإسكندر الأبراج الزاحفة والكباش والعرادات قاذفة المزاريق (النشاب) والمجانيق قاذفات الحجارة وفرقة الكشافين وبناة الجسور. وأكثر القائمين على هذه المعدات والوظائف العسكرية كانوا من التراقيين بإمرة المعلم الأكبر المهندس ديادس، يضاف إلى ما سبق ذكره من تجهيزات قافلة الأحمال مع القائمين عليها، وهناك فرقة تقوم بإمداد الجيش عن طريق الشراء أو المصادرة، وكذلك الأطباء وعربات المرضى (عربات الإسعاف)، وكذلك مجموعة الطبوغرافيا ومصلحة البريد بتجهيزاتها المختلفة سواء السعاة أم الإشارات الضوئية، كل ذلك كان يندرج تحت الهيئة العليا متمثلة في هيئة الأركان تحت قيادة بارمينيون سالف الذكر، مع إبنيه فيلوتاس ونيكانور (Nikanor)، كان الأول قائداً لفرقة الفرسان بينما كان الثاني قائداً للفرقة المدرعة وكان من أهم قواد الجيش أسماء أهمها كراتروس (krateros)، وبرديكاس (Perdikas)، وبرز أنتيغونوس (Entegonos) في قيادة الفرق الإغريقية ومما يجدر الإشارة إليه أن معظم من سبق ذكرهم كانوا ممن خدموا في الجيوش المقدونية منذ عهد فيليب والد الإسكندر. وكما أسلفنا فإن الإسكندر أحاط نفسه بمجموعة ضمت أبرز رجال الحرس الملكي الذين كونوا فيما بينهم هيئة أركان حربه،

(١) طه باقر، المرجع السابق، ص٤٤٢.

وكانوا لا يعصونه أبداً ويتصرفون تحت إمرته مباشرة، وكان دائماً ما يستعين بهم في مهام خاصة، وفي القيام بالمهام العسكرية الكبيرة، وهيئة الأركان ضمت بين جنباتها قادة عظام أنيطو بالأدوار الهامة في الجيوش المقدونية ومنهم من استمر في منصبه حتى بعد موت الإسكندر وأهمهم: هيفايستون (Hephaiston) وهو من أعز أصدقاء الإسكندر وأخلصهم له ونيارخوس (Nearchos)(*). وبطليموس الأول (Ptolemee)(**)، وسلوقس الأول (Seleucos) ولوسيماخوس (Lysimaque) .

ضم الإسكندر إلى جيشه مجموعات فنية غير محاربة لم يُعرف عنها إلا القليل من المعلومات المصدرية التي توفرت عن المعارك والمناسبات التي استخدم فيها هؤلاء الفنيين؛ وذلك للاستفادة من مهاراتهم ومعداتهم الخاصة لتذليل الصعوبات العسكرية والتقنية التي وقفت سداً منيعاً في وجه الإسكندر، وقد برز المهندس ديادس (Diades) والذي سيرد ذكرهُ عند حصار الإسكندر لمدينة صور، هذا الذي قام بتطوير أدوات حصار المدينة المذكورة بما يتناسب ومخططات الإسكندر العسكرية، فكان بذلك رئيساً لفرع أدوات الحصار ثم نجد دينوكراتس (Deinokrates) والذي سيذكر أيضاً عند بناء الإسكندر للإسكندرية المدينة المصرية، فهو الذي وضع مخطط بنائها، فكان يستحق أن يكون رئيس فرع الإنشاء والتعمير، كذلك احتوى الإسكندر في جيشه فصيلاً يقوم بعمل سلاح الهندسة والاستخبارات في الوقت الراهن، وهذا العمل يختص بجمع المعلومات عن الطرق والسهول المناسبة لإقامة المعسكرات والمضائق، لإقامة الكمائن، وكذلك تسجيل المسافات التي يقطعها الجيش في زحفه، وبناءً على ذلك بقيت سجلات هذا الفصيل العسكري هي الأساس في أية معلومات عن الأراضي التي

(*) نيارخوس أونيارك (Nearque) هو ملاح كريتي، رافق الإسكندر في حملته على الهند، فاكتشف سواحل آسيا ونهر الفرات وحوض السند، فأسند إليه الإسكندر قيادة الأسطول، للمزيد انظر ،بسام العسلي، المرجع السابق، ص٥٧.

(**) بطليموس، هو سوتر بن لاجوس مؤسس سلالة اللاجيديين حكم مصر من بعد وفاة الإسكندر عام ٣٢٣ وحتى ٣٠٥ق.م ثم تقلد الملكية في مصر بين عامي ٣٠٥-٢٨٥ق.م، وهناك ستة عشر ملكاً عرفوا باسم بطليميوس من هذه السلالة ، للمزيد من المعلومات ، انظر، جورج بوزنر وآخرين، معجم الحضارة المصرية، المرجع السابق، ص.ص٨٢-٨٣؛ هالة حامد السطيحة، تاريخ وحضارة مصر تحت حكم البطالمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٠٦.

يغزوها الإسكندر، ولاسّيما غربي آسيا، وكان الإسكندر يراجع تلك السجلات على الدوام، ولم تكن عملية إمداد الجيوش المقدونية بالمؤن عملية مقلقة للإسكندر، فقد اتبع في ذلك سياسة أن موارد أي بلاد يغزوها هي إمداد للمرحلة التي تليها وهكذا الحال يستمر، ثم أن للحملة سجل رسمي بإشراف الإسكندر يقوم بتحريره أحد أكبر ضباط الحملة يُدعى يومنس (Eumenes)، ثم أن الحملة رافقها عدد ليس بالهين من رجال العلم والأدب، ربما ليدونوا مراحل الحملة، ويشهدوا للإسكندر بالإنجازات ويؤرخوا لها، وربما كان ذلك بإيعاز من معلمه أرسطو، فرافق الحملة من الفلاسفة ابن أخت أرسطو ويدعى كالستينس(*) (Kallisthenes)، وكذلك أناكسارخوس (Anaxarchos) وتلميذه بايرتون (Pyrrton)، وهما مؤسسا المذهب الشكي (الإرتيابي)، كذلك رافق حملة الإسكندر مجموعة من علماء الجغرافيا وأخصائيين في علم النبات والحيوان والتربة، كما رافق الحملة أيضاً مجموعة من الأدباء والشعراء المهمين إلا أن اختصاصاتهم كانت أقل أهمية من اختصاصات الفلاسفة، وعلى الرغم من أن أسماء هؤلاء لم تصلنا، غير أننا ندرك تماماً من خلال سير الحملة ومن رافقها أن بطليموس بن لاجوس (سالف الذكر) كان أهم رجال الأدب والعلم فيها وإليه يرجع الفضل الأكبر فيما وصلنا من معلومات موثقة عن تاريخ الإسكندر وحملته (1).

أمّا فيما يتعلق بالظروف الخارجية لحملة الإسكندر والدوافع الحقيقية، فإن الإسكندر في الحقيقة لم يكن في حاجة لذرائع وحجج من أجل القيام بحملته على الفرس والدخول معهم في حروب دائمة، لأنها في الأساس كانت موجودة؛ ذلك أن الفرس بسطوا سيطرتهم على آسيا الصغرى، واعتمدوا في حكمهم لمدنها على الطغاة والحكومات الأوليغاركية(*)، مع إقامة الحاميات في المراكز الحساسة، وقد عمل الأثينيون من قبل على مساعدة أقاربهم الإغريق في تلك المدن للقيام بثورتهم ضد الفرس عام

(*) كالستينس(Kallisthenes) ، هو فيلسوف إفريقي وابن أخت أرسطو (٣٦٠-٣٢٤ق.م) رافق الإسكندر في حملته إلا أنه عارض إدعاء الإسكندر الألوهية فحكم عليه الإسكندر بالموت.

(١) بسام العسلي، المرجع السابق، ص.ص٥٨-٥٩.

(*) أوليغاركية، تعني حكم الأقلية وفقاً للمضمون الدقيق، وهي تعني حكومة مجموعة من الأشخاص غالباً ما تُدعم من الخارج، وتقوم على تأمين مصالح عدد قليل من أفراد الشعب على حساب الباقين.انظر ، http://www.4eqt.net/show4827.html

٤٩٩ق.م وهذا ما أشعل فتيل الحروب الفارسية التي خاضها الإغريق ضد الفرس في المدة الواقعة بين ٤٩٠-٤٧٨ق.م، وقد نجح الفرس في القضاء على الثورات، ثم قاموا بحملة على بلاد اليونان القارية، وحدثت معارك كثيرة أشهرها معركة مارثون (Marathon) ٤٨٠ ق.م، ومن ثم كانت آسيا الصغرى ستؤدي دوراً مهماً فيما بعد في تحريض الصراع بين القوتين الفارسية والإغريقية، وهذا في الأساس ما دفع فيليب الثاني والد الإسكندر، على بذل جهوده للتوجه في حملة ضد الفرس تبدأ من آسيا الصغرى، إلا أن اغتياله كان عائقاً وراء تحقيق هدفه، وعندما جاء الإسكندر وجد ظروفاً مهيئة ومواتية سواء كانت داخلية أم خارجية للقيام بحملته، وفي هذا الإطار يرى **بسَّام العسلي(أنه قد يكون من غير المهم التوقف عند جدل المؤرخين قديمهم وحديثهم في نوايا الإسكندر، أكان يفكر عند اجتيازه لآسيا الصغرى كمرحلة أولى، التوغل في قلب فارس للقضاء عليها أم الاكتفاء بالتوقف عند الحدود، إذ إن هذا الجدل العقيم لا يخرج على إطار الفلسفة الجدلية التي تفقد كل مقوماتها عند متابعة الوقائع التي وصلت بالإسكندر إلى ما وصل إليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه من غير الطبيعي محاكمة أحداث التاريخ القديمة على ضوء معطيات الفكر الحديث، فمحاكمة كل حدث لابُد له من الأخذ بالظروف الزمنية والمكانية التي أحاطت بولادة الحدث، فقد كانت قيم العالم القديم ومفهوماته مغايرة تماماً لقيم العالم المعاصر ومفهوماته، ومن ثمّ يصعب إجراء تقويم عن صحة مواقف الإسكندر وأعماله وأهمية منجزاته وفق المعطيات المعاصرة)**[1].

هكذا أصبحت الظروف مهيئة تماماً لسير الحملة وكان لابُد لها أن تسير وفق مراحل مرتبة ومرتبطة في الوقت نفسه، ذلك أن أعمال الإسكندر كانت عبارة عن سلسلة موثوقة الحلقات لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى وفق تسلسل زمني مرتب يبدأ بآسيا الصغرى منتهياً ببلاد فارس، إلا أن مصر القديمة مجال بحثنا الدقيق سيكون العنصر الأهم في هذا البحث.

(١) بسَّام العسلي، المرجع السابق، ص٦٠

الفصل الثاني

مراحل سير حملة الإسكندر حتى دخوله مصر

- أولاً– آسيا الصغرى وموقعة ايسوس.
- ثانياً– سورية وفينيقيا.
- ثالثاً– تنظيمات الإسكندر التي وضعها في آسيا الصغرى وسورية وفينيقيا.
- رابعاً– دخول الإسكندر لمصر .
- خامساً– غزو ما وراء الفرات والهند.
- سادساً– الفكر الحضاري عند الإسكندر وظهور فكرة السيطرة العالمية .
- سابعاً– نهاية الحملة ووفاة الإسكندر.

لقد ذكر لنا الباحث ***مفيد العابد***[1] *بأن هناك جملة أسباب دعت الإسكندر المقدوني لتوجيه أنظاره صوب الشرق لاحتلال أملاك الإمبراطورية الفارسية يمكن إجمالها في الآتي:-*

١ – *إن الأسس القديمة التي أقام عليها فيليب الثاني والد الإسكندر صرح مقدونية والاستعدادات العسكرية التي جهزها قبل وفاته، أعطت للإسكندر الدافع القوي للتطلع نحو الغزو والسيطرة، فكانت بذلك عاملاً مادياً مهماً لإنجاح مساعيه التوسعية.*

٢ – *كان لفوز الإسكندر المقدوني لرئاسة حلفي تسالية وكورنثة دوراً أساسياً في بعث الثقة في نفس الإسكندر ليرى نفسهُ قائداً عاماً لبلاد اليونان التي يعتز بانتمائه لها.*

٣ – *ورث الإسكندر والدهُ فيليب الثاني في مسألة كرهه للفرس، فصمم على إكمال مسيرة والده في محاربتهم وتحقيقاً لدعوة* ***إيسوقراط (Isokrates)****، وكان من أشهر فلاسفة الإغريق وخطبائهم في القرن الرابع ق.م. هذا الذي اتجه إلى عدد من قادة بلاد اليونان وأخيراً إلى فيليب الثاني مناشداً إياه تحقيق الدعوة التي لم يمل من ترديدها على مدى نصف قرن تقريباً، ولكنها ذهبت هباء وسط إنهماك المدن الإغريقية في صراعاتها الدموية التقليدية، وفحوى هذه الدعوة، هي أن خير وسيلة لإنقاذ بلاد اليونان من صراعاتها كانت تآلف الإغريق وبشكل خاص أثينا واسبرطة للثأر من البرابرة والسيطرة عليهم، بحق سموا الحضارة الإغريقية على ما عداها، وإنشاء مدن في الأقاليم التي تقهر.*

٤ – *سعى الإسكندر الدائم للإطلاع والبحث عن المعرفة كان أهم أسباب ودوافع حملته على الشرق، والدليل على ذلك كما يذكر الباحث هو اصطحاب الإسكندر لعدد كبير من العلماء والمتخصصين من مختلف فروع المعرفة في حملته .*

لقد كانت هناك مجموعة مظاهر عالمية أوضاع سياسية واقتصادية في شرقي حوض البحر المتوسط منذ نهاية القرن السادس ق.م ومطلع الخامس ق. م، أدت هذه المظاهر والمستجدات دور العامل الأساسي في تفعيل عنصر الكراهية بين الفرس واليونان، حتى ظهرت مقدونيا، وتزعمت مسيرة

---

(١) مفيد رائف العابد، سورية في عهد السلوقيين، المرجع السابق، ص ص ١٧ – ١٩؛ مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٧٩ – ١٩٨٠، ص ص ١٥١ – ١٥٢.

الفتوحات ولاسيّما في عهد الإسكندر المقدوني، ومن جملة تلك المظاهر والمستجدات ولاسيّما في مصر ما يأتي:

١- زيادة أطماع الفرس وتوسعهم في آسيا الصغرى واحتلالهم للمدن اليونانية، واستعانة تلك المدن بالقوات اليونانية في البلد الأم، بهدف تحريرها منهم.

٢- *قيام الفرس بمحاولات لتأديب اليونانيين، داخل حدودهم، فوقعت حربان عامي ٤٩٠ق.م، و٤٨٠ق.م ماراثون وسلاميس، كان الفرس فيها هم المعتدون ، وكان جزاؤهم الهزيمة على يد اليونانيين* [(١)].

٣- مساعدة اليونانيين لثورات المصريين ضد الاحتلال الفارسي في عام ٤٨٥ ق.م وعام ٤٦٥ ق.م.

٤- اعتبر المصريين واليونانيين على حدٍ سواء الفرس العدو المشترك لهما، وكان لا بد من تحالفهما لهزيمته.

٥- *مثلت مصر في تلك الآونة أكبر مخزن غلال، لإنتاج القمح في العالم القديم، وهي أهم سلعة كان اليونانيون في أشد الحاجة إليها، فقد كان إنتاج أثينا مثلاً لا يمثل أكثر من عشر احتياجاتها، فتستورد نقصها من مصر التي كانت في بعض الأحيان تبعث مساعدات من القمح لأثينا دون مقابل، ولاسيّما في أزمتها عام ٤٤٦ ق.م* [(٢)] *، وكذلك أرسلت مصر المساعدات نفسها لإسبرطة ولاسيّما في عهد الحروب البلوبونيزية (٤٢٧- ٤٠٤ ق.م)* [(٣)].

٦- *إن العالم اليوناني القديم الذي كان يشهد نهضة علمية كبيرة كان بحاجة إلى ما يدون عليه علومه ورسائله ووثائقه فوجد ضالتهُ المنشودة في ورق البردي المصري، وقد شهدت تلك المرحلة في بلاد اليونان نقصاً حاداً في الورق ودليلنا على ذلك عندما بعث أحد الفلاسفة إلى الملك فيليب الثاني والد الإسكندر يعتذر فيه عن عدم قدرته على الاستطراد في حديثه وذلك بسبب ضيق مساحة*

---

(١) عاصم أحمد حسين ، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩١. ص ص١٧٢-١٧٨.

(2) Plutarchus , Parallel Lives , 37.L.C.L

(3) Diodorus siculus , 14 : 49،L.C.L؛ Thoukydides , IV. 53 ; VIII. 35.L.C.L

الورق المتاح، وضرورة الإيجاز لندرة البردى ، ويختم حديثه قائلاً : (**إلى هذا الحد أصبح الـــورق نادراً منذ أن احتل الملك الفارسي مصر**)[١].

ونتيجة لما تقدم ذكرهُ يمكن أن نصل إلى حقيقتين أو نتيجتين هامتين هما:

أ- *إن المصريين نتيجةً للاتصال المباشر ببلاد اليونان كانوا قد عمدوا إلى تقليد العملة اليونانية التي كانت منتشرة بين أيدي اليونانيين المقيمين في مصر، وصناعتهم لعملة ذهبية على غرار صورة العملات اليونانية المعاصرة لهم وجمعها* [٢].

ب- إدراك اليونانيين بما لا يدع مجالاً للشك لأهمية مصر الاقتصادية فيما يخص بلادهـــم بعـــد أن تعرفوا على كل مصادر الثروة فيها، وثراء إمكاناتها ولاسيّما القمح وورق البردي، مما جعلهم يضعون مصر في أولويات حساباتهم الاستعمارية، بمجرد أن سنحت الفرصة الدولية والظرف العالمي بذلك[٣].

ما إن ارتقى الإسكندر عرش مقدونيا حتى هبت عليه من الجنوب والشمال عواصـــف القلـــق والاضطراب. ذلك أن الاغريق رأوا في موت فيليب فرصة للتخلص من التزاماتهم الـــتي ارتبطـــوا بهـــا بموجب المعاهدات التي أبرموها معه، فابتهجت أثينا لمقتله، كما طُردِت حامياته من أراضيها، واستدعت ايتوليا (Etolia) منفييها المناوئين لفيليب، وتأججت نار الثورة في طيبـــة (Teba) ومعظـــم مـــدن البلوبونيز، وكذلك الأمر في مقاطعتي تراقية (Trakia) والورية(Alloria) المتاخمتين لمقـــدونيا مـــن الشرق والغرب، حيث أخذت تظهر أعراض تنم عن تهديدهما مقدونيا نفسها [٤].

ولم يتردد الإسكندر – الذي لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره–، بل اتجه من فوره في صـــيف ٣٣٦ *ق.م نحو الجنوب، واسترد سلطانه على تسالية (Tsalia)، واختير رئيساً لحلفها مدى الحياة مكان*

---

(١) مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥.

(٣) محمود إبراهيم السعدني، مصر في عصري البطالة والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ٢٠٠٠م. ص٩.

(٤) متوديوس زهيراني، الإسكندر الكبير فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق ، دمشق ، دار طلاس ، ١٩٩٩، ص٨.

فيليب، كما دانت له مدن حلف كورنثة واختارته قائداً للحلف مكان والده، وكلفته بغزو آسيا الصغرى والقضاء على دولة الفرس. ومن الغرابة أن أغلب الباحثين يهملون – إلى حد بعيد – فتوحات الإسكندر الأكبر من زاويتها الحضارية، وأثرها المهم في العصر الهلينستي وفي الشرق على العموم، وإذا ما استثنينا بعض البحوث القيمة التي قدمها ***عبد الرحمن بدوي*** *والتي يتحفنا بها منذ أكثر من أربعين عاماً، وبعضها معرّب عن كبار المستشرقين والتي تضمنت دراسات وافية عن المرحلة المذكورة* [1].

وعند تولى الإسكندر الحكم أجرى بعض التعديلات على الجيش بما يناسب الوضع الحالي له، حيث قسم الوحدات المقدونية المتراصة إلى وحدات صغيرة بما أكسبها السرعة والمرونة ،وشكّل فريقاً من الخيالة وسلّحها تسليحاً خفيفاً، واعتمد عليها في المطاردة، وأنشأ وحدات من النبالة بين المشاة والفرسان.كما حارب الإسكندر العدو بتبني بعض أساليبه وأسلحته، وجنّد عدداً وافراً من البكتريان والصغد، وهي تمثل وحدات عسكرية خاصة وجعل منها فوجاً رديفاً لجيشه، وأدى ذلك إلى إخضاع المقاطعات الثائرة له، وقد استغرق منه ذلك ثلاث سنوات. ومن خلال كل هذه التعديلات نجد أن الإسكندر قد تحرك من مقدونيا ومعه قرابة الأربعين ألفاً من الجنود ودخل الهند ومعه مئة وعشرون ألفاً، ثم هبط هذا العدد باجتيازه صحراء غودريسيا (Godresia) ، وكرمان (Krman)، والتسريح الكبير الذي قام به في مدينة أوبيس (Opeis) (سنة ٣٢٤ ق.م)، فأصبح جيشه عند موته يناهز الثمانين ألفاً [2]. ولكن كيف جرى دخول الإسكندر لآسيا الصغرى وما هي أهم المعارك التي خاضها ومدى تداعياتها على قوة الإسكندر؟

---

(١) متوديوس زهيراني، المرجع السابق، ص١٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٠.

أولاً: آسيا الصغرى وموقعة إيسوس

يجدر بنا قبل الخوض في الحديث عن دخول الإسكندر إلى آسيا الصغرى أن نتطرق وبإيجاز لحدود آسيا الصغرى وطبيعتها وجغرافيتها وأهم مدنها، فآسيا الصغرى يحدها شمالاً بحر مرمرة والبحر الأسود وشرقاً أرمينيا وجنوباً بحر الروم ومن الغرب بحر إيجيان (Egyan)، أو ما يعرف ببحر إيجه أو الأرخبيل الرومي وبوغاز البوسفور والدردنيل أو بوغاز القسطنطينية وفي وسطها تمر سلسلتان جبليتان متوازيتان إحداهما سلسلة طوروس ممتدة من الشرق إلى الغرب موازية لبحر الروم. أما الثانية، فهي سلسلة أولمبوس (Olompus)، وتمتد من الشرق إلى الغرب كسابقتها موازية للبحر الأسود، وتتشعبها جبال كثيرة، والمناطق المأهولة في آسيا الصغرى انقسمت إلى أربع جهات، الأولى محصورة ما بين سلسلتي طوروس وأولمبوس والثانية واقعة ما بين سلسلة طوروس وبحر الروم أي على السواحل الجنوبية، أما الثانية، فتأتي بين سلسلة أولمبوس والبحر الأسود أي على السواحل الشمالية، أما الرابعة، فتقع فيما وراء بحر إيجه متمثلة في السواحل الغربية، ولعل أهم أنهار آسيا الصغرى نهر الهلس (Alhalas)، أو ما يعرف الآن باسم (قزل أرمق) (Kazel Armkei)، ونهر إيريس (Erees) ويطلق عليه اسم (يشيل أرمق) (yatheel Armakei)، ونهر سنكاريوس (Senkarus) ويسمى الآن (سكاريا) (Skaria)، ونهر ميياندر(Meander)، وهو ما يعرف الآن بـ (بيوك مندر) (Puok meder)، للإشارة فإن الأنهار الثلاثة الأولى تصب كلها في البحر الأسود أما الرابع، فيصب في الأرخبيل الرومي [1].

تقع فريجية (Fregia) على السواحل الغربية وكبدوكية (Kabadokia) على السواحل الشرقية وبفلكونيا (Peflkenia) في الشرق وبيثينيا (Pethenia) في الجوانب الغربية على السواحل الغربية أيضاً وفي الشمال توجد ميسيا (Meesia)، وفي الوسط ليدية (Ledia)، وكارية (Karia) في الجنوب، أما السواحل الجنوبية فتوجد ليكيا (Lekia) في الغرب وبمفيليا (Pemfelya) في الشرق، أما أمهات المدن القديمة، فهي ساردیس (Sardies) قصبة ليدية وملیتس (Metetus)

---

(١) هارفي بوتر، مختصر التاريخ القديم، المرجع السابق، ص ١٨٠؛ وقد أدلى العديد من المؤرخين الكلاسيكيين القدامى بدلوهم في مجال دراسة منطقة آسيا الصغرى من كل جوانبها، فكتب عنها **هيرودوت** وهو أكثرهم كل ما يخصها من حدود وتضاريس ومدن وطبائع سكان وغيرها كثير، انظر Heredotus : I, III , IIII. L.C.L, .

وفوكيا (Fokia) وأفسس (Efsos) أو إيسوس وسمرنا (Smarna) (أزمير الحالية) وهلكارناسوس وقنيدس (Knedes) من مدن اليونان على الشط الغربي وغورديوم (Gordum) في فريجية وطرسوس (Tarsous) في كيليكيا و قيصرية في كبدوكية وسزكس وهرقليا وسنوبي (Snoepi)، وطربزس (Trpzes) من مدن اليونان على الشط الشمالي، أما الجزر التابعة لآسيا الصغرى، فهي كثيرة : منها في الغرب تندس (Tendes) ولسبس (Lespes) وخيوس (Khus) وساقس (Saks) ورودس وفي الجنوب قبرص التي أهم مدنها سلاميس وآكتيوم وبافس (Pafs) على البحر وإيداليوم (Edalum) في أواسط الجزيرة [1].

وكما ذكرنا من قبل أن الإسكندر لم يتردد في أن يتجه نحو الجنوب، ويسترد سلطانه على تسالية، واختير رئيساً لحلفها مدى الحياة مكان فيليب، كما دانت له مدن حلف كورنثة، واختارته قائداً للحلف مكان والده، وكلفته بغزو آسيا الصغرى والقضاء على دولة الفرس.

ولما لم يكن في وسع الإسكندر أن يغزو آسيا، وتراقيا التي كانت على وشك الثورة واوريا تستعد لغزو مقدونيا من الغرب، اتجه في ربيع ٣٣٥ ق.م صوب الشمال فقام بحملة جريئة أرغمت كل الشعوب البلقانية التي كانت تتطلع لحكم ذاتي على تقديم فروض الطاعة له. وفي طريق العودة علم بأن الألوريين استولوا على أقوى القلاع التي كانت تحمي حدود مقدونية الغربية فخف إلى هناك وأنزل بهم هزيمة فادحة. ولم يتابع الإسكندر هذا النصر بغزو الورية لمعاقبتها على ما أقدمت عليه؛ لأن الأنباء التي وصلته من بلاد الإغريق استدعت مواجهة الموقف هناك سريعاً. وهو أمر تكتيكي دّلل فيه الإسكندر على براعته –وهو شاب– في تقدير أولويات تحركاته سياسياً وعسكرياً . [2]

في هذه الأثناء كان الديمقراطيون من مواطني مدينة طيبة[*] *–وكانوا قد عادوا من منفاهم بعد أن أبعدهم فيليب – قد قبضوا على زمام الحكم في وطنهم، واستغلوا نبأً كاذباً، فحواه أن الإسكندر*

---

(١) هارفي بورتر ، المرجع السابق ، ص ١٨١.

(٢) مصطفى العبادى ،مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، المرجع السابق، ص٣.

(*) أصل كلمة طيبة يوناني فقد أطلق اليونانيون على طيبة قديماً مدينة الجنة وهي المدينة المعروفة في العهد القديم العبري (الامدينة) أو (الأمون) أو مدينة أمون.

انظر ، http://www.alltalaba.com/board/index.php?showtopic=31739

قُتل، وذلك للقيام بثورة والتخلص من السيطرة المقدونية. وعلى الرغم من أن بعض المدن مثل أثينا عاضدت طيبة في ثورتها إلا أنها لم تُقدِم على أية خطوة إيجابية، فبقيت طيبة وحدها في ساحة المواجهة . وعندما ضرب الإسكندر حصاراً حولها وطلب منها التسليم، رفضت وحاولت المقاومة فهُزِمَ جيشها هزيمة فادحة، واستُبيحَت المدينة ودُمّرَت شر تدمير (**شكل ٧**). وبعد ذلك عاد الإسكندر إلى مقدونية استعداداً لغزو الشرق، بعد أن ضمن استيعاب كل مدن بلاد اليونان للدرس الذي نفذه في مدينة طيبة [1].

عاد الإسكندر في خريف سنة ٣٣٥ ق . م من بلاد الإغريق إلى مقدونية، ليكمل استعداداته، واستعدادات والده فيليب من قبل. فاستدعى بارمينيون (Parmenun) - أحد قواد والده- من آسيا الصغرى، حيث كان والده قد أرسله سنة ٣٣٦ ق . م على رأس قوة استطلاعية. وعاد بارمينيون بعد أن قام بترك قسم من قواته على سواحل الدردنيل (الهلسبونت) (Alhelesbont)؛ لتأمين رأس الجسر وإنزال القوات المقدونية عندما يحين الوقت لذلك[2]. وفي ربيع عام ٣٣٤ ق .م عبر الإسكندر إلى آسيا عند نقطة هيلزبوينت .وكان قد تجمع له فيها قرابة ١٦٠ سفينه حربية ، قدمتها له الدويلات الإغريقة البحرية، وأهمها أثينا. وكان من السهل على الإمبراطورية الفارسية أن تحشد في مواجهة سفن الإسكندر القليلة والصغيرة عدداً أكبر من السفن وأوفر من الجند. ولكن من المؤرخين من يقول أن الجزء الأكبر من الأسطول الفارسي الذي كان يزيد عددهُ على ٤٠٠ سفينة كان في هذا الوقت في مصر يشترك في إخماد ثورة فيها .ويضيف آخرون أن خطة الملك الفارسي دارا الثالث[*] الذي كان يعرفه الغرب باسم كودومانوس (codomanos) (٣٥٦-٣٣٠ ق.م)، كانت تتلخص في التمهل والانتظار. والسماح للإسكندر بالعبور مع جيشه والتقدم في آسيا ،ثم محاولة قطع خطوطه مع بلاده ،

---

(1)Arriano,Storia…,I,20,I.L.C.L

(٢) مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، المرجع السابق، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.

(*) الملك دارا الثالث ملك الفرس (٣٣٦-٣٣٠ق.م). ويسمى داريوس الثالث، وهو آخر ملوك الأسرة الأخمينية. في عام ٣٣٤ ق.م، عبر الإسكندر المقدوني الدردنيل وقاتل القوات الفارسية، واحتل آسيا الصغرى ، وهزم دارا الثالث في إيسوس عام ٣٣٣ ق.م وتابع الإسكندر الأكبر تقدمه صوب العراق، وهزمه مرة أخرى في أربيل هزيمة (جاوجميلا) . انظر، Http: // WWW. Egyppl. Com/ Vb/archive/inex. Php/t-10015.html

*والإجهاز عليه بجيش كبير. وكانت قوة جيش الإسكندر الفعلية تكمن في قواته الخاصة (**الكمبانيون**) (Companun)، وهي التي كان يضعها على الدوام إلى يمينه وكانت تتألف من ٣٠٠٠ جندي وفارس ،تقوم في المقام الأول على فرقة من حرسه الخاص ،والتي أطلق عليها اسم اجيما (Egema) ، وأما الفرسان فكان عددهم يقدر قرابة ٥٠٠٠ .تنتظمهم ثماني فرق، ويضمون ١٨٠٠ فارس مقدوني و١٨٠٠ تسالى و٦٠٠ فارس إغريقي، والباقي من فرسان الدويلات الحليفة، وكان للإسكندر من بين الفرسان فرقة من الكمبانيين. وأما الجيش الفارسي الذي حاربه الإسكندر، فكان في أغلب الأوقات أكبر حجماً من جيش الإسكندر. وقد قارب عدد جنوده في إحدى المعارك مليون جندي ونحن نعتقد أن هذا الرقم مبالغٌ فيه يضاف إلى هذا أن الثروة التي يمتلكها هذا الجيش. كانت طائلة مما أتاح له استئجار المرتزقة ومنهم إغريق . وشراء الأسلحة والمؤن الوفيرة .وحشد أعداد هائلة من أهالي الدول التي ضمتها في ذلك الوقت الإمبراطورية الفارسية .ولكن هذا الحشد الهائل كان يفتقر على الدوام إلى التدريب والتنظيم الذين كانا قد اكتسبهم الجيش الإغريقي منذ عهد فليب بالإضافة إلى القواد الممتازين والمقاتلين الشجعان الذين خدموا في الجيش في ذلك الوقت .* [١]

عبر الإسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ الدردنيل ، ومعه من الجند ما يربوا على ثلاثين ألفاً٣٠٠٠٠ من المشاة، وما يزيد على خمسة آلاف٥٠٠٠ من الفرسان،بعد أن ترك وراءه قائده العجوز انتيباتروس[*] (Antipatros) على رأس قرابة تسعة آلاف ٩٠٠٠ من المشاة وستمئة ٦٠٠ من الفرسان لتصريف أمور الحكم في مقدونيا ، والإشراف على الحالة في بلاد الإغريق [٢].

وإن دل هذا على شيء فهو يدل على أن الإسكندر لم يثق بإخلاص الإغريق لقضيته رغم أن حلف كورنثة أقام الإسكندر رئيساً عليه، ووافق على محاربة الفرس وذلك بناءً على معرفته بشدة تمسك

---

(١) فوكس وبرن، الإسكندر الأكبر، تر، رؤف سلامة موسى، دار المستقبل، القاهرة ، ١٩٩٨ص ص٤٢-٤٣.

(*) إنتيباتر أو أنتيباتروس (تقريباً ٣٩٧ ق.م – ٣١٩ ق.م) (باليونانية القديمة : Avturatpos) كان جنرالاً مقدونياً ومؤيداً للملك فيليبوس الثاني المقدوني ملك مقدونيا القديمة خدم تحت إمرته، كما وخدم تحت إمرة الإسكندر الأكبر أيضاً في عام ٣٢٠ ق.م. أصبح وصياً على إمبراطورية الإسكندر الأكبر، انظر، Http://ar.Wikpedia.Org.

(٢) مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، المرجع السابق ، ص٣٠.

الإغريق باستقلالهم التام، ويخشى على مؤخرته وخطوط مواصلاته من تمرد الإغريق أثناء محاربة الفرس، ويبدو أن الملك الفارسي دارا لم يقدر مدى الخطر الذي وفد عليه من وراء البحر ،فكلف عدداً من ولاته في آسيا الصغرى بصد هجوم الغازي المقدوني .

*وبالفعل قام ولاة كل من فروجيا لودية وأيونية وكبدوكية بإعداد قوة كبيرة بقيادة (ممنون) (Mmnon) الرودوسي، واتخذوا لهم موقعاً منيعاً على الضفة الشرقية الشديدة الإنحدار لنهر جرانيكوس (Granekos)، اتجاه مدينة لامبساكوس (Lampsakos)، وعندما أقبل الإسكندر تغاضى عن نصيحة قائده بارمنيون بالانتظار ، وقام بإرسال عدد من خيالته ومشاته للهجوم على ميمنة العدو في حين قاد بنفسه ماتبقى من جنده، وقام بعبور النهر فجأة عند التقاء ميسرة العدو مع قلبه وتحطمت مقاومة الفرس الذين قاوموا مقاومة يائسة، فقتل منهم وأسر عدداً كبيراً ولاذ الباقون بالفرار (**شكل ٨**). وهكذا تحطم الجيش الفارسي الذي تصور الملك الأكبر أنه كان في وسعه الدفاع عن آسيا الصغرى بأسرها حتى جبال طوروس .ولم يبق أمام الإسكندر إلا الاستيلاء على المواقع المنيعة التي بها حاميات فارسية أو مرتزقة إغريق في خدمة الفرس* [(١)] .

وكان الفرس يعتمدون في حكمهم للمدن الإغريقية في آسيا الصغرى على الطغاة والحكومات الأوليغاركية مع إقامة الحاميات في المراكز الحساسة وهي الطريقة نفسها التي اعتمد عليها انتيباتروس في حكم بلاد الإغريق باسم الإسكندر . ولكن الإسكندر نهج في آسيا الصغرى بعد نصره السابق نهجاً مغايراً لذلك، وهو الاعتماد على تأييد الحكومات الديمقراطية الحرة. ومرد ذلك إلى أن الديمقراطيين كانوا يكرهون حكامهم الطغاة والأوليغاركيين وكذلك الفرس الذين أقاموا عليهم أولئك الحكام، وإلى أن أعداء الفرس كانوا أصدقاء الإسكندر بحكم المصالح المتبادلة، ولهذا فإن الفاتح المقدوني أعلن أنه قد أتى للقضاء على الحكومات الأوليغاركية وإعادة الديمقراطية، والسماح لكل مدينة باسترداد حقها في الحرية والتمتع بقوانينها الخاصة التي كانت لها قبل خضوعها لسلطان الفرس. [(٢)]

---

(١) نور الدين آل علي، جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، المركز الثقافي الإيراني، القاهرة، ١٩٧٨، ص٦٣.

(٢) أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق ، ص١٧٢.

ونتج من جراء هذا الإعلان أن الديمقراطيين، قاموا بالاستيلاء على مقاليد الأمور في المدن الإغريقية الواحدة بعد الأخرى، وبطرد الحكومات الموالية للفرس. وعلى هذا النحو اكتسب الإسكندر ولاء هذه المدن وأمن خطوطه الخلفية قبل متابعة زحفه جنوباً صوب سورية .

ودلل الإسكندر هنا مرة أخرى على حسن تقديره للأمور ،وذلك بعدم تعريض نفسه لمجازفة الاشتباك مع الأسطول الفارسي وكان يقدر بثلاثة أضعاف أسطوله، بل قرر تسريح هذا الأسطول لعجز موارده عن تحمل نفقاته وأدرك أنهُ لن يجني من ورائه فائدة مجزية لحملته، ورأى أن خير وسيلة للقضاء على الأسطول الفارسي هي الاستيلاء على قواعده البرية في آسيا الصغرى وسورية ومصر؛ ليحجب عنه أي مدد أو مساعدة، وتبعاً لذلك فإنه بعد نصره في معركة جرانيكوس، استولى على أفسوس (Efsos) وملطية (Mltia)، ثم على هاليكارناسوس (Halikarnasos) بعد أن دافع عنها أهلها بضراوة بقيادة ممنون قائد المرتزقة والأسطول الفارسي الذي لجأ إلى المدينة بعد هزيمته في معركة جرانيكوس ، وبعد استسلام معظم مقاطعات آسيا الصغرى ومدنها الرئيسة وتعيين عدد من قادته على الولايات التي أخضعت، اتجه الإسكندر شمالاً للانضمام إلى قوات قائده بارمنيون عند جورديوم (Gordum)(*)، حيث انتظر وصول الإمدادات من مقدونيا وحدث عندئذ أن مات ممنون الرودوسي قائد الأسطول الفارسي والمحرك الأول للمشاكل والثورات ضد الإسكندر، وكان خليفته أقل منه حنكة وقوة، وزاد في ضعفه أن دارا انقص قواته نقصاً كبيراً فبقي في قيادته مكتوف الأيدي بقوات رمزية. ومن جورديوم اتجه الإسكندر في زحفه شمالاً صوب أنقرة، حيث وفد عليه مبعوثون من بعض الولايات البعيدة لتقديم الطاعة. وإزاء زوال خطر ممنون، والاستعدادات التي بدأ دارا يتخذها خف الإسكندر جنوباً لاحتلال البوابات الكيليكية (إحدى مداخل سورية من الشمال) ذات الموقع الإستراتيجي الهام. وبعد الاستيلاء عليها اتجه إلى مدينة طرطوس (Tartos)، وفيه أصابته حمى شديدة استطاع طبيبه فيليب الأكارناني معالجته منها وبعد شفاء الإسكندر أوفد بارمنيون على رأس قوات للاستيلاء على الممرات المؤدية إلى

(*) مدينة تقع في مقاطعة فروجية الداخلية، وسط آسيا الصغرى ، وقد جاء في أساطير المدينة أن من يستطيع حل عقدة عربة غورديا‌س (أحد ملوك المنطقة الأسطوريين) يصبح ملكاً على آسيا، وقد استطاع الإسكندر فعل ذلك بضربة واحدة من سيفه، انظر، مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين، المرجع السابق، ص٢٢- هامش

سهل أسوس، ولحق به عندما علم بوصول دارا إلى منطقة بحيرة أنطاكية (Antakia) (حالياً بحيرة العمق). وعندما نشبت موقعة اسوس، -إحدى أعظم مواقع التاريخ- سنة ٣٣٣ ق.م، استطاع الجيش المقدوني إثبات قدرته القتالية وفعاليته تجاه الأنماط التقليدية للحرب القديمة، وهزم جيش دارا هزيمة قاسية، وتفرقت فلوله في كل حدب وصوب، وقاد الملك المهزوم بقايا جيشه باتجاه الشرق استعداداً للمعركة المقبلة تاركاً أمه وزوجه وابنتيه وعدداً من جواريهما في قبضة الإسكندر الذي عامل الجميع معاملة حسنة وتزوج فيما بعد بإحدى بنات دارا [1]. والسؤال هنا متى بدأت حملة الإسكندر المقدوني تجاه سورية وفينيقيا وما مراحلها وتداعياتها على الشرق القديم؟

(1) Taton ,Histore generale des sciences,I,P.U.F.,Paris 1973,p.338.

ثانياً : سورية وفينيقيا

*استمر الإسكندر في زحفه جنوباً حتى أول الساحل السوري، ثم أعاد الإسكندر تأسيس (مرياندروس) (Meryandros) الفينيقية القديمة وأسماها الإسكندرية (حاليا الإسكندرونة) (Eleskandarona) ثم احتل صيدا (Saida) وغادر الإسكندر ماراثوس (Marathos) صوب الجنوب، حيث بلغه نبأ استسلام جبيل (Jbal) وترحيب سكان صيدا به الذين لم ينسوا تحول المدن الفينيقية عنهم أثناء محنتهم مع الفرس سنة ٣٤٤ ق.م فدخل هذه المدينة العريقة وأعاد إليها ممتلكاتها ودستورها الخاص، ثم تابع زحفه جنوباً.نحو جزيرة رودس (Rodes) وأخذ في حصار صور التي كانت وقتها جزيرة منيعة أمام الساحل السوري، وقد نجحت في مقاومة القوات الفارسية قبل هذا بثلاثة عشر عاماً، وظنت أنها تستطيع أن تستمر على حيادها، وأن تقاوم الإسكندر مثلما قاومت الفرس .وفي الطريق استقبل وفداً من سكان صور جاءه عارضاً عليه في غياب ملكهم المرافق للأسطول الفارسي استسلام مدينتهم. بيد أنه عندما طلب الإسكندر السماح له بدخول المدينة ليقدم القرابين لما زعم بأن جده الأعلى الإله ملقارت (Melkart) رفض الصوريون طلبه. ورداً على هذا الرفض حاصر الإسكندر صور طوال ٧ شهور(*) (**شكل ٩**)، مد خلالها مهندسه الثيسلى دياتيس طرقاً برية من الساحل السوري إلى الجزيرة رغم أن عمق البحر في نهاية هذا الموقع كان يتجاوز ٢٠٠ متر (**شكل ١٠**). ومع استبسال المدافعين عن الجزيرة في صد المهاجمين عنها وخروجهم كل ليله لإفساد ما يصنعه رجال الإسكندر، وحرقهم للأطواق العائمة التي ينزلونها الماء ويحملونها المنجانيقات الضخمة والآلات الموجه للسهام وللهب لتدمير التحصينات والقضاء على المدافعين، وكانت السفن الفارسية تساعد المدافعين، عن الجزيرة من البحر ، ولكن الإسكندر كان قد أعاد تجهيز أسطوله ،فجمع في مواجهتها مئات السفن وأخذ يهاجم الجزيرة من البر والبحر ويمد إليها جسره من الساحل تحت ستارة*

(*) في أثناء حصار الإسكندر لصور تسلم رسالة ثانية من دارا عارضاً عليه فيما عرضه محالفته والتنازل له عن كل إمبراطوريته غربي الفرات ودفع مبلغ عشرة آلاف وزنة فدية لأسرته إضافة إلى زواجه من ابنته، ولكن الإسكندر رفض عروض دارا كلها ورد عليه رداً قاسياً وحاسماً، وتابع مسيره الساحلي في اتجاه مصر بعد أن ترك بارمنيون في دمشق لتنظيم شؤون سورية إدارياً وعسكرياً ومالياً. انظر : أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص٢٠٩

كبيرة أقامها من الجلود الخام التي تمتنع عنها النار، ولكن ما إن اقترب هذا الجسر من الجزيرة حتى أرسل له المدافعون عنها سفناً تحمل زيتاً وزفتاً مشتعلاً وقدوا عليه، ولكن الإسكندر أمر ببناء جسر أكبر أقام فوقه سلالم خشبيه صعدعليها جنوده واستطاعوا اقتحام جدران القلعة والوصول إلى المدينة . وقد قتلوا كل من بقي فيها وكانوا أكثر من ٨٠٠٠ وبيع النساء والأطفال وقدر عددهم نحو ٣٠ ألفاً كعبيد ويقال إن الإسكندر لم يعفوا إلا عن مليكها وبعض السفراء الذين لجؤوا لمعبد هيراكل فيها ، وقد ذهب الإسكندر فور دخوله صور إلى معبد هرقل (Herekl)، فضحى فيه وقدم الهدايا لكهنته، وكان قد خسر في الشهور السبعة التي حاصر فيها الجزيرة ٤٠٠ جندي مقدوني. وانتقم الإسكندر من المدينة فجعلها مركزاً لحامية مقدونية. ولما كان الإسكندر قد أبقى على الملكية في صيدا، فقد آلت إليها زعامة الساحل السوري. وفي أثناء حصار صور تسلم الإسكندر إمدادات من جميع قطع الأسطول الفينيقي- فيما عدا القسم الذي كانت تسهم به صور-، كما وصلت إليه سفن قبرصية، وكان من نتيجة ذلك بعد سقوط صور وتدمير أسطولها أن الأسطول الفارسي فقد أفضل سفنه، ولم يعد يشكل ذلك الخطر الكبير الذي كان الإسكندر يخشاه [1].

مما يجدر بنا التنويه إليه هو أن المقدونيين كانوا يشعرون بشيء من المرارة من جراء ما فعلهُ الصوريون من قبل لرفاقهم الذين وقعوا في الأسر لديهم، لذلك لم يكن من اليسير كبح جماحهم، فأعقب سقوط صور الذبح والتقتيل ، وقيل بأن ثمانية آلاف خروا قتلى فيها وبيع الكثير في أسواق النخاسة من الرجال والنساء والأطفال على نحو ما حدث في طيبة، ولقي بعضهم النجاة على يد الفينيقيين الآخرين ووجد بعضهم (كما ذكرنا) ملاذاً في معبد ملقارت اعتصموا به، ومن بينهم رسل ومبعوثون دينيون من قرطاجة، فكان وجودهم مثار أسطورة تقول بأن قرطاجة كانت تعد العدة وتتأهب لتقديم العون لمدينتها الأم، وكان هذا الإجراء البشع الخاص ببيع الأسرى، حقاً مألوفاً طالما استخدمه المنتصر، وباشرهُ الإسكندر مرتين أخرتين، إحداهما في غزة والأخرى في قيروبولس (Keropoles) حيث كان رجاله قد فتكوا بهم ولقوا حتفهم [2].

---

(١) فوكس وبرن ،المرجع السابق،ص ص ٥٨-٥٩.

(2) G. Gioiz, Ancient Grece Atwork, P. 350.

هكذا كان سقوط صور في عام ٣٣٢ ق.م. أعظم عمل عسكري قام به الإسكندر، فقدم من جانبه القرابين والتضحيات للإله ميلكارت قبل كل شيء، فكانت عندهُ بحق أغلى التضحيات التي قدمت لذلك الإله على الإطلاق، وأصبحت بذلك صور قلعة مقدونية، وعادت صيدا لسيرتها الأولى من تولى الزعامة في فينيقيا التي بدأ تاريخها يدخل في طور جديد منذ إيسوس [١].

ثم اتجه الإسكندر إلى ماراثوس (Marathos) (عين الحية،عمريت حالياً) فاستقبله فيها استراتون (Estraton) نائب ملك أرواد والساحل المقابل له، وقدم له تاجاً من ذهب متنازلاً له عن أرواد وماراثوس ومملكته كلها، وذلك في الوقت الذي كان فيه والده (جروستراتوس) (Grostratos) وعدد من ملوك فينيقية، وقبرص فضلاً عن قائدي البحرية الفارسية في بحر إيجه ينتظرون الأوامر للتحرك بمساعدة اجيس (Eges) ملك إسبرطة. وفي ماراثوس كلف الإسكندر بارمنيون بالاستيلاء على دمشق، وكانت المدينة الرئيسة في سورية الداخلية، ومن دون قتال جرى الاستيلاء على دمشق، حيث استولى بارمنيون أيضاً على مهمات جيش دارا وخزانة حربه، وكانت قد أرسلت إلى هذه المدينة أثناء موقعة أسوس، وقد أسهمت هذه الأسلاب في وضع حد للمتاعب المالية التي كان الجيش المقدوني يعاني منها. وفي ماراثوس تسلم الإسكندر رسالة من دارا يعرض عليه فيها إطلاق سراح أسرته مقابل التحالف والصداقة، ولكن الإسكندر رفض هذا العرض وأذاع إعلاناً سياسياً أورد فيه الأسباب المبررة لقيامه بغزو الإمبراطورية الفارسية، وركز فيه على قيام اكسركسيس (Exerksies) بغزو بلاد اليونان قبل قرن من الزمن وقيام دارا نفسه بالتدخل في شؤون بلاد اليونان، وأعلن في الختام أنه الملك الفعلي لآسيا بموجب حق الفتح والغلبة. ويبدو أن غزة لم تتعظ بمصير صور، فامتنعت عن التسليم اعتماداً على مناعة أسوارها، وتأييد حلفائها من الأعراب. وقاومت غزة الإسكندر مدة شهرين كاملين في صيف ٣٣٢ ق.م وبعد أن استطاع اقتحامها والإستيلاء عليها، قتل كثيراً من أهلها وأسر الباقي. ولابد من الإشارة هنا إلى أن معظم المؤرخين المعاصرين يشكون في صحة زيارة الإسكندر بيت المقدس وهي الزيارة التي ذكرها المؤرخ يوسيفوس (**Josephus**) ولم يرد لها ذكر عند غيره من المؤرخين القدامى [٢].

---

(١) و. و.تارن، الإسكندر الأكبر، تر، زكي علي، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة، ١٩٦٣، ص٧٧.

(٢) رمضان عبده على ، تاريخ الشرق الادنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، دار نهضة الشرق، القاهرة ، ٢٠٠١، ص٣٢. نقلاً عن يوسيفوس.

ثالثاً : تنظيمات الإسكندر التي وضعها في آسيا الصغرى وسورية وفينيقيا

يذكر **مفيد العابد** (**أن عامل الوقت أدى دوراً هاماً في وضع تنظيمات سياسية وعسكرية للمناطق التي فتحها الإسكندر، فضيق الوقت كان العامل الأساس في أن ترك الإسكندر النظم الإدارية الفارسية في آسيا الصغرى مع إجراء بعض التعديلات الطفيفة، مع أنهُ من الملاحظ أن الإسكندر عمل على الفصل بين السلطات المدنية والعسكرية والمالية في الولايات الشرقية، إلا أننا نلحظ بأن الولايات التي فتحها في آسيا الصغرى أقام عليها مشرفين ماليين ذوي استقلالية مع إبقاء السلطتين المدنية والعسكرية في بوتقة واحدة تحت سلطة الولاة، ثم اتجه الإسكندر إلى سياسة الاستمالة مع المدن الإغريقية، فأبقى لكل منها نظمها السياسية الخاصة بها، وكان كثيراً ما يعفيها من الضرائب التي كانت تدفع للملوك الفرس، وقام الإسكندر بضم بعض تلك المدن إلى حلف كورنته الذي كان يرأسهُ بنفسه**) [1].

وفي طريقه عرج على سورية، حيث قام بتعيين أحد قادته المدعو (لاومدون) (Lawmdon) والياً عاماً على سورية الكبرى، وجعل له معاونين في إدارة المال والجيش، كما عين (اسكلبيودوروس (Esklpudoros) حاكماً على دمشق وأنشأ فيها مركزاً للتفتيش المالي. ولا يعرف سبب غير خشية الإسكندر من طموح من يحكم مثل هذه الرقعة الهائلة من الأرض دفعه ليكوّن من أراضي الجزيرة (السورية) ولاية جديدة. وفي الوقت الذي كان الإسكندر يصدر أوامره بتثبيت معظم ملوك الساحل السوري على عروشهم كان قائده بارمنيون يقيم جسراً على نهر الفرات حيث كان مازايوس (Masaus) والي سورية الفارسي يرابط على الضفة الغربية على رأس قوة فارسية صغيرة [2].

---

(١) مفيد العابد، سورية في عهد السلوقيين، المرجع السابق ، ص ص ٢٣ – ٢٤.

(٢) مصطفى محمود، الإسكندر الأكبر، دار العودة، بيروت،١٩٧٢، ص٥٣؛ مفيد العابد، المرجع السابق ، ص٢٨.

رابعاً : دخول الإسكندر لمصر

تقدم الإسكندر في خريف عام ٣٣٢ ق.م نحو غزة ،فسلمت له بعد أن حاصرها مدة شهرين (كما أسلفنا)، وأصبح على مشارف مصر. فبلغ مدينة بيلوزيون (Pelosion)، وهي بوابة مصر الشرقية، وكانت أنباء انتصارات الإسكندر قد سبقته [١]. تابع الإسكندر طريقه إلى مصر فوصلها في أواخر تشرين الأول، نوفمبر ٣٣٢ق.م ، فاستسلم مزاكس (Masakes) والي مصر الفارسي في العاصمة ممفيس (Mmfies) وسلم الإسكندر جميع كنوز مصر؛ لعلمه اليقين بعجزه عن مقاومة الإسكندر بعد هزيمة مولاه وهروبه وسيطرة الإسكندر على سورية، ولاسيما أنه كان لا يستطيع الاعتماد على مساندة الشعب المصري الذي كان يكره الفرس كرهاً شديداً. وهكذا آلت مصر إلى الإسكندر دون قتال. ولما كان المصريون يحقدون على الفرس؛ لانتهاكهم حرمة ديانتهم، نجدهم قد رحبوا بالإسكندر الأكبر ترحيباً شديداً وكانت قد راجت شائعة تشير إلى أن الإسكندر الأكبر يرتبط بالإله آمون وانحداره من صلب آخر فراعنة مصر الذي يدعى نختنبو الثاني [٢].

كان أول عمل قام به الإسكندر عندما حط رحاله في العاصمة المصرية ممفيس (منف) تقديم القرابين في معبد بتاح (ptah) للآلهة الوطنية والعجل المقدس ابيس (Apis) ونصّب نفسه فرعوناً طبقاً للطقوس الدينية المصرية ليظهر احترامه للديانة المصرية [٣].

وأخذ الإسكندر بعد فراغه من تأسيس مدينة الإسكندرية التي دفعه إلى تأسيسها محبته لإنشاء المدن وتخليد اسمه إضافة إلى رغبته في نشر الثقافة الهلينية وحاجته إلى مركز حربي بحري وأخيراً نقل تجارة صور وغزة إليها بعد تحطيم المدينتين، جزءاً من جيشه ونفراً من صحبه، واتجه في محاذاة الشاطئ حتى وصل إلى بارايتونيون (Paraytonun) = (مرسي مطروح) ثم توغل في الصحراء قاصداً الحج إلى معبد آمون (Amon) في واحة سيوه، وكان يضارع في أهميته أعظم معابد الوحي الإغريقية، ويميل أغلب الباحثين إلى أن الإسكندر قام بهذه الزيارة لتحقيق غايتين هما: إثبات صلة نسبه بالآلهة

---

(١) أبو اليسر فرح ،تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ،عين شمس للدراسات والبحوث الانسانية ، القاهرة، ط١ ،٢٠٠٢،ص٢٣.

(2) Bowman.;Egypt after the pharaobs.London.1986.p22 A.

(٣) سنية قراعة وآخرون ، الإسكندر الأكبر، مكتبة الصحافة الدولية ، القاهرة ،١٩٥٨، ص٦٣.

المصرية، ومن ثمّ أحقيته في حكم مصر والفوز بمباركة الإله آمون لمشروعاته المقبلة. وقد كان من شأن تحقيق هاتين الغايتين أن ييسر على الملك الإله تكوين إمبراطورية عالمية وبسط نفوذه في أرجائها [1].

وقبل أن يبرح الإسكندر مصر، قام بتنظيم البلاد تنظيماً دقيقاً، فمنحها استقلالاً داخلياً، ووضع وادي النيل تحت إمرة حاكمين أحدهما على الأقل مصري، في حين وضع الأقاليم المتاخمة للدلتا تحت إشراف رجلين من الإغريق، وأمر الجميع أن يراعوا في حكمهم التقاليد المصرية القديمة وتحصيل الضرائب وتسليمها إلى (كليومينس) (Klumenes) النقراطيسي[*]، وكان أحد الحاكمين الذين عينهما الإسكندر قد أوكل إليه أيضاً الإشراف على إنشاء الإسكندرية[2] (**شكل ١١**). وعندما فرغ الإسكندر من مهامه في مصر، برحها في ربيع سنة ٣٣١ق.م، بعد أن أوفد بعثة علمية إلى السودان؛ لتقصي سبب فيضان النيل بموجب توصية أستاذه أرسطو قاصداً بابل لملاقاة الجيش الفارسي ثانية بعد أن أعاد تنظيمه وتولى قيادته الملك الأكبر بنفسه ، فقد كان الإسكندر سياسياً ماهراً بقدر ما كان قائداً نابغة يحسن معاملة الناس، ويكسب ودهم ولأجل الترفيه أقام مهرجاناً موسيقياً رياضياً وفق التقاليد اليونانية، واشترك فيه عدد من أشهر الفنانين والممثلين في بلاد الإغريق.ولا شك أن مثل هذا المهرجان كان يخدم غرضين في وقت واحد:

الأول: بمنزلة ترفيه فقد كان الجنود في اشد الحاجة إليه بعد استمرار القتال وتوالي المعارك.

والثاني: أن يعرض أمام المصريين جانب من الحضارة اليونانية التي خرج الإسكندر يبشر بها ويقدمها للشرق [3].

أما فيما يتعلق بالسلطة العسكرية فقد عين قائدين على الحامية العسكرية التي تركها في مصر هما بيوكستيس بن مكارتاتوس (Peucestes son macartatus)، وبلاكروس بن امينتاس

---

(١) ميلاد حنا، الأعمدة السابعة للشخصية المصرية ،دار نهضة مصر ، القاهرة،١٩٩٩، ص١١٦ ؛ محمد عبد الفتاح السيد، المصريون والبطالمة ، أيديولوجية الحكم السياسي في مصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ص ٤٦- ٤٨.

(*) معلومتنا عنه محدودة ولكنه من الإغريق من مدينة نقراطيس وكان من أعيانها وكبار تجارها. انظر : عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨٢.

(٢) سليمان حزين ،حضارة مصر أرض الكنانة ، القاهرة ، الطابعة الاولى ،دار الشروق،١٩٩١، ص٨٢.

(٣) سليم حسن ،مصر القديمة ج١٦ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٩٩٤،ص١٩.

(Balacrus son of Amyntas)، كما عين بوليمون ابن ثيرامين (Polemon son of Theramenes) قائداً للأسطول. هذا إلى جانب قواد آخرين لبعض الوحدات المرابطة في ممفيس وبلوزيوم. أما الإشراف على الخزانة والشؤون المالية، فقد عهد به إلى كليومنيس النقراطيسي، وأمره الإسكندر بأن يترك حكام المديريات المختلفة يديرون مقاطعاتهم كما كان الأمر من قبل وأن يجمع منهم الضرائب المفروضة. وأخيراً عهد كليومنيس أيضاً بمهمة الإشراف على بناء مدينة الإسكندرية الجديدة [1].

على الرغم من أن الإسكندر لم يبق كثيراً في مصر حيث قدِّر بقاؤه بعدة أشهر إلا أنهُ تمكن من أن يضع أساساً متيناً لمملكة مقدونية إغريقية كانت غريبة في ظاهرها مصرية في أصولها، ورثها البطالمة مدة ثلاثة قرون متتالية، نهضت فيها مصر من كل الجوانب العلمية والمعرفية والاقتصادية، وازداد عدد سكانها؛ نتيجة الرخاء ولذلك عاد إلى مصر لإحياء الدولة الحديثة الفرعونية، وإن لم تكن تلك النهضة مصرية خالصة بقدر ما كانت مصرية بثوب إغريقي غطى على الثوب المصري لكن حقيقة الأمر أن الثوب المصري لم يبلَ بل ظل محافظاً على رونقه رغم المحاولات الحثيثة للبطالمة لصبغه بصبغة إغريقية خالصة، وظل الشعب المصري في نظر الأقوام والشعوب المجاورة لهُ، والنائية عنه أعرق شعوب العالم من حيث العلوم والمعارف والدين، وقد دلت البحوث العلمية الحديثة والكشوف الأثرية على أن الشعب الإغريقي قد أخذ كل مبادئ علومه، التي امتاز بها عن سائر العالم عن مصر، فقد كانت الروابط وثيقة بين الشعب المصري والشعب الإغريقي طوال القرون التي سبقت فتح الإسكندر لمصر، لذلك رأينا أن الإسكندر عندما جاء إلى مصر كان ملماً بعلومها وديانتها مدركاً لمكانتها في العالم القديم، ولاسّيما أنه تلقى تعليمهُ على يد أغنى وأهم فلاسفة الإغريق [2].

كان للقدماء المصريين قبل أن يسمي الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية بهذا الاسم، مستعمرة على البحر المتوسط يطلقون عليها اسم (رع – قدت) (راكوتيس اليونانية) (Rakoties)، وتعني المدينة التي باركها وأنشأها الإله، وظلت تسمى بهذا الاسم، حتى نهاية العصر البيزنطي، ولم تكن راكوتيس قرية صغيرة للصيادين كما وصفها بعضهم، فباستخدام الكربون المشع يُعتقد أنها أُنشأت منذ

(١) هذه الوظيفة لم يذكرها أريانوس ولكن ذكرها Pseudo Aristotle,Oec 3 ; justinus 13 .11.4. L.C.L.

(٢) سليم حسن، مصر القديمة ج١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ٢.

٧٠٠ عام سبقت دخول الإسكندر، وكانت مدينة كبيرة تتكون من ١٢ قرية كما عرفها الإغريق باسم حصن الإسكندر على البحر الأيوني [١].

وتقع الإسكندرية على لسان من الأرض وهو ذلك الشريط الضيق من اليابسة المحصورة بين البحر المتوسط شمالاً وبحيرة مريوط جنوباً، أما الميناء، فيوجد شمالي هذا اللسان حيث أقيمت أرصفة حجرية بمحاذاة هذا اللسان تقريباً، وقد تميزت المنطقة التي أنشئت فيها مدينة الإسكندرية بمظهر تضاريسي يتكون من مجموعة سلاسل تلالية جيرية تمتد موازية لساحل البحر. وعند إنشاء مدينة الإسكندرية، كان هناك جسر صخري يسمى الهيبتاستاديوم (Heptastadum) (وكان طولهُ يبلغ نحو ميل تقريباً) وقد بني بين الأرض وجزيرة فاروس (Faros) مما أوجد مينائين شرقي وغربي [٢].

يذكر **إسترابون** أنهُ في لحظة تأسيس مدينة الإسكندرية، وعند تخطيط الشوارع استخدمت كميات من الجير المتاح في المنطقة، ولكنهُ نفذ قبل أن تخطيط كل شوارع المدينة؛ لذا استعان المهندس دينوقراطيس (Denukraties) بالدقيق الخاص بطعام الجنود لتخطيط بقية الشوارع، وقد استخدم لتخطيط الإسكندرية نمط يعرف بالهيبودامى (Hepodami) وهو عبارة عن شارعين رئيسين متقاطعين بزاوية قائمة ثم تخطيط شوارع أخرى فرعية تتوازى مع كل من الشارعين مما يجعل مساحة الأرض أشبه برقعة الشطرنج، وهو التخطيط الذي شاع استخدامهُ في العديد من المدن اليونانية منذ القرن الخامس ق. م. (**شكل ١٢**) وقد قُسِّمت مدينة الإسكندرية إلى خمسة أحياء حملت الحروف الأبجدية اليونانية الأولى:

A (ألفا)، B (بيتا)، Γ (جاما)، Δ (دلتا)، E (إبسلون)، والتي تمثل الحروف الأولى من خمس كلمات يونانية ترجمتها (**شيدها الإسكندر الملك ابن الإله**)[٣] .

---

(١)سليم حسن، مصر القديمة ج١٤، المرجع السابق، ص ص ٢٢٢- ٢٢٤.

(٢) عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٣، ص ص ٨ – ٩ ؛ علي عبد الوهاب شاهين، ملاحظات على جيومورفولوجية المنطقة الشرقية من إقليم مريوط ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، العدد ١٩، ١٩٦٥، ص ص ٢٠٢- ٢٠٥.

(3) Strabo, Geographika , XVII. 8.L.C.L.

ويتفق المؤرخ **فيلون السكندري (Philon)** أيضاً مع **إسترابون** على أن مدينة الإسكندرية القديمة مقسمة إلى خمسة أحياء رئيسة هي :

١- الحي الملكي(البروكيون) (Brokyon).

٢- حي ميدان السباق (الجمنازيوم) (Gemnazum).

٣- حي كوم الدكة (السوما) (Sama).

٤- حي (الموسيون) (Mosun).

٥- حي (راكوتيس) (ر ع – قدت) (Rakoties).

وإذا نظرنا إلى الأحياء الخمسة نجد أن حي ميدان السباق هو بطبيعة أرضه أوسع الأحياء، ولو أن ذلك لا يعني أنهُ كان أكثرها سكاناً ولا بد أن حي البروكيون وهو الحي الملكي قد طغى عليه لتوسيع قصوره وحدائقه العامة ولتشييد قصور أخرى من تلك القصور التي كانت كثيرة العدد [1]، وذلك يتفق مع قول **إسترابون**: (**إن المدينة تشمل أماكن وحدائق عامة، وقصوراً ملكية تشغل مساحتها بل ثلثها ، لأن كل ملك كان يحرص على أن يضيف بدوره جديداً إلى المباني العامة وكذلك القصور الملكية)** [2].

أما **بوليبيوس** (Polybius)، فيختلف في قوله عن **إسترابون** بخصوص اتساع الحي الملكي فيقول: (**إن المهندس المدني الذي خطط لمدينة الإسكندرية كان قد أفرد خمس المدينة للمباني الملكية)**[3].

ويذكر **محمود الفلكي** الجغرافي والمهندس المصري المعروف بدأبه في البحث عن مقبرة الإسكندر أن حي البروكيون هو الحي الذي تقع به معظم القصور؛ لذا سمي بالحي الملكي، حيث كان يشمل المنطقة الواقعة بين البحر وبين ما يقع من الشارع الكانوى بين ميدان الهيبتاديوم وميدان الجمنازيوم، وكان يضم أيضاً مراسي السفن ومعبد الأرسينيوم (Arsenum)، ثم المسرح والمكتبة والمعابد والمقابر

(1) Philo , De Vita Contemplativa, 21- 24.L.C.L.

(2) Strabo , XVII , 9.L.C.L.

(3) Polybius , Histories , XV , 30 – 4.L.C.L.

والضريح الفاخر الذي أُقيم لمواراة جثمان الإسكندر في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس عندما أحضرهُ من منف وفق إحدى الروايات، وظل الرومان يعدون هذا القبر مقدساً يحج إليه الناس [١].

ويروى **إسترابون** أن القائد الروماني أكتافيوس (Oktavus) عندما جاء إلى الإسكندرية وأراد زيارة السوما (Soma)، وهو المكان الذي أُشير إليه بأنهُ قد ضم مقابر الملوك البطالمة الأوائل، فقال إنهُ لم يأت ليرى ملوكاً رحلوا بل أتى ليرى قائداً خلدت انتصاراته، كما يروى أنهُ قد قام بفتح تابوت الإسكندر واحتضن مومياءه حتى أتلف عظام أنف الإسكندر تحت اللفائف الكتانية، كما زارهُ كاراكالا (Karakella) بعد ذلك بعشرات السنين [٢].

وقد حدد **محمود الفلكي** مسافة ٢٣٠٠م الواقعة بين رأس لوخياس والهيبتاستاديوم، وهي المنطقة الممتدة حالياً من منطقة السلسلة حتى ميدان المنشية، كمنطقة للقصور الملكية والمباني البحرية؛ وذلك طبقاً لما ذكرهُ الكتّاب القدامى حيث كان القصر الملكي الذي عرف باسم القصر الخارجي مقاماً فوق رأس لوخياس، أما القصر الرئيس والقصور الملكية الأخرى الداخلية التي قامت فوق البروز الذي حددهُ الفلكي تجاه جزيرة أنتيرودس (Antirodes)، ومبنى التمونيوم (Tmonum) بين الشارعين المتقاطعين على الميناء، وشُيد على الشاطئ المسرح الكبير ومعبد بوسيدون (Posedon)، ووراء ذلك معبد قيصريون الذي شيدتهُ كليوبترا السابعة، وتأتي بعد ذلك السوق الكبيرة (Agora) والأرصفة ومستودعات الميناء، كما شيدت في الحي الملكي دار الحكمة، وبها مكتبة الإسكندرية القديمة ودار القضاء والجمنازيوم وزود الحي بحديقة للحيوانات [٣].

ولقد حظيت مدينة الإسكندرية باهتمام الكثير من المؤرخين والرحالة على مر العصور سواء أكانوا عرباً أم أجانباً، وكان هذا أمراً طبيعياً؛ لأنها كانت مدخل الوافدين إلى مصر عن طريق البحر فكانت لهم أول مدينة ينزجلونها، وقد كان الانبهار بعظمة المدينة وحسن هندستها وتخطيطها هو رد

---

(١) محمود الفلكي، الإسكندرية القديمة وضواحيها والجهات القريبة منها التي اكتشفت بالحفريات وأعمال سير الغور والمسح وطرق البحث الأخرى، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٢٧.

(2) Strabo , XVII , 9 .L.C.L.

(٣) محمود الفلكي، المرجع السابق، ص ١٢٨، وعن مدرسة الإسكندرية، انظر : مفيد رائف العابد ،الآثار الكلاسيكية ، جامعة دمشق ،دمشق ، ط١١، ٢٠٠٧-٢٠٠٨،ص ص١٤٦-١٤٨.

الفعل العام لهم، وعلى الرغم من أنهم لم يتحدثوا عن كثير من الآثار القائمة حالياً إلا أن ما ذكروه يفيدنا في معرفة المدينة ككل. وأهم ما جاء ذكره في كتاباتهم حتى القرن الثامن الهجري / السادس عشر الميلادي هو الحديث عن المنارة و عمود السواري ا(*)، وطريقة تخطيط شوارعها [1].(**خريطة ٤**)

كانت الإسكندرية محاطة بسور كبير أقصى طولهُ نحو ١٥كم ومزود بأبراج ضخمة ،وكانت المدينة تبلغ ٣٠ استاديا(**) طولاً وسبعاً أو ثمانية عرضاً، وكانت عادة الإغريق هي وضع الجبانات خارج المدينة وعلى ذلك كانت الجبانات الشرقية والغربية خارج أسوار المدينة، وكانت المدينة تُمد بالمياه عن طريق قناة كبيرة تتفرع من النيل عند (شيديا) قرب كفر الدوار حالياً، وكانت المياه تصل إلى خزانات وقنوات و صهاريج ما زال بعضها قائماً إلى اليوم [2].

إن أهم ما يُميزُ مدينة الإسكندرية منارتها التي أقيمت شرقي جزيرة فاروس (Faros) (**خريطة ٥**) في الفراغ الضيق بين الطرف الشمالي الشرقي للجزيرة والطرف الشمالي الغربي من الشريط الصغرى، وكان يصعب على السفن دخول هذا الفراغ الضيق فرأى بطليموس الأول فيما بعد أن يصنع منارة لتهدي السفن، وقد وضع أساسها سنة ٢٩٧ ق.م وأتمها من بعده بطليموس الثاني، وقام ببنائها المهندس سوستراتوس، (Sostratus)، وقد أحسن المهندس صنعها حتى جاءت رائعة الصنع، وعدَّت - كما يرى بعضهم - أعجوبة من عجائب الدنيا السبع (**شكل١٣**). وكانت المنارة تتألف من ثلاثة أقسام يعلوها مصباح ويحيط بالقسم الأول سور عريض ارتفاعه نحو ٧ أمتار، وكان القسم الأول رباعياً والثاني ثمانياً والثالث أسطوانياً يعلوه المصباح، وكان يتكون من ثمانية أعمدة تغطيها قبة فوقها تمثال

(*) يقع عمود السواري في وسط خرائب معبد السرابيوم فوق مرتفع من الأرض غربي المدينة على مقربة من الحي الوطني وهذا المعلم التاريخي المهم لا يهمنا كثيراً في بحثنا؛ لأنهُ خارج نطاقه، فقد أسس هذا العمود في العهد الروماني في عصر دقلديانوس (٢٨٤ / ٣٠٥م) وكان ذكرهُ يندرج في خانة التذكير.

(1) T. Harold Davis, Alexandria the golden city, illinois, 1957. V. P. 5.

(**) أستاديا ، مفردها ستاديوم (Stadiom) وهي وحدة قياس مسافات تساوي ٦١٠. انظر، إبراهيم نصحي، مصر البطالمة ، المرجع السابق ، ص٢٧٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ص٢٥-٣٠.

ارتفاعهُ نحو ثمانية أمتار ربما كان لإله البحار بوسيدون، وكان النور الذي يستخدم لإرشاد الملاحين ينتج من إحراق أخشاب صلبة في الصباح، ويظن أن به مرآة معدنية مصنوعة من المعدن لترسل الضوء إلى مسافة بعيدة. [1]

وقد كان للرحالة العرب باع في وصف مدينة الإسكندرية ونشأتها نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ابن **حوقل والمسعودي**، فقد زار الأول المدينة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ومن جملة ما ذكر: (**ومن مشاهير مدنها وعجيب آثار الإسكندرية، وهي مدينة على بحر الروم رسومها بينة وآثار أهلها ظاهرة تنطلق عن ملك وقدرة وتُعرف عن تمكن في البلاد وسمو ونصرة، وتفصح عن عظة وعبرة ، كبيرة الحجارة جليلة العمارة وبها من العمد العظام وأنواع أحجار الرخام الذي لا تفل القطعة منه إلا بألوف الناس، قد علقت بين السماء والأرض على فوق المائدة ذراع مما يكون الحجر منها فوق رؤوس أساطين دائرة الإسطوان منها ما بين الخمس عشرة ذراعاً إلى عشرين ذراعاً والحجر فوقه عشر أذرع في عشر أذرع في سمك أذرع بغرائب الألوان وبدائع الأصباغ**)[2].

أما **المسعودي** فقد زار المدينة في المدة نفسها تقريباً ومن جملة ما ذكره (**أن الإسكندر أمر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة، وجعل على كل قطعة من الأرض خشبة قائمة وجعل من الخشبة إلى الخشبة حبالاً منوطة بعضها ببعض، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام، وعلق على العمود جرساً عظيماً، وأمر الناس والقوام على البنائين الفعلة والصناع أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال، أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة في وقت يختارهُ ذي طالع سعيد**)[3].

يبدو أن **المسعودي** توجه إلى الأسلوب المعتمد على الأسطورة في بناء مدينة الإسكندرية وما ذكرهُ كان متداولاً في قصة بناء القاهرة في العصر الفاطمي، وليس الإسكندرية في العصر المقدوني ،

---

(١) سيد توفيق، سيد الناصري، معالم تاريخ حضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي ، المرجع السابق ، ص ص ٢٨-٣٠.

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض، ليدن، ١٩٦٧. ص١٥٠.

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، بيروت ١٩٨٢، ص٣٧٠ ؛ جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص١١٨-١٦٠.

والملاحظ أن الأمر اختلط على المسعودي، إذ إننا لم نجد في المراجع أو عند الرحالة ما يشير إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد(*) .

يرى الباحث بأن الآراء اختلفت حول تفسير رغبة الإسكندر المقدوني في بناء مدينة جديدة بمصر، فبعض الدارسين يرون أن المدينة هي البنية الأساسية لحياة الإغريق العامة، حيث تشبع الإغريق بالفكرة القائلة بأن المدينة هي النظام الحقيقي الطبيعي الوحيد الذي يستطيع أن يعيش في كنفهِ الرجال الأحرار، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلماذا ترك الإسكندر الأكبر مدينة نقراطيس (Nuratis) (كوم جعيف الحالية)؟ أولى المدن اليونانية التي أسست بمصر بمعرفة إغريق قادمين من ميليتوس فيما بين عامي (٧٣٠) و(٧٢٠) ق.م. لتكون مركزاً للجاليات الإغريقية التي كثر عددها بمدن الدلتا لاسيما في عهد بسماتيك الأول (Pesmatic I) أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين. وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول من هذا البحث، وعلى الرغم من توفر كل السبل التي تضمن لها النجاح، باعتبارها الميناء الوحيد المفتوح للتجارة بفضل وقوعها على أحد فروع النيل ناحية الغرب، وكانت لها إلى ذلك مزية سهولة الاتصال بالبحر المتوسط، إضافة إلى تمتعها بنوع من الحكم الذاتي.

هذا الأمر يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الإسكندر كان يرى بأن موقع الإسكندرية يحقق رغبته في إنشاء ميناء يتسع لتجارة إمبراطوريته بعد أن عظمت وأصبحت تضم أقاليم متباعدة من القارات الثلاث القديمة، (أفريقيا – آسيا – أوروبا)، ولكن السؤال الذي يجب طرحهُ إذا كان موقع الإسكندرية في ظل الدولة البطلمية قد كفل لها الازدهار والتقدم فهل الموقع ذاته كان سيوفر تلك الميزات خلال اتحاد بلاد إمبراطورية الإسكندر؟ أعتقد أن الأمر يبدو صعباً نوعاً ما، فالإسكندر في اعتقادي لم يكن ليتوقع ما ستصل إليه مدينة الإسكندرية من مكانة حضارية، والدليل على ذلك أن الإسكندر جعل مصر عامة والإسكندرية على وجه الخصوص تدخلان ضمن الممالك التي تتجه نحو بحر إيجه، بل أصبحت الإسكندرية تمثل إحدى مديريات الإمبراطورية المقدونية، وأن مصيرها أصبح مرتبط بذلك العالم الجديد وليس العكس، بل أن هناك من يرى أن الإسكندر لم يخرج من بلاد اليونان إلى آسيا الصغرى وبقية أجزاء الإمبراطورية الفارسية ومصر آنذاك بهدف تأسيس مدن بقدر خروجه لتحقيق أهداف عسكرية،

(*) وللمزيد من المعلومات عن مدينة الإسكندرية، انظر، محمد صبحي عبد الحكيم، مدينة الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ص١٢٥ – ١٣٩.

والدليل على ذلك أنه عندما دخل مدينة منف في مصر القديمة استولى على ثمانمائة ٨٠٠ تالنتاً من الذهب وعدد كبير من الأثاث الفاخر [١]. ومن هذا المنطلق ووفق ما سبق، فالإسكندر المقدوني لم يعطِ مصر، بل مصر هي التي جعلت منهُ ابن الإله ووارث ملك القطرين.

وكان هذا هو النظام الذي وضعه الإسكندر لحكم مصر قبل أن يغادرها في ربيع سنة ٣٣١؛ ليواصل حربه ضد الملك الفارسي في الشرق. ولكن ما لفت أنظاري أن هذا النظام كان ينقصه شيء هام وهو عدم وجود حاكم عام للبلاد ولكني وجدت الأمر الوحيد الذي جعل الإسكندر يقوم بذلك هو حتى لا ينفرد هذا الحاكم بحكم مصر، وتضيع مجهودات الإسكندر هباءاً، ولكن ما إن غادر الإسكندر مصر حتى وجدنا المشرف على الشؤون المالية كليومنيس النقراطيسي، يظهر فوق كل الموظفين والقادة الآخرين، بدأ وكأنه والي مصر الفعلي،ورغم أعماله التي أغضبت سائر الإغريق يبدو أنه ظل حائزاً على ثقة الإسكندر وبقي في منصبه طيلة حياة الإسكندر. وعلى الرغم من أن الإسكندر لم يمكث في مصر إلا أشهر قليلة، فإنه في تلك المدة القصيرة تمكن من وضع أساس مملكة مقدونية إغريقية كانت غريبة في ظاهرها مصرية في أصولها [٢].ولكن لماذا أقدم الإسكندر على غزو ما وراء الفرات والهند وما مراحل تلك الحملة وتداعياتها على قوة مقدونيا وسيطرة الإسكندر؟

(١) سليم حسن، مصر القديمة، ج ١٤، المرجع السابق، ص ١١.

(٢) مصطفى العبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، المرجع السابق ، ص٩٦.

خامساً : غزو ما وراء الفرات والهند

تؤكد معظم الدراسات الحديثة أن القيادة الفارسية بذلت جهوداً مضنية في سنة ونصف في سبيل إعادة إنشاء جيش يتمكن من الصمود في وجه جيش محترف تقوده عبقرية فذة، ورغم أنها حققت بعض النجاح في هذا المجال إلا أنها لم تتخذ الخطوة الأكثر ضرورة وحسماً وهي تنحية الملك دارا نفسه عن القيادة العسكرية في ساحة القتال.

وفي تموز (يوليو) سنة ٣٣١ق.م لحق الإسكندر بقائده بارمنيون -وكان يرابط على ضفة الفرات الغربية-، وعبر الفرات ثم دجلة دون مقاومة، ثم اتجه صوب قرية صغيرة تدعى (جاوجميلا) (موقع تل جومل على بعد حوالي ٥٠ كلم شمالي أربيل) حيث كان دارا قد عسكر على مقربة منها على رأس جيش كبير تسانده عدد من العربات المنجنيقية وخمسة عشر فيلاً هندياً مدرباً على القتال. [1]

*تمكن جيش الإسكندر من تحقيق نصر كبير بعد معركة ضارية، فرَّ على إثرها دارا، وزحف الإسكندر على بابل (**شكل ١٤**). حيث سلم له مازايوس وكان قائداً بارعاً حارب بكفاية وإخلاص في معركة جاوجميلا ، ولكن فرار الملك من المعركة ترك في نفسه أعمق الأثر. وقد أكرم الإسكندر هذا الرجل وعينه والياً على بابل، وكانت هذه هي أول مرة أسند فيها الإسكندر مثل هذا المنصب إلى فارسي، ولكن الإسكندر عين إلى جانبه قائداً عسكرياً مقدونياً، وكذلك مشرفاً على الشؤون المالية. وعندما سلم إلى الإسكندر عدداً من قادة الفرس البارزين عيّن منهم سبعة عشر والياً، ولكن الإسكندر أعطى مازايوس دون غيره من الفرس الذين أقامهم حكاماً على بعض الولايات حق سك النقود. وإزاء الترحيب الذي قوبل به الإسكندر في بابل أمر بإلغاء جميع قرارات الملك الفارسي اكسركسيس التي أبطلت العادات والتقاليد البابلية. وبعد ذلك تابع الإسكندر تقدمه نحو سوسا حيث عين عليها والياً فارسياً آخر، ثم سارع صوب برسبوليس (Persepolies) واستولى عليها، وغنم من كنوزها ما قدر بمئة وثمانين ألف تالانت، ولا يعرف السبب الذي دعاه بعد ذلك إلى الإقدام عامداً متعمداً - رغم نصيحة بارمنيون- على إحراق قصر اكسركسيس*[2]*، وإن كان بعض المؤرخين يعتقدون أنه أراد أن*

---

(١) رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، منذ فجر التاريخ حتى مجيء الإسكندر الأكبر، إيران – الأناضول، كلية الآداب، جامعة المنيا، د.ت، ص ٢٠٥.

(٢) سليم واكيم، المرجع السابق، ص ١٠٣.

يكون هذا العمل عبرة لآسيا وإيذاناً بأنه تم أُخِذ بثأر المعبد البابلي العظيم (E. Sagila) الذي خربه اكسركسيس قبل قرن من الزمن. [1]

وعندما علم الإسكندر بأن دارا يعد العدة لمتابعة القتال في اكباتانا – وكان قد فرّ إليها بعد معركة جاوجميلا – أسرع لملاقاته قبل أن يُتمّ استعداداته، ولكن قادة دارا تآمروا على ملكهم بعد يأسهم من قتال الإسكندر، واغتالوه بزعامة (بارسانتس) (parsantes) قبل وصول الإسكندر إليه بوقت قصير، فأمر أن تدفن جثة غريمه باحتفال ملكي مهيب (**شكل ١٥**). وكان من جراء اغتيال الملك الأكبر بعد الهزائم التي نزلت بالفرس، أنه لم يعد في وسعهم – باعتبارهم دولة – محاربة للإسكندر. وهكذا طويت إلى حد بعيد آخر صفحة من صفحات الإمبراطورية الفارسية وبدأ حكم جديد للمنطقة تحت رعاية حكام جدد يمثلون حضارة جديدة، وكذلك كان من جراء انتصارات الإسكندر واغتيال دارا أن الإسكندر أصبح الملك الأكبر بحق الفتح، ودعا نفسه سيد آسيا؛ وتبعاً لذلك أصبح من حقه أن يُعامِل كل من يقاومه معاملة العصاة الخارجين على سيد البلاد، حتى لو كانوا من العناصر الوطنية. ولذلك فإن الولاة الفرس الذين قدموا له الولاء عفا عنهم وثبتهم في مناصبهم، أما الذين قاوموه ووقعوا في الأسر، فإنه أعدمهم. ومما يلحظ منذ مقتل دارا دأب الإسكندر في المناسبات الرسمية على ارتداء الثياب الفارسية، وإتباع المراسم الفارسية بازدياد مطرد [2].

وذلك باعتقادي أنه كان يحاول التقرب من الفرس؛ حتى لا يقوموا بالاعتراض عليه أو عصيانه، حيث إنه وإن كان يرى كل شيء يدور في البلاد فهو أيضا قد يخفي عليه بعض الشيء ولذلك كان عليه أن يتعامل معهم كما لو كان فارسي وهذا ما قام به في مصر أيضاً . والمهم في الأمر، أنه بعد أن أمّن الإسكندر مؤخرته باستسلام ولاة الهضبة الإيرانية وفرار بعضهم الآخر، اتجه شمالاً نحو باكتريه (Pakterya) لاقتفاء أثر هؤلاء. وفي طريقه بلغ الإسكندر نبأ استسلام (ساتيبارزانس) (Sateparsanes) والي آريه، فعفا عنه وثبته في ولايته وأرسل إليه أحد قواده لمرافقته، وإن لم يزوده بقوات كافية؛ دليلاً على رغبته في إتباع سياسة جديدة تقوم على أساس الثقة بالولاة الفرس. وعند وصول الإسكندر إلى (بلخ) بلغه تمرد ساتيبارزانس، مما اضطره إلى العودة جنوباً وإخضاع آريه ثانية

(١) سليم واكيم، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) لطفى عبد الوهاب يحيى،دراسات في العصر الهلينسيتى ،دار النهضة العربية ،القاهرة،١٩٧٨ ، ص١٣٠.

رغم فرار ساتيبارزانس بصعوبة. وعلى مقربة من إحدى المدن الهامة التي تدعى ارتاكوانا (Artakwana) أسس أول مدينة حملت اسمه شرقي الدجلة. وفي طريقه نحو باكترية توقف الإسكندر في المقر الملكي الفارسي في فرادا (Frada) حيث اتهم الحاكم فيلوتاس -أحد أفضل ضباطه- بتهمة الخيانة لشخص الإسكندر فأعدمه، كما أصدر في السنة نفسها ٣٣٠ق.م أمراً باغتيال أعظم قادته بارمنيون؛ للشك الذي خامر الإسكندر حوله، والأقاويل التي حيكت حول تصرفاته السابقة .(١)

وبعد إعادة تنظيم بعض فرق الجيش أخضع الإسكندر كلا من ولايات الهند الشمالية والشمالية الغربية. وفي سنة ٣٢٨ق.م نجح الإسكندر بعد جولة مثمرة في شمال شرقي الهضبة الإيرانية في فرض سيطرته على جميع الأصقاع التي دانت في مدة سابقة للمتمردين من بدو الساكا، والصغديين والباكتريين، وأهمهم أوكسو أرتس (Ookso artes)، الذي استسلم رجاله للإسكندر بعد مقاومة عنيفة، ووقعت أسرته في الأسر بما فيها ابنته روكسانا التي تزوجها الإسكندر فيما بعد متابعاً بذلك سياسته التي أفضت إلى سوء التفاهم وفقدان الثقة بينه وبين الإغريق والمقدونيين. ذلك أن هذا الزواج كان زواجاً سياسياً محضاً قصد به إظهار احترامه للعرق الفارسي بصورة خاصة، واسترضاء الأمراء الشرقيين، ووضع حد للحرب القومية بصورة عامة. (٢)

وإلى حين اغتيال دارا واستيلاء الإسكندر على العاصمة الفارسية اكباتانا (همذان) في صيف سنة ٣٣٠ق.م كان الإسكندر ملكاً مقدونياً وقائداً لحلف كلفه بمحاربة الفرس، وقد بلغت هذه المهمة غايتها بتحطيم الدولة الفارسية، ولعل الإغريق بحلفيهم شعروا بأنه لا علاقة لهم باستمرار زحف الإسكندر شرقاً، ولاسّيما عندما رأوه ماضياً في اتخاذ بعض الخطوات التي أشعرتهم وأكدت قناعتهم أن الإسكندر لم يعد مليكهم فقط، بل أصبح ملكاً آسيوياً، ذلك أن الإسكندر عني باحترام رعاياه الجدد من الشرقيين (مصريين وسوريين وبابليين وفرس)؛ لإيمانه بأن التفرقة بين الناس في المعاملة يجب أن تقوم على أساس فضلهم وليس جنسهم، وقناعته رغم تأخر بعض مظاهر حضارات هذه الأقوام عن الحضارة الإغريقية، بإمكانية تحضير هؤلاء والاستفادة من مقوماتهم الحضارية القائمة، وهي عكس الفكرة التي

---

(١) دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر، عبد المنعم محمد حسنين، مكتبة مصر،القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ١١٨ - ١٢٣.

(٢) أحمدكمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص ص ٢١٨ - ٢١٩.

كان ينادي بها أرسطو كما أسلفنا، ودان بها الإغريق بوجه عام. وقد ضاق رفاق الإسكندر بما لاحظوه من أنه لم يكتف بإقامته ولاة من الفرس، بل دَرَجَ منذ وفاة دارا الثالث على التشبه بملوك الفرس في المناسبات العامة، ثم شَفع ذلك بزواجه من فارسية، وأعقب ذلك بإعداد العدة لتدريب عدد كبير من شباب الفرس على النهج المقدوني في القتال [1].

وعلى أية حال، فقد كان من شأن هذه التصرفات التي قام بها الإسكندر أن رفاقه من المقدونيين والإغريق تخيلوا - نظراً لعَجزهم عن فهم المغزى الحقيقي الذي رمى إليه الإسكندر - أنه تحول إلى ملك فارسي، ورأوا أن من واجبهم إيقافه عند حده. مما تسبب له في كثير من المتاعب، كانت أولاها مؤامرة (فتيان القصر)، وهي التي ارتبط بها اسم كاليستنس (Kalestenes)، والذي حكم عليه بالإعدام مع بقية المتآمرين. وبيان ذلك أن أحد فتيان الحاشية ويدعى هرمولاوس (Hrmolos)، تآمر ونَفَرٌ من زملائه على حياة الإسكندر، بأمر من كاليستنس الذي أثبت التحقيق أنه ردد على مسامعهم رغبته في قتل الطغاة، ولعل حدوث هذه المؤامرة يكفي للدلالة على عجز رفاق الإسكندر بما فيهم أنضجهم عقلاً وأكثرهم ثقافة مثل كاليستنس عن تفهم مرامي الإسكندر السياسية. [2]

ولم يكن من شأن التآمر على حياة الإسكندر أن يصرفه عن المضي قدماً في اتجاهه. ذلك أنه حين كان لا يزال في باكترية خطا خطوتين في هذا الاتجاه، أحداهما أنه وضع فرقة الفرسان الملكيين تحت قيادته الخاصة، وضم إليها قلة من أبناء نبلاء الفرس، والخطوة الأخرى هي أنه أعاد جميع فرسانه البلقانيين إلى بلادهم عدا التراقيين منهم، واستبدلهم بالذين أعادهم فرساناً من الشرقيين ممن استبسلوا سابقاً في مقاتلته قبل إخضاع ولاياتهم، ثم أخلصوا في خدمته، وهو أمر يعكس مدى ثقة الإسكندر بنفسه وبسياسته. [3]

كانت الهند في نظر الإسكندر لا تعدوا كونها إمبراطورية الملك الفارسي دارا الأول، وكان غزوها من قبل الإسكندر تحصيلاً حاصلاً، حتى يقضي على الإمبراطورية الفارسية، وعلى الرغم من أن الإسكندر لم يكن يعرف بلاد الهند على حقيقتها، وليس لهذا علاقة بأي مشروع كان يستهدف فتح

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى ، دراسات في العصر الهلبنستي المرجع السابق. ص ١٣٤.

(٢) سنية قراعة وآخرون، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٣) دونالدولبر، المرجع السابق، ص ١٤٢.

العالم، ولا يوجد دليل واحد على أن لهذا الغزو علاقة بذلك الفتح المزعوم؛ لأن العالم في الأساس لا يعدو كونه حدود الإمبراطورية الفارسية، ويعتقد بعض المؤرخين أن الإسكندر، لم يكن يعرف ما كان يحكمهُ دارا الأول من إقليم البنجاب على وجه الدقة، في حين فإنه يُعتقد بأن الإسكندر كان على دراية بأن قورش كان مسيطراً على الهند برمتها حتى المحيط الشرقي . وهذا يظهر مدى اهتمام الإسكندر بقورش الفارسي مؤسس الإمبراطورية. وكل ما يهمنا هو أن ندرك بأن الإسكندر كان يرمي للسيطرة على الهند وضمها إلى باقي ولاياته المقدونية، فشرع بالفعل يعقد بعض الاتصالات السياسية من هناك، فحضر إليه زعيم من قندهار يدعى ساسيجوبتا (Sasigupta)، كذلك تحالف راجاتكسيلا (Ragatksela) مع الإسكندر من أجل هزيمة زعيم هندي يدعى بوروس (Poros)، في حين ظهرت مسألة عرضية عني بها الإسكندر، وأظهر رغبة شديدة في إيجاد حل لها، وهي مشكلة المحيط والوقوف على مدى علاقة الهند بمصر، وعلى ذلك كان من الضروري أن يحاول الكشف عن شواطئ البحر الجنوبي بأسطول يجوبه، ولتحقيق هذا الغرض اصطحب معهُ إلى الهند مجدفين وبنائين للسفن من فينيقيا وقبرص وكاريا ومصر، وقد اختارصديقهُ نيارخوس قائداً للأسطول [1].

ليس في الإمكان سرد مراحل غزو الهند بالتفصيل؛ لأنهُ ليس في صلب موضوعنا، ولكن للإشارة فإن الإسكندر استطاع إخضاع الهند وتقسيمها إلى ولايات تابعة لإمبراطوريته العالمية، وقد حاول العديد من المؤرخين والباحثين ومن بينهم **تارن** (**Tarn**) التطرق إلى هذه المسألة [2].

وبعد إعادة تشكيل قواته في مدينة تاكسيلا (Taksalla) أصدر الإسكندر أوامره إلى هذه القوات -التي بلغت نحو ثلاثين ألفاً ٣٠٠٠٠- بالتحرك نحو الهند، التي لم يكن يعرف عنها إلا معلومات ضئيلة لقنه إياها أستاذه أرسطو، ولم يكن مدلول الهند عند الإسكندر عندما غزاها أكثر وضوحاً من إقليم البنجاب، ولما كانت الهند جزءاً من إمبراطورية دارا الأول، فإن غزوها كان أمراً ضرورياً لاستكمال فتح هذه الإمبراطورية. [3]

خرج الإسكندر من مدينة باكترية متجهاً نحو كابول وفي طريقه في بداية صيف سنة ٣٢٧ق.م ، قدم له بعض زعماء المنطقة عدداً من الفيلة هدية لمتابعة حربه بعد أن يئسوا من مقاومته، واستطاع في

---

(١) و. و- تارن، المرجع السابق ، ص ص ١٤١-١٤٢.

(٢) المرجع نفسهُ ، ص ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) سنية قراعة وآخرون، المرجع السابق، ص ١٠٩.

مدة وجيزة – بفضل أوتي من روح معنوية عالية وكفاية حربية ومهارة دبلوماسية – أن يكتسح معظم الأقاليم المتاخمة لمملكة باورافا (Paorafa) شمال غربي الهند، وكان ملكها (بوروس) قد تحالف مع بعض الحكام المجاورين. وبعد أن أعاد الإسكندر تنظيم فرسانه، فاجأ غريمه بوروس -الذي عسكر بالقرب من أحد الأنهار- بحركة التفاف سريعة أفقدت قواتَه وفيَلتِه قدرتها على القيام بأي هجوم معاكس ، وانتهت المعركة بهزيمة قوات بوروس بعد استبسالها في المعركة استبسالاً منقطع النظير؛ ونظراً لشدة إعجاب الإسكندر بشجاعة بورس وقواته عرض عليه أن يصبح حليفاً له وحاكماً وطنياً يتمتع بقسط من الرعاية والحماية، فوافق بوروس على هذا العرض، كما بارك مساعي الإسكندر لإصلاح ذات البين بينه وبين حليف هندي آخر للإسكندر المدعو (تاكسيلاس)، ويبدو أن الإسكندر قد خشي بعد ذلك من قيام أحدهما أو كلاهما بثورة على سلطته، فحاول جهده لإقرار موازنة بين قوات كل من الطرفين وممتلكاتهما. [1] والسؤال هنا ما الفكر الحضاري عند الإسكندر وكيف ومتى ظهرت فكرة السيطرة العالمية؟

(1) W. Smith, Dichtionary of Greek and Roman Biographr and my. Theology, London. 1846, P.81.

سادساً : الفكر الحضاري عند الإسكندر وظهور فكرة السيطرة العالمية

يمكن أن نطرح في هذه النقطة مجموعة من الأسئلة أهمها : هل فكر الإسكندر في السيطرة العالمية حقيقة وهل سعى إلى تحقيق هذه السيطرة؟ أو بمعنى آخر ما الأهداف التي جعلت الإسكندر ينطلق من مقدونيا ويتجه إلى آسيا؟

اختلف أغلب الباحثين في الإجابة عن هذين السؤالين، لذلك يصعب تحديد إجابة دقيقة ووافية حول هذا الأمر وبما انه لا توجد لدينا أي نصوص أكيدة ودقيقة تفيدنا في البحث في هذا الموضوع نجد أن أغلب البحوث والدراسات، قد أشارت إلى أن الإسكندر ربما كان هو نفسه غير متأكد من تفاصيل برنامجه الذي سار عليه، وقام بكل تلك الغزوات من خلاله ،ولكننا إذا أمعنا النظر في تتابع الأحداث ولاسيّما في المراسلة التي أجريت بين ملك الفرس والإسكندر نصل إلى الآتي:

*اتجه الإسكندر بعد معركة الغرانيق (آخر ربيع سنة ٣٣٤ ق.م) إلى ساحل بحر إيجه الشرقي ، فاحتله مع قسم من جنوب غربي آسيا الصغرى، ثم توغل في قلب الأناضول، وتوقف عند مدينة غورديون (Gorduon) مع جيشه ليقضي الشتاء بها (٣٣٣،٣٣٤ق.م). وكانت تحفظ في هيكل زيوس (Zeos)، في قلب المدينة ،كارة قديمة تنسب إلى الملك غورديوس، (Gordus) وأغرب ما في هذه الكارة انه كان يشد النير إلى عرشها حبلاً ضخماً من اللحاء، خفي أوله وآخره، باشتباكات يصعب تمييزها، وكانت قد شاعت نبوءة عند عقدة الكارة، أن الآلهة وعدت من يستطيع فك الرابط فله الحق في السيطرة على آسيا كلها، وكان هنا دور الإسكندر حيث إنهُ وقف أمام هذه العقدة وتأملها ،وبعد أكثر من محاولة استل سيفه وقطعها بضربه واحدة (**شكل ١٦**) . وكانت السماء حينها تبرق وترعد مما جعل العرافين والجيش والإسكندر يؤكدون أن الآلهة قد وافقت على ما حدث وأن النبوءة سوف تتحقق لصالح الإسكندر* [1]. ويعتقد الباحث هنا أن هذه الحقيقة تندرج تحت قائمة الأساطير المرتبطة بالإسكندر الأكبر لا أكثر ، رغم أن بعض الأساطير قد يكون لها جانب من الحقيقة. وتلا هذه الحادثة معركة أيسوس التي ظهر فيها انتصار الإسكندر وبراعته في الحرب، إذ لقي فيها دارا ملك الفرس، وكان هذا اللقاء الأوّل في ساحة القتال اضطره إلى الفرار تاركاً وراءه سرادقه الضخم وفيه والدته وامرأته مع ابنتيه وابنه الصغير .

---

(1) V. Wllken, Alexandre Le Grand , Payot , P. 30.

يعتقد كثير من المؤرخين والباحثين أن الحظ قد حالف الإسكندر أكثر من مرة في الكثير من الفتوحات والمعارك، وحتى في يوم توليه العرش، إذ وجد تحت يديه جيش كبير، ويتضح أيضاً أن اعتقاد الإسكندر بنجمه يوازي اعتقاده بالآلهة، وكان يقينه أن السماء تسانده وتحميه، وأنها أوكلت له مهمة لابد له من تنفيذها، وأنه يأخذ من حماية الآلهة الكثير حيث أنقذتهُ من الموت المؤكد أكثر من مرة، ولاسّيمًا في أول معركة له مع الفرس يوم الغرانيق [1].

وهنا أرى أن إيمان الإسكندر بفكرة الحظ ومساندة الآلهة له جعلته يتميز بقوة خارقة، وينطلق بين البلاد فاتحاً إياها ،كما جعلته لا يهاب الموت ولا يخشى أي عدو مهما كانت، وهنا أجد ما يجعلني أشير إلى أن قوة الإيمان بأي معتقد مهما كان يجعل صاحب هذا الاعتقاد ينطلق مدافعاً عنه وعن القيام بما يتطلبه هذا الاعتقاد وهذا ما دفع الإسكندر للقيام بتلك الفتوحات الكثيرة دون مخافة من المجهول أو الهزيمة أو الموت.

إنّ الأسباب التي جعلت الإسكندر يتطلع إلى فكرة السيطرة العالمية هي كثرة أخطاء أعدائه إضافة إلى إيمانه بحظه القوي ووقوف الآلهة إلى جانبه، ويدعونا هذا الأمر إلى إثارة السؤال الآتي : ماذا يعني تقاعس قادة الفرس عن عرقلة اجتياز الإسكندر الدردنيل ومقاومة نزوله بأرض آسيا بخيوله وعتاده، على الرغم من أن أسطول الفرس كان أكثر من ضعفي أسطول الإسكندر الأكبر وعليه الفينيقيون والقبارصة، أمهر بحارة العصر القديم؟ [2].***(خريطة ٦)***

يذكر خليل سارة في هذا الموضع (**أن هناك جملة عوامل دعت الإسكندر ليكوِّن الركيزة الأساسية لشخصيته العسكرية الخارقة، وتفكيره المبدع الخلاق على حد قوله ومن جملة هذه العوامل بإيجاز:**

١- الأسس القويمة التي أقام عليها فيليب والدهُ صرح مقدونيا، سهل عليه الكثير من المصاعب العسكرية، فكانت بذلك عاملاً مادياً مهماً[3].

---

(1) G.radet ,Alexandere Le Grand ,Artisan Du Livre,P27

(٢) متوديوس زهيراتى، المرجع السابق ص٧٣.

(٣) خليل سارة، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، دمشق ٢٠٠٧، ص٩٤.

٢- العبقرية العسكرية المتعددة الجوانب للإسكندر رغم صغر سنه، أضف إلى ذلك ما يتمتع به من صفات قيادية ذاتية متفوقة.

٣- ضعف خصوم الإسكندر هيأ لهُ فرصاً عدة للانتصار عليهم.

٤- موت القائد الفارسي الكبير (ممنون الرودسي)، هذا الذي كان في شخصه يمثل أكبر خطر على شخص الإسكندر ، بسبب تفوقه العسكري وتكتيكاته الحربية.

٥- يبدو أن الحظ أيضاً كان عاملاً مهماً من عوامل تفوق الإسكندر، فقد نجا على ما يُذكر أكثر من مرة من محاولة الاغتيال والموت في المعارك.

٦- كان الإسكندر سخياً مع قادته وحاشيته فقد منّ عليهم بالأموال والعطايا؛ ليكسب ولاءهم ويبعث فيهم روح الثقة والمغامرة)[1].

ويمكن القول بأنه منذ وفاة الإسكندر قد تغير الوضع تماماً، حيث سنرى في الفصل القادم العديد من المتغيرات التي تعرضت لها مصر والإمبراطورية التي أقامها الإسكندر بوجه عام وما حدث من خلاف بين كبار قادة الجيش، وما حدث من ضعف واضمحلال للإمبراطورية المقدونية الفتية.

(١) خليل سارة ، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، المرجع السابق، ص ص٩٥ - ٩٧.

سابعاً: نهاية الحملة ووفاة الإسكندر

بدأت مشاق الزحف الهندي مع بداية فصل الصيف، عُندما أصر الإسكندر على متابعة مسيرة لاستكمال سيطرته على بعض الشعوب التي لم تعلن ولاءها، تمرد الجيش الذي أنهكه التعب وأضناه اشتداد الحرب والحنين إلى الوطن. ورغم استياء الإسكندر من تصرف قواته واعتكافه مدة ثلاثة أيام في انتظار عدول الجيش عن تمرده ومتابعة المسيرة، قرر في النهاية العودة وسط تهليل الجنود وفرحتهم، وبعد عناء شديد في طريقي العودة البري والبحري وصل الإسكندر وجيشه إلى مدينة سوسا الفارسية في ربيع سنة ٣٢٤ق.م، حيث أقام الإسكندر فيها وليمة كبرى احتفالاً بإتمام غزوه للإمبراطورية الفارسية وفي هذا الحفل عقد قرانه مع ثمانين من ضباطه على فتيات وسيدات من نبيلات الفرس، كما عقد قران ١٠,٠٠٠ من جنوده على فارسيات، ومما يجدر بالذكر أن الإسكندر وصديقه هيفايستيون زفا إلى ابنتي دارا، وكانت (بارسيني) (Parseni) من نصيب الإسكندر. وكان هذا الإجراء بمنزلة خطوة أخرى نحو تقوية أواصر الرباط بين الشرق والغرب عن طريق المصاهرة. [1]

لقد قلق الإغريق والمقدونيون من تصرفات الإسكندر التي جعلته يبدو لهم ملكًا فارسياً أكثر منه مقدونياً، فقد تفاقم خلافهم معه تفاقماً شديداً ولاسّيما عندما جاء حكّام المدن الجديدة التي بناها الإسكندر أو غزاها، ومعهم ثلاثون ألفاً من الفرس الذين تدربوا على النهج المقدوني للانخراط في صفوف الجيش. ذلك أن رجال الإسكندر ربطوا بين هذه الظاهرة والظواهر الأخرى التي مر ذكرها. وعدّوها دليلاً على استشراق الإسكندر، ولكنه لم يعر ذلك اهتماماً ومضى في طريقه وكأن شيئاً لم يكن . [2]

وفي هذه المرحلة (٣٢٤ق.م)، كان الإسكندر قد أصدر مرسومه الشهير الذي وجهه إلى المدن الإغريقية في حلف كورنثة، وفيه يبلغهم أوامره بالسماح للمنفيين السياسيين وأسرهم بالعودة إلى مدنهم واستثنى من ذلك مدينة طيبة. وكان هدف الإسكندر من ذلك استقرار الأوضاع في بلاد الإغريق بالقضاء على الصراع الحزبي في المدينة الواحدة ودرء خطر هذا الحشد الهائل من الرجال المشردين

---

(١) أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(٢) سنية قراعة وآخرون، المرجع السابق، ص ١١٢.

بلا وطن الذين كانوا يعرضون خدماتهم كمرتزقة على من يشاء [1]. كذلك اتخذ الإسكندر في السنة نفسها إجراء آخر وهو أنه طلب إلى مدن حلف كورنثة تأليهه. ويفهم من ذلك أن الإسكندر أراد أن يتيح لنفسه التدخل في شؤون الحلف؛ لأن الإسكندر رئيس الحلف مقيد بميثاقه، وأما الإسكندر الإله، فإنه لا حدود لسلطته. [2]

وبعد ذلك بقليل، وعندما قرر الإسكندر أن يعيد إلى مقدونيا الطاعنين في السن من رجال الجيش، تأكدت وساوس المقدونيين، وظنوا أن الإسكندر كان يرمي إلى أقصائهم عنه تدريجياً، ونقل مركز الإمبراطورية من مقدونية إلى الشرق تمشياً مع سياسته المشرَّبة بروح العطف نحو الشرقيين. وساعد على تأكيد وساوس المقدونيين ما لاحظوه من اهتمام الإسكندر الشديد، وولعه بإنشاء المدن الجديدة والمستقرات العسكرية في أنحاء الإمبراطورية الفارسية كافة، فقد كان من شأن ذلك توكيد سياسة المزج والمساواة التي رحب بها الإسكندر ودعمها بالكثير من تصرفاته، على حين أنها لم ترض كبرياء معظم عناصره وأنفتهم، فرفضوها ضمناً، وجهراً أحياناً؛ ولذا فإن رجال الجيش جميعاً -باستثناء الحرس والفرق الفارسية - ثاروا على الإسكندر وطالبوا بإعادتهم جميعاً إلى أوطانهم (**شكل ١٧**). عندها غضب الإسكندر غضباً شديداً مما اجترأ عليه رجاله، وبعد أن أمر رجال الحرس بالقبض على زعماء الفتنة، ألقى في جموع الجيش خطبة مؤثرة ختمها بتسريح الجيش من خدمته. وبعد اعتكافه مدة يومين دعا زعماء الفرس إليه، وطلب منهم مساعدته في إنشاء جيش قوامه البشري فارسي، وتسمياته وأنظمته مقدونية، ونتيجة لهذا التصرف وكلماته النافذة فُتَّ في عضد الجيش، وتراجع عن موقفه وعاد الجميع يطلبون الغفران والسماح، فعفا عنهم، وحدث الصلح الذي ظل مفقوداً بين الإسكندر ورجاله مدة طويلة. وقد أقام الإسكندر احتفالاً بالصلح وليمة كبرى اختتمها بإقامة صلاة من أجل السلام متمنياً أن يدوم الوئام والتعاون بين الفرس والمقدونيين، وجميع عناصر الإمبراطورية، وأن يسود الحب والود والإخاء بين هذه العناصر. ولعل ابتهاله هذا يُثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسكندر لم يكن مُدَّعياً في تصرفاته السابقة ولا مداهناً، ولم تكن غايته الوصول إلى مكاسب سياسية مؤقتة، بل كانت

---

(١) بسام العسلي، المرجع السابق، ص ١٩٧ .

(1) J. B. Bury. Op. Cit. P. 410.

معظم تصرفاته تعبيراً صادقاً عن إيمان بعقيدة راسخة كما لو كان يحمل رسالة مقدسة وَجَبَ عليه تأديتها على أحسن ما يكون. وبعد الحفل، أمر الإسكندر بإعادة الجنود القدامى - ويقدر عددهم بعشرة آلاف -بصحبة قائده كراتروس إلى مقدونيا وبلاد الإغريق محملين بالهدايا. (١)

وفي ربيع ٣٢٣ق.م ، وصل الإسكندر إلى بابل، وأرسل بعثة استكشافية علمية للتأكد من أي النظريتين أصح: نظرية أرسطو القائلة بأن بحر قزوين لم يكن إلا بحيرة كبيرة، أم النظرية القديمة القائلة بأن هذا البحر ليس إلا خليجاً ناتئاً من المحيط. كما أرسل بعثات لاستطلاع سواحل الجزيرة العربية، وبعد عودة البعثات، وحين كان معنياً بوضع مخططاته الحربية؛ لغزو بلاد العرب، داهمه مرض خطير أقعده عن الحركة وأدى إلى وفاته في ليلة العاشر أو الحادي عشر من شهر تموز ٣٢٣ ق.م (**شكل١٨**)، وكان قد عمّر ثلاثة وثلاثين عاماً، وامتد حكمه اثنتي عشرة سنة تقريباً (٢).

ويمكننا أن نحصر أهم الآثار التي خلفها الإسكندر في مصر القديمة باعتبارها مجال بحثنا المكاني والزماني في الآتي:

١- نقش على جدران معبد الأقصر مؤرخ بالسنة الثالثة من حكم حور بن رع ملك الوجه القبلي والبحري (الإسكندر) وهذا النقش يحتوي كذلك على تاريخين من السنة الرابعة من عهد فيليب أزيداوس (Azedaos) خلف الإسكندر (٣).

٢- بردية مؤرخة بالسنة التاسعة من عهد الفرعون الإسكندر، وهي محفوظة الآن في متحف استراسبورغ وتحدثنا عن ملكية توارثها أفراد أسرة من الشعب عدة أجيال (٤).

٣- تجديد محراب أمنحوتب الثالث (Amnohotp III) في معبد الأقصر (٥).

---

(١) سليم حسن، مصر القديمة، ج ١٤، المرجع السابق، ص ٣.

(٢) المرجع نفسه ، ص ص ٣ – ٦.

(3) Darressy Rec, Travc, XIV, 1892- P. 33.

(4) Seidl, urk, NO, 22, P. 22.

(5) Sethe Hierog, Urk, der Griech – Rom, Zeit, P. 78؛ Darressy , Notice explictive desruines dutemple de luxor, P.65-68.

٤- ذكر اسم الإسكندر في معبد الكرنك في نقش جاء فيه حور بن رع الملك القوي ملك الـــوجهين القبلي والبحري رب الأرضين ورب الظهور على العرش، حور بن رع. الإسكندر [١].

٥- *عثر على رأس تمثال للإسكندر في باب معبد الكرنك، نقش عليه ملك الوجهين القبلي والبحـــري (شب – نى – رع- مرى- أمن) ابن رع (الإسكندر) وهذا الرأس يعد أفضل رأس عثر عليه حتى الآن للإسكندر* [٢].

ومما يجب التنويه إليه أن هناك العديد من الآثار غير التي ذكرناها نسبت للإســـكندر في مـــصر القديمة، غير أن بعضها لا يمكن التأكد من صحة نسبها لهُ، فمثلاً *البوابة المصنوعة من الجرانيت وهـــي لا تزال قائمة في الجزء الجنوبي من جزيرة الفيلة، نسبت إليه ثم اتضُح أنها ليست من عمله، بل أقيمت في عهد الإسكندر الثاني (الرابع عند المقدونيين) فرعون مصر* [٣]. والسؤال هنا ما أوضاع البطالمة بعد وفاة الإسكندر ومن هم ورثة عرش إمبراطوريته وكيف إنتقل الحكم من الإســـكندر إلى البطالمـــة ؟ وهـــذا ما سيجري تناوله في الفصل الثالث من هذا البحث.

---

(1) Bragsch , Thesaurus, P. 852.

(2) Paressy. Rec. Trav, X, 1888- P. 143-144.

(3) Catal , des Monum , et Inscrip, de l'egypte Antigue, T, P. Log; Mahaffy, the Empire of the ptolemies, P.1.

الفصل الثالث

البطالمة ورثة الإسكندر في مصر

- أولاً : الخطوات الأولى لانتقال الحكم من الإسكندر إلى البطالمة.
- ثانياً : ملوك البطالمة.
- ثالثاً : علاقات البطالمة الخارجية مع السلوقين والرومان .
- رابعاً :برقة فى ظل الحكم البلطمي.
- خامساً : مصر ولاية رومانية.

عندما فتح الإسكندر الأكبر مصر في خريف عام ٣٣٢ ق.م أصبحت مصر جزءاً من الإمبراطورية المقدونية التي لم يقدّر لها أن تعمر طويلاً ، ذلك أنهُ عندما توفي الإسكندر في صيف ٣٢٣ ق.م، وزعت ولاياتها بين قواده؛ ليحكموها باسم الأسرة المالكة المقدونية، فكانت مصر من نصيب بطليموس بن لاجوس. و لم تلبث أطماع أولئك القواد أن أفضت إلى حروب شعواء قطّعت أوصال الإمبراطورية المقدونية. (**خريطة ٧**) وإذا كان بطليموس لم يتخذ لقب ملك إلا في سنة ٣٠٥ ق.م، فإنهُ كان ملكها الفعلي أي مصر القديمة منذ سنة ٣٢٣ ق.م، فقد كانت لهُ فيها الكلمة العليا، وأخذ يعمل بجد لدعم مركزه فيها والاستقلال بها، وقدر لمصر البطلمية أن تعمر حتى قضت عليها روما كما سيأتي لاحقاً وضُمت إلى إمبراطوريتها عام ٣٠ ق.م[١].

كانت السياسة الخارجية لملوك البطالمة الأوائل تستهدف المحافظة على استقلال مصر السياسي والاقتصادي، وبناء إمبراطورية بحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط تكفل لها السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إليها، وعلى منافذ طرق التجارة الشرقية والحصول على ما تفتقر إليه من المواد الضرورية كالأخشاب والمعادن إلى جانب تصريف الفائض من منتجاتها يضاف إلى ذلك أنهم أدوا الدور الأول في سياسة بحر إيجة واقتصاده، وبلغت إمبراطوريتهم أقصى اتساعها في عهد بطليموس الثالث، إذ كانت تمتد من برقة حتى تراقية فضلاً على قبرص وكريت (Kreet)، وبعض جزر بحر إيجة. و لم يكد يمر نحو قرن من الزمان على قيام الدولة، حتى أخذ الاضمحلال يدب فيها ويرجع هذا الاضمحلال إلى :

***أولاً** : ضعف السلطة المركزية واختلال نظام الحكم في عهد بطليموس الرابع والخامس، وقد ترتب على ذلك أن واجه البطالمة خطرين داهمين هما :*

١- انتعاش روح الثورة بين المصريين خصوصاً بعد معركة رفح عام ٢١٧ ق.م.

٢- الاعتداء على ممتلكات مصر الخارجية، وضياع أغلبها في عهد بطليموس الخامس، ثم الاعتداء على مصر ذاتها في عهد بطليموس السادس.

---

(١) محمد محفل، محمد الزين، دراسات في تاريخ الرومان، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠١٠-٢٠١١ م، ص ص١٧٨-١٨١ .

***ثانياً** : ازدياد نفوذ روما بإطراد في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وقد زاد أيضاً نفوذها في مصر لسببين هما:*

١- *المخاطر التي تعرضت لها مصر منذ بداية عهد بطليموس الخامس من قبل مقدونيا، ولاسيّما من السلوقيين؛ مما دفع البطالمة إلى الارتماء في أحضان الرومان منذ بداية القرن الثاني ق . م، في حين أن روما لم ترد إلى البطالمة ممتلكاتهم وإن كانت قد ردّت اعتداء السلوقيين عليهم، فأصبحوا يدينون لها بملكهم.*

٢- *ظهور روح التنافس واستحكام الصراع بين أفراد أسرة البطالمة منذ عهد بطليموس السادس، فأدى ذلك بالمتنازعين إلى الاحتكام إلى روما للفصل في منازعاتهم، فتوطد بذلك نفوذ روما في مصر ، ولم يبق للبطالمة من الاستقلال إلا ظله* [(١)].

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التاريخية التي تناولت هذه المرحلة كان أغلبها مكتوباً ومدوناً بالإغريقية واللاتينية، صاغها الكتَّاب القدامى من مؤرخين و جغرافيين وشعراء ، كذلك وثائق البردى والنقوش وكسر الفخار والنوميات والمخلفات الأثرية، ونحن في الأساس نستقي كل معلوماتنا عن تاريخ مصر الخارجي من الكتَّاب القدامى، لكن هذه المعلومات غير وافية ولا متواصلة ولا هي بقدر واحد سواء عن مختلف مراحل هذا العصر أم عن مختلف جوانب تاريخ مصر الخارجي، ودليلنا على ذلك أن الوثائق البردية التي هي أهم مصادر تاريخ مصر الداخلي في هذا العصر، رغم أعدادها الهائلة التي نشرت منها حتى الآن، كان ضوءها الذي تلقيه على هذا التاريخ موزع على أنحاء مصر المختلفة، وعلى نواحي الحياة فيها، وعلى القرون الثلاثة تقريباً التي عمرتها دولة البطالمة، وأغلب الوثائق البردية التي نشرت حتى الآن وثائق إغريقية من عهود بطليموس الثاني والثالث والسادس والثامن، وهي ذات صبغة محلية تتناول موضوعات متفرقة لا رابط بينها، وكثير من هذه الوثائق رسمي، أو شبه رسمي ويصور علاقات السلطتين المركزية والمحلية بالموظفين وبمختلف طبقات السكان، ومثل ذلك: الأوامر الملكية وتعليمات الوزراء إلى مرؤسيهم، ومختلف الوثائق الرسمية الخاصة بشؤون الضرائب وإدارة موارد الدولة، والشكاوى والالتماسات الموجهة إلى الملك والوزراء وحكام الأقاليم، وإيصالات

---

(١) الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، م١، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص ٤٣٧- ٤٣٨.

الضرائب ونحو ذلك، ولا تقل عدداً عن هذا النوع من الوثائق تلك الوثائق الخاصة بالمعاملات بين الأفراد، ولاسيّما العقود المتعددة الأنواع، وفضلاً عن ذلك فإن الوثائق تتضمن عدداً كبيراً من الخطابات الخاصة، ويزداد بإطراد عدد الوثائق الديموطيقية التي يكشف عنها في مصر، ولحسن الحظ فإن الاهتمام الآن يزداد يوماً بعد يوم بدراسة الوثائق الديموطيقية المتكدسة في المؤسسات المختلفة في مصر وخارجها ، ولا شك في أن نشر هذه الوثائق سيزيد معلوماتنا كثيراً عن عصر البطالمة.

أولاً: الخطوات الأولى لانتقال الحكم من الإسكندر إلى البطالمة

أحدث موت الإسكندر المفاجئ في معسكر بابل اضطرابات وخلافات شديدة في خلافته على عرش ملكه الشاسع .وكان العرف والقانون عند موت ملك مقدوني أن يولي الجيش بدلاً منه، ولم يكن الإسكندر قد ترك وارثًا لعرشه إلا طفلاً يدعى هيراكليس (Herakleis) من خطيبته باسين (Pasien) وكانت زوجتهُ روكسانا (Roksana)[1] الفارسية وقتئذٍ حاملاً وتنتظر أن تضع حملها بعد ثلاثة أشهر، عندئذٍ تعقدت الأحوال ، وقد عارض رجال الجيش وعلى رأسهم ميلاجر (Meleagre) الذي كان يكره برديكاس (Prdikas) أن يكون مليكهم من أم آسيوية، ومن ثم قامت الحرب بين برديكاس وبين ميلاجر وأتباعه ولولا مهارة يومنيس (Jmenies)[2] كاتم أسرار الإسكندر الذي توسط بين الطرفين، ووصل بهما إلى اتفاق مفادهُ أن الإسكندر الأكبر كان له وقتئذ أخ في بابل يدعى أرهيدايوس (Arrhidaeos) ابن فيليب وكان سنه يؤهله لتولي عرش الملك، غير أنه كان غير شرعي، فضلاً عن نوبات الصرع التي تصيبه، ومع ذلك فإن الجيش فضله؛ لأنه ليس فيه دم شرقي ، ومع ذلك ظل الصراع محتدماً بين خلفاء الإسكندر على من يتولى عرش الإمبراطورية المقدونية حتى أفضى بهم الأمر إلى عقد مؤتمر ببابل سنة ٣٢٢ ق. م. [3] فما أهم ما تضمنه مؤتمر بابل حول مشكلة ولاية العرش المقدوني والإمبراطورية المقدونية؟

مؤتمر بابل

عقد قواد الإسكندر عقب وفاته في بابل مؤتمراً للفصل في مشكلة ولاية العرش والنظم التي تتبع في حكم الإمبراطورية المقدونية، وقد تفتحت أمام كل واحد منهم الآمال والمطامح بموجب الموقف الجديد والمفاجئ، وبعد بحث مسألة ولاية العرش بحثًا مستفيضاً احتدمت أثناءهُ المناقشة حتى كاد أن يقع صدام مسلح بين الفرسان والمشاة، ولاسّيماً أن الرجال الفرسان الذين كانوا قد تشبعوا بفكر الإسكندر حول المساواة بين البشر ، تحمسوا لفكرة الانتظار حتى تضع روكسانا جنينها والمناداة به ملكًا في حال كونه ذكراً ، أما المشاة المتعصبون أصحاب ذوو النظرة الضيقة، فقد رأوا أن

---

(١) مفيد العابد، سورية في عصر السلوقيين، المرجع السابق، ص ٣٦ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧ .

(٣) مصطفى العبادي ، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، المرجع السابق ، ص ٧١.

ارهيدايوس- ابن فيليب الثاني، من زوجة غير اولمبياس- أحق بالعرش لكونه مقدونياً خالصاً، على الرغم من مرضه وضمور عقله .وقد اتفق على أن يرتقي العرش تحت اسم فيليب الثالث (Filipos III)، والإعتراف بحق جَنينْ روكسانا إذا وُلِد ذكراً في مشاركة فيليب الملك بوصفهما شريكين تحت الوصاية الملكية. (1)

وقرر المؤتمر أيضاً تعيين برديكاس (**Perdicas**) (*)، وكان أقوى القادة نفوذاً، قائداً عاماً للجيش ومهيمناً على شؤون الإمبراطورية وتعيين كراتروس (Kratros) وصياً على الملك، وكذلك على طفل روكسانا عندما يولد. كما قرر المؤتمر توزيع ولايات الإمبراطورية على قواد الإسكندر؛ ليحكموها بوصفهم ولاة من قبل العرش المقدوني. وإزاء انصراف كراتروس إلى بلاد الإغريق لنجدة انتيباتروس في الحرب الهلينية أو اللامية، التي كانت نتيجة للثورة التي تزعمتها أثينا بعد وفاة الإسكندر للتخلص من السيطرة المقدونية اغتصب برديكاس الوصاية لنفسه. وكان لابد من وقوع الصدام والصراع بين القادة منفردين أو مجتمعين .(2) فما تداعيات ذلك الصراع بين القادة على الإمبراطورية المقدونية؟

الصراع بين برديكاس ومناهضيه

وعندما اغتصب برديكاس الوصاية لنفسه، أخذ يصدر الأوامر إلى حكام الولايات باسم العرش ويطلب منهم الامتثال إلى هذه الأوامر، واتخذ من بابل مقراً له ، أما ولايات الإمبراطورية، فقد قرر تقسيمها بين كبار قادة الجيش؛ ليقوموا بإدارتها باسم البيت المالك ، وكان معظم هؤلاء الحكام ينتمون إلى أعرق الأسر النبيلة في مقدونية، ويعتزون أشد الاعتزاز بأصلهم العريق وانتصاراتهم الباهرة، وكان بعضهم يعدّ نفسه جديراً بأن يخلف الإسكندر، بل أن أقلهم اعتزازاً بنفسه كان لا يمكن أن يسمح بأن يعامل غير معاملة الند للند، ولما كان لكل من هؤلاء الحكام أطماع شخصية، فإنه لم يكن

---

(1) w.w. Tarn, Hellenistic civllization 1952. P. 48.

(*) كان برديكاس (Perdicas) بوصفه القائد العام للجيش المقدوني بعد الإسكندر هو أقوى الخلفاء؛ ولذلك تمتع بأكبر قدر من السلطان في الإمبراطورية ، انظر:

Rostovtzeff. Socal and Economic History of the Hellenistic World Oxford. 1941. P. 6.

(2) G. Radet, op.cit.p.34.

هناك مفر من أن يؤدي تضارب الأطماع إلى صراع عنيف، ولم ينقض وقت طويل حتى خرج كثير من حكام الولايات على طاعة برديكاس، وعندما طلب برديكاس إلى ليوناتوس (Liunatos) وانتيجونوس (Entegonos) فتح بعض أقاليم آسيا الصغرى، آثر الأول الذهاب لمساعدة انتيباتروس في الحرب اللامية في حين رفض الثاني تنفيذ الأوامر، وعندما طلب برديكاس إلى انتجونوس تفسير الأمر فرّ إلى انتيباتروس وكراتروس وحثهما على تشكيل حلف للقضاء على برديكاس، الذي أصبح يقوم بدور الملك في آسيا على حد تعبير خصومه[1] .

الصراع بين برديكاس وبطليميوس الأول

وصل بطليموس إلى مصر بعد خمسة أشهر من وفاة الإسكندر، فوجد كليومينيس النقراطيسي الذي كان قد عينه الإسكندر مشرفًا على الشؤئون المالية ،قد انفرد بالسلطة على البلاد، مما أثار حفيظتهُ؛ لأنه يعرف بأمر الصداقة التي تربط برديكاس وهذا الرجل، فأخذ يتحين الفرصة للتخلص منه، وقد واتته تلك الفرصة عندما راح يتلقى شكاوى الأهالي من الإجراءات المالية التي طبقها كليومينيس ،فأمر بإعدامه ومصادرة أملاكه. ومن هنا يمكن القول بأن بطليموس قد تحدى برديكاس تحدياً صارخاً بإعدام مساعده وصديقه ،كما انتهز وقوع فتنة واضطرابات في قورينائية (Korina) (برقة في ليبيا الحالية) واستولى عليها. وأسوأ من ذلك كله أن بطلميوس اغتصب جثمان الإسكندر عندما كان في الطريق لدفنه في مقدونيا؛ بناءً على قرار مجلس القادة في بابل وذلك بعد تحنيطه، وقام بنقل الجثمان إلى مصر، وقام بدفنه في واحة سيوة في رحاب معبد الإله أمون وذلك بالاستناد إلى الضابط الذي أسندت إليه مسيرة الجنازة. ويُعتقد أن بطليموس كان يهدف بذلك أن يجعل مصر عاصمة للإمبراطورية المقدونية باعتبارها تحوي مقبرة مؤسس هذه الإمبراطورية ، والذي كان قد ارتفع بالإغريق إلى مكانة التقديس. ولم يلبث بطلميوس أن انضم إلى الحلف الذي تألف بزعامة انتيباتروس لمناهضة برديكاس [2].

---

(١) سيد الناصرى ، الاغريق تاريخهم وحضارتهم ، دار النهضة العربية ،القاهرة ،١٩٨١، ص٩٧.

(٢) محمود فهمي عبد الباقي، محاضرات في تاريخ مصر البطلمية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١١٣.

ومن الواضح أن بطليموس كان يطمح إلى الحصول على ولاية مصر، وهذا ما يبدو من خلال التفاصيل التي أوردها عن هذا البلد في مذكراته، فقد أدرك بفطنته أن مصر سوف تكون بمنأى عن الصراعات التي ستدور بين قادة جيش الإسكندر ،كما أنها تتمتع بخيرات تمكنه من إقامة دولة وطيدة الأركان. إنّ ما يؤكد أن بطليموس كان يطمح في الحصول على ولاية مصر والإنفراد بها أنهُ بعد أن تخلص من مساعد برديكاس، راح يعمل على تدعيم مكانته في مصر، وتأمين حدود الولاية ،واستجاب إلى طلب قورينائية التي كانت قد استنجدت به من أجل وضع حد للاضطرابات التي كانت تعاني منها ،فبادر بإرسال قوة تمكنت من الإستيلاء على هذه الولاية التي ضُمّت إلى مصر في عام ٣٢٢ ق.م. وكان ذلك متزامناً مع الوقت الذي كان فيه برديكاس يراقب سلوك الولاة بكثير من الشك والريبة، ولاحظ أن النوازع الاستقلاليه بدأت تطل برأسها من هؤلاء الولاة ومن بينهم بطليموس، ولاسّيما بعد إعدام صديقه وكان يعمل على توسيع ولايته غرباً، ومن ناحية أخرى لم يكن الولاة أقل توجساً في نظرتهم إلى برديكاس، وفسروا الكثير من تصرفاته على أنها رغبة منه في الاستحواذ على عرش مقدونيا [1] .

عندما واجه برديكاس حرباً في جبهتين سنة ٣٢١ق.م ، أسند إلى حليفه يومنس – والي كبدوكية– مهمة صد قوات انتيباتروس وكراتروس، وتولى بنفسه مهمة تأديب بطلميوس، وكان من أهم مساعديه في هذه الحملة سلوقس الأول (Slokes I) – قائد الفرسان–، وبايثوت (Paythot) – والي ميديه–، وانتيجنس – قائد فرقة أصحاب الدروع الفضية–، وكذلك قائد الأسطول . [2]

وقد فشل برديكاس في الإستيلاء على موقع بلوزيون (الفرما)، وهو أول مواقع مصر الحصينة جهة الشرق. وفي المحاولتين اللتين قام بهما لعبور فرع النيل البلوزي فقد الكثير من جنده، وقد كان معروفاً بين جنوده أنه حلف متكبر لا يحبه أحد مما شجع نفر من ضباطه. كان من بينهم سلوقس (Saloks) على اقتحام خيمته والإجهاز عليه بدعم – على الأغلب – من بطلميوس. وقام ضباط جيشه بعرض منصب الوصاية على بطلميوس، ولكنه أشار باختيار وصيين مؤقتين إلى أن يجتمعوا بأنتيباتروس، وكان في طريقه إلى الجنوب لنجدة بطلميوس بعد أن ترك جانباً من قواته بقيادة

---

(1) Walbank.op.cit.p.49.

(٢) أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر – سورية القديمة، المرجع السابق، ص ص ٩١ – ٩٢.

كراتروس للقضاء على يومنس. ورغم أن يومنس كان قد أحرز نصراً على جيش كراتروس الذي قتل في المعركة سنة ٣٢١ق.م ، فإنه لم يكن قوياً لدرجة تعقب انتيباتروس الذي تابع سيره، واجتمع بالجيش العائد من مصر في تريبارايديسوس (Triparadisos) جنوبي لبنان عند الهرمل (Harmel) بالقرب من منابع العاصي أو عند الجوسيه. [1]

مؤتمر تريبارايديسوس (٣٢٠ ق.م)

اجتمع القادة بعد مقتل برديكاس في تريبارايديسوس؛ لإعادة تنظيم الإمبراطورية المقدونية. فكان اجتماعهم في جو مضطرب تماماً، إذ إن المشاة المقدونيين كانوا متذمرين تذمراً شديداً؛ لعدم رضاهم عن قتل برديكاس لذلك لم يشاركوا فيه وكذلك لعدم حصولهم على المكافأة المالية التي وعدهم بها الإسكندر سابقاً، وتعقدت الأمور بصورة أكبر ولاسّيما عندما اتهمت (زوجة فيليب ارهيدايوس) القائد بايثون بإهدار حقوق الملك المعتوه ويبدو أنها كانت ترمي إلى إلغاء الوصاية ووضع السلطة التنفيذية في قبضة زوجها أو على الأصح في قبضتها. بيد أن تدابيرها ذهبت أدراج الرياح، فقد قرر المؤتمر إسناد منصب الوصاية إلى انتيباتروس، كذلك الاعتراف بمنصب بطلميوس في مصر، وتعيين ولاة جدد مكان أصدقاء برديكاس. وتناولت هذه التغييرات عدداً كبيراً من ولايات آسيا الصغرى والولايات الشرقية. [2]

ولعل أهم مقررات تريبارايديسوس التي كانت لها نتائج بعيدة المدى هي:

١ - تخلي سلوقس عن منصبه كقائد الفرسان الرفقاء مقابل تعيينه والياً على بابل.

٢ - احتفاظ انتيجونوس بولايته أو على الأصح بولاياته في آسيا الصغرى مع تعيينه قائداً عاماً للجيش الملكي في آسيا وتكليفه بإخضاع يومنس، حيث قرر نقل كنوز سوسا إلى إحدى القلاع لتوضع تحت إشراف القائد العام للجيش. وعلى هذا النحو توفر لانتيجونوس من الأموال والرجال ما كان يهيء لمثل هذا الرجل الطموح الموهوب الفرصة لتحقيق أطماعه الواسعة[3] .

---

(1) Westirmann. The Ptolemius and the welfare of subjects, XIII, 1983. P. 248.

(2) E. Bevan. Ahistory of Egyptye unden the ptolemic Dynasty, London, 1927. P. 16.

(3) P. Jouguel , Le Egypte Ptolemaique – dans Hist De Lanation Eg. World. 1930. P. 147.

ثانياً: ملوك البطالمة :

من الواضح أن البطالمة قد اتبعوا سياسة الإسكندر نفسها في مصر، وساروا على نهج خطواته، فقد رغبوا في توسيع مملكتهم كما عملوا على نشر الحضارة الإغريقية ومزجها بحضارة مصر القديمة، ومن ثم حاولوا الحصول على كل ما يمكنهم من الحصول على ثروة البلاد ومواردها، وما يمكنهم من تكوين جيش وأسطول قويين، ويلحظ أنهم من خلاله نجحوا في ضم بلاد النوبة وقورينائية وفلسطين إلى مصر، وفرض سيطرتهم على كثير من جزر حوض البحر المتوسط الشرقي، وكذلك عمل البطالمة على إرساء مظاهر حضارة الإغريق والنهوض بالحضارة الهلينستية الجديدة . ***(شكل ١٩)***

بطليموس الأول (٣٢٣-٢٨٤ ق.م)

كان هدف بطليموس كما ذكرنا من قبل أن يستولي على مصر، ويقيم بها مركزاً لإمبراطورية الإغريق، وذلك على عكس حكام مصر القدامى الذين كان يكفيهم فقط أن يملكوا الشاطئ السوري وآسيا الصغرى، لكنه كان يهدف إلى مراقبة البحر وجميع الطرق المؤدية للشمال والشرق؛ منعاً لأية محاولة للانقضاض على مصرمن ناحية الجنوب [١]. عندما نتحدثُ عن بطليموس الأول وعن هدفه الحقيقي من الاستقلال بمصر يجب أن نطرح السؤال الآتي هل كان هدف بطليميوس في الاستقلال بمصر أن تكون له نقطة ارتكاز للاستيلاء على باقي الولايات من الولاة المقدونين أم أن أقصى آماله كانت الإستيلاء على مصر وتكوين مملكة له ولأولاده من بعده؟ *وعلى أية حال فقد واجه القادة بعضهم بعضاً مواجهه مسلحة، ودخلوا في حروب طويلة أُجبر حاكم مصر أن يكون في أحيان كثيرة طرفاً فيها. والباحث هنا يستبعد أن يكون تفكير بطليموس منصبًا في أن يستولي على كل إمبراطورية الإسكندر وأن يقيم إمبراطورية عالمية باسمه.* [٢]

*وعلى الأرجح أن بطليموس الأول كان هدفه هو إنشاء دولة قوية في مصر تستطيع أن تدافع عن نفسها عند حدوث أي اعتداءات خارجية عليها وهذه السياسة كانت تحتم عليه استقدام جنود مرتزقة؛ وذلك للسيطرة على الطرق البحرية المؤدية إلى مصر لضمان هذا الاستقلال(**شكل ٢٠**)* [٣].

---

(١) إبراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص٧٣.

(٢) المرجع نفسهُ، ص٧٣.

(٣) المرجع نفسهُ، ص٧٥.

وكان هذا كله يستلزم تكوين أسطول قوي، ولكن موارد مصر لا تفي باحتياجاتهم لبناء الأسطول؛ ولهذا استولوا على سيناء وسورية وقبرص وأجزاء من آسيا الصغرى، ولم يكن لديهم أي وسيله للحصول على الأموال إلا بواسطة التجارة الخارجية الواسعة، وكان لزاماً عليهم تأمين خطوطهم الملاحية حتى ينتعش اقتصادهم . ولذلك كان عمل البطالمة في الحفاظ على سلامة مصر والاستقلال بها يحتاج إلى جيش وأسطول قويين وهذا قائم على سياسة اقتصادية [1].

وعمل بطليموس على وضع أسس السياسة الخارجية التي سار عليها خلفاؤه من بعده فنجده عمل على توسيع مملكته وجلعها إمبراطورية واسعة باستيلائه على قورينائية بعد اندلا ع الثورة الأهلية بها عام ٣٢٣ق .م، ثم استيلائه على قبرص عام ٢٩٥-٢٩٤ ق.م، والتي ظلت تابعه للبطالمة منذ هذا التاريخ إلى عام ٥٨ ق.م ، وبعد ذلك عمل على تقوية نفوذه في بحر إيجه. [2]

وقد رأى بطليموس أنه من الحكمة وسداد الرأي ليجعل نفسه مقبولاً عند الشعب المصري ألا يحكم البلاد على غير رغبة الأهالي، ولحسن الحظ وجد ضالته في فكرة اتباع نظام الحكم الفرعوني، وذلك لأن الفراعنة كانوا يحكمون البلاد في هدوء وسكينة ودون قيام أية ثورات ،لأن كل فرعون كان يُعد في نظر الشعب إلهًا وأنه ابن رع أو ابن أمون رع ووارثه وبهذه الصفة كان سيد مصر الذي لا منازع له في كل الوجود، ولذلك نجد أن بطليموس عندما أصبح فرعوناً على مصر عمل بدوره على إدخال نفسه ضمن الأسرة الإلهية؛ أي أنه أصبح ابن أمون رع ، وعلى ذلك نجد أنه قد اتخذ الإجراءات اللازمة لاحترام ديانة البلاد التي أصبح هو رئيسها وحاميها على غرار من سبقه من فراعنة مصر ،ونجده أيضاً سار على نهج أسلافه في إقامة المحاريب وتزينيها وحبس الأوقاف عليها مما أرضى الآلهة، عليه فإن كل هذه الاعمال التي قام بها ليست بدافع ديني وإنما كان الهدف منها هو إرضاء الشعب المصري، ومحاولة جعلهم يقبلونه حاكماً وفرعوناً عليهم، ونجده قد استخدم سياسة الإسكندر الأكبر نفسها في إرضاء الشعب المصري [3].

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحى ،دراسات فى العصر الهلينسيتى ،المرجع السابق ، ص ٢٩.

(٢) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، دار الفكر، طرابلس، ١٩٧٥، ص ص ١٨٠ - ١٨٣.

(٣) مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، المرجع السابق، ص ص٣٢٦-٣٢٧.

وبهذه الفكرة كان من السهل على بطليموس إرضاء الآلهة لكنه كان من الصعب عليه إرضـــاء كهنتهم، وذلك لأن الكهنة في مصر كانت تتألف منهم قوة مستقله عن الديار المصرية، ومن هنا نجد أن هم بطليموس كان منصبًّا في إخضاع هؤلاء الكهنة دون إبعـــادهم أو القـــضاء علـــيهم حـــتى لا يغضب الشعب المصري الذي يقدسهم ويكن لهم كل تقديس واحترام ، وفي نهاية الأمر تحققـــت رغبة بطليموس في إخضاع الكهنة وأن تصبح أملاك الآلهة والأراضي المقدسة التي كانوا يـــستحوذون عليها هدية من الملك، وأن موظفي الملك هم من يديرون شؤونها. وقد ضاعف بطليموس من الهبات التي كان يقدمها للكهنة ليكسب بها الكهنة إلى جانبه وهذا استمراراً لنهج الأسرة الثلاثين الفرعونية .

وفي عصر بطليموس الأول نجد أن بعض الأحداث الهامة، لم يؤرخ لها بالتحديد مع أنها كانت تهم الدارسين في هذا المجال كثيراً فمثلاً لا نعرف تاريخ تأسيس مدينة بطلمية ، وكذلك ظهور عبادة الإغريق للمعبود سيرابيس ؛ وذلك لأن التواريخ التي قدمها لنا الحساب التاريخي لهذه الأعمال الهامة يمكن أن يطبق فقط على إقامة التمثال في المعبد ،أما التاريخ الداخلي في مصر في هذا العهد فإنه يكاد يناقضنا تماماً [1].

(١) منيرة محمد الهمشري، دبلوماسية البطالمة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٩، ص١٤٣.

بطليموس الثاني (٢٨٤-٢٤٦ ق.م):

حكم بطليموس الثاني ثلاثين سنة وفق ما ذكرته المصادر الإغريقية ،غير أن الآثار الباقية تدل على أنه حكم تسعة وثلاثين عاماً[١]، و لم يتول حكم مصر فجأة بل أن والده بطليموس الأول قد أشركه في حكم مصر، وجعله معه على عرش مصر نحو عامين دربه أثناءهما على نظام الملك، وتسيير دفة الحكم داخل البلاد كما أوقفه على أحوال الإمبراطورية في الخارج، ولاسّيما مركز مصر بالنسبة للدول المجاورة لها، وما كان ينتظر من مغامرات وحروب بين مصر والدول التي تشعبت من إمبراطورية الإسكندر الأكبر .لقد كان بطليموس الأول يحس في قرارة نفسه بكل ما تحتاج إليه مصر وشعبها العريق في المدينة من إصلاح، وما كان ينتظره من عقبات، ومن أجل ذلك أخذ يدرب ابنه بطليموس الثاني على فنون الحكم وأساليب السياسة؛ ولذلك رباه على كل ما يجب أن يعرفه ملك في عصره، ووضعه بين أيدي أمهر المربين والعلماء حتى لا يفوته ما فات والده الذي كان قد نشأ في أول حياته جندياً مقاتلاً في ساحة القتال، حتى نُصب بعد ممات الإسكندر والياً على مصر. [٢] (**شكل٢١**).

ويبدو أن مصر قد ارتفعت في عهد بطليموس الثاني إلى أوج مجدها المادي والسياسي ،كما بلغت القمة في العلوم والمعارف ،لأن بطليموس الثاني نال حظاً وفيراً من العلم والمعرفة ، غير أن بعضهم ينسب كل هذا التقدم الذي وصلت إليه مصر إلى بطليموس الأول الذي استعان منذ أن استتب له الأمر في مصر بكل الوسائل التي مهدت لخلفه الاستمرار. حيث إن بطليموس الثاني سار على نهج بطليموس الأول، ومن بعده كل ملوك البطالمة، ولكننا نجد هنا ثغرة في فكر بطليموس الثاني حيث إنه سقى الزرع الذي قد زرعه والده حتى نما وترعرع ولكن ثمار هذا الزرع جعلها تقتصر على المستثمرين المقدونيين والإغريق فقط ،وذلك ليكونوا له درعاً في الحرب وسنداً في إدارة شؤون البلاد ،أما عن أهل البلاد أنفسهم الشعب المصري ، فقد كانوا بعيدين كل البعد عن مظاهر الحضارة أو الحكم في البلاد، فكانت تجبى منهم الضرائب بكل أنواعها على مختلف المحاصيل التي يزرعونها بدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم. [٣]

---

(1) H. Gauthier , Et H. Sottas. Un decret trilinggue enL' honneur de ptol. IV.Le caire. 1932, p. 222. Note 1.2.

(2) A. P. Lioyd, Nationalist. Propaganda in Ptol-Egypt, Historia, 1980, PP. 101-104.

(3) E. Noshy, Arts in Ptolemaic Egypt, oxford, 1937, p. 52.

حتى العلوم والمعارف التي كانت قد ازدهرت في تلك المرحلة، ولاسّيماً في مدينة الإسكندرية لم يكن للمصريين أي صلة أو نصيب منها، ومن هنا نجد أن المصري كان يراقب حاله طوال مدة حكم بطليموس الثاني بصبر وأناة ممزوجين بالضجر والضيق، وقد شعر بطليموس بالحرج من ذلك وبدا يسعى في الوصول إلى مايمكن أن يستميل به الشعب المصري مرة أخرى، في حين أن رجال الدين كانوا لا يزالون في مصر هم قادة الشعب ورعاته من الناحية الروحية، ومع ذلك كله ظهرت بذور التمرد على الحكم الاجنبي وعلى نظام الحكم وكل هذا وبطليموس الثاني في غفله ولا مطمع له إلا جمع المال وإرضاء طبقة الأجانب أعوانه في الحكم، وكذلك إرضاء الجنود المرتزقة غير مراع أي عواطف للشعب المصري وما هم فيه من بؤس وقحط [1].

يرى بعض الباحثين أن ثورات المصريين ضد حكم ملوك البطالمة بدأت منذ عهد بطليموس الثاني، بسبب النظام الاقتصادي والمالي الصارم الذي أرهق المصريين [2]. غير أن **إبراهيم نصحي** يرى أنه إذا كان يجب أن يتحمل بطليموس الثاني الجانب الأكبر من تبعة الثورات المصرية، بسبب عطفه على الإغريق، ومعاملتهم معاملة ممتازة، وإختفاء المصريين من المراكز الرفيعة في الحكومة، فلابد من أن يتحمل بطليموس الأول، وسائر البطالمة جانباً من هذه التبعة لأنهم لم يحاولوا إنشاء دولة قومية، وإن كانت الظروف قد فرضت على بطليموس الأول أن يتوخى جانب الإعتدال في معاملة المصريين معاملة المقهورين المغلوبين على أمرهم ومعاملة الإغريق معاملة السادة [3]. ومع ذلك فإن بوادر الثورة المصرية ضد حكم البطالمة يرجعها الباحثون إلى خمسينيات القرن الثالث قبل الميلاد [4]، بل وهناك من يرجعها إلى ما قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة أي في أوائل عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس، فقد وقعت بوادر تلك الإضطرابات لتشمل منطقة واسعة تمتد من منف شمالاً إلى الأشمونيين جنوباً، وهي المنطقة التي كانت تتوسطها هيراقليوبوليس (Heraklupolis) (أهناسيا) (Ahnasia) حيث كانت أسرة كهنوتية مشهورة تسيطر على هذه المنطقة وتتولى كهانة الإله حارسافيس (Harsafis) طوال عهدي النوبيين والعصر الصاوي، وظلت محتفظة بمكانتها فيما يرجح في صدر

---

(١) مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، المرجع السابق، ص ٣٤٥.

(2) W. Peremns, Ptolemee II Philadelphe et les Indigenes egyptiend, 1933, PP, 106 - 109.

(٣) إبراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج ٤، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(4) W. Peremns, OP. Cit. P. 113.

عصر البطالمة [1]. وتشير بعض المراجع إلى شيوع اعمال السطو على السفن الملكية وهروب الملاحين من هذه السفن، وقيام أهالي المنطقة بحماية مرتكبي السطو والنهب، والملاحين الهاربين، ومحاولة إعاقة القبض عليهم، وشراء المسروقات، مما أفضى إلى إصدار أوامر ملكية مشددة ضد هؤلاء جميعاً، ويبدو أن هذه الأوامر صدرت لمواجهة حالة استثنائيةمن الإضطرابات الغير متوقعة في سني حكم فيلادلفوس الذهبية [2]. غير أن **إبراهيم نصحي** *يرى أن هناك أمران يجب الإشارة إليهما أحدهما هو أن هذه السنين كانت ذهبية فقط لفيلادلفوس وبطانته ووزرائه وموظفي الدولة، والأمر الآخر هو أن شقاء المصريين بدأ منذ عهد كليومنيس (Klumenis) النقراطيسي وبطليموس الأول، أي قبل عهد فيلادلفوس، الذي أحكم وضع النظم المالية وأسرف في إستغلال المصريين وأكد تَسيّد الإغريق عليهم [3]. ويضيف* **نصحي** *أنهُ بالنظر إلى سلسلة تلك الأحداث وملابساتها متجمعة، وكذلك إلى الأوامر الملكية التي صدرت لمواجهتها، فإنهُ يتضح أن حالة إضطراب الأمن المشار إليها كانت حالة احتجاج قومية – وإن كانت محلية – تظافر فيها سوياً أهالي المنطقة للتعبير عن تذمرهم من سوء حالهم، وأغلب الظن أن كهنة حارسافيس في هيراقليوبوليس هم الذين حفزو مواطنيهم إلى القيام بهذا اللون من الإحتجاج [4].*

والجدير بالذكر، أن الإمبراطورية البطلمية بلغت في عهد بطليموس الثاني اتساعاً رائعاً لا نراها في باقي عهد البطالمة جميعاً ،إذ استطاع أن يخضع الجنوب السوري وكذلك استطاع أن يوسع نفوذه في بحر إيجه وأن يثبت نفوذ البطالمة في برقة. وفي عهد بطليموس الثاني أيضاً بدأت أول اتصالات بين مصر وروما ويبدو أنها كانت اتصالات اقتصادية في بداية الأمر، في الوقت الذي كانت روما ما تزال فيه قوة ناشئة في حوض البحر المتوسط [5].

توفي بطليموس الثاني نهاية سنة ٢٤٦ ق. م وخلفه على عرش المملكة البطلمية إبنه بطليموس الثالث.

---

(1) A. B. Loyd, National Propaganda in Ptol.Eg. Historia, 1982, PP. 41-45.

(2) A. B. Loyd, OP. Cit. PP. 53-57.

(٣) إبراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج ٤، المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٨٤.

(٥) منيرة محمد الهمشرى، المرجع السابق ،ص٣٠ .

بطليموس الثالث (٢٤٦-٢٢١ ق.م)

ليس لدينا دليل مادي يدل على أن النشاط الحربي الذي أظهره بطليموس الثالث في سني حكمه الأولى قد استمر، ومع ذلك فإن بعض المؤرخين قد وضعوا له صورة خيالية تدل على أنه كان من أعظم ملوك البطالمة، وفي الواقع إننا لا نعرف إلا القليل عنه. *ويمكن القول بأن بطليموس قد ظهر في ميادين كثيرة، ولكن الأخص بالذكر هي ميادين العلوم والآداب والزراعة والدين بوجه الخصوص. ولا خلاف في أن بطليموس الثالث لا يقل عن والده في مجال تشجيع العلوم والآداب فقد أضاف الكثير إلى مكتبة الإسكندرية لدرجة أنه كان ينسب إليه خطأً أنه هو مؤسس هذه المكتبة؛ وذلك بسبب كثرة الكتب التي وضعها فيها.* [١] **(شكل ٢٢)**

ومن أهم الأعمال التي قام بها بطليموس الثالث هو السعي في إصلاح التقويم المصري ،ولا بد أن الفلكيين والرياضيين الإسكندريين هم الذين اقترحوا عليه إصلاح التقويم المصري، وإغفال التقويم المقدوني الذي كان يسير على وفق التوقيت القمري، ولكن التقويم المصري إذا أصلح وتخلص من أسلوبه العادي وهو السنة التي تتألف من ٣٦٥ يوماً فإنه يصبح من المستطاع أن يحل محل الأخير مما يعود بالفائدة ،كما يصبح التقويم القومي الصحيح . وفي الواقع أن هذه الفكرة لم تنفذ في عهد بطليموس الثالث ،إلى أن عمل بها في عهد يوليوس قيصر، ومن ثم بدأ التاريخ العلمي الصحيح وهو ما نسميه بالتاريخ المسيحي [٢].

وفي عهد بطليموس الثالث بقيت لمصر ممتلكاتها في جنوب سورية وآسيا الصغرى وبرقة وقد استطاع أن يستخدم الأساليب الدبلوماسية في الاحتفاظ بمملكته، وذلك بزرع الفتنة بين منافسيه في سورية ومقدونيا واليونان ، وذلك باستغلال الحروب الأهلية في سورية، وتأليب المدن اليونانية ومساندتها في ثوراتها وحروبها ضد مقدونيا؛ ولذلك نرى أن بطليموس الثالث لم يدخل غمار الحرب إلا لوقت قليل وتميزت مرحلة حكمه بالنشاط الدبلوماسي [٣].

---

(١) أحمد علي تميرك، الآثار المصرية في العصرين اليوناني والروماني، دار الثقافة، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٢٠٧ .

(٢) سليم حسن، مصر القديمة ج١٥، المرجع السابق، ص١٩٠.

(٣) منيرة محمد الهمشرى، المرجع السابق، ص٣٠ .

وقد طال الجدل حول وقوع ثورة في بداية عهد بطليموس الثالث إستناداً إلى ما جاء عند ***جوستينوس (Justinus)*** *الذي يحدثنا بأنهُ لو لم تستدع الملك بطليموس الثالث ثورة داخلية لأحتل كل مملكة السلوقيين* [1]*. وتشير بردية تبتونيس المشهورة إلى مذكرة وجهها أحد وزراء مالية القرن الثالث ق.م، – ليس لدينا معلومات عن جهة توجيهها – إلا أنها تحوي تعليمات مفصلة تكشف عن تعدد سيطرة الدولة على الحياة الإقتصادية في مصر، وتتضمن المذكرة الخطر المزدوج الذي كان يتهدد سلطان البطالمة، وهو مساوئ رجال الحكومة، وشيوع حالة من الإضطراب النفسي بين المصري ينم عنها عزوفهم عن العمل، وهروب المحاربين والبحارة المصريين من الخدمة* [2]*.* وقد استخلص **إبراهيم نصحي**[3] من هذه المذكرة النتائج التالية:

١ – أن الحكومة كانت تدرك حالة القلق النفسي الشائع بين المصريين بسبب الإيجارات المرتفعة والإلتزامات الكثيرة، وإسراف الموظفين في استخدامهم سلطتهم.

٢ – أن هدف هذه المذكرة الرئيس كان إتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان جمع أكبر قدر ممكن من دخل الملك، وبذلك يضمن الموظفون الحفاظ على مناصبهم بل ترقيتهم.

٣ – أن المذكرة تخلو من أية إجراءات تكفل وضع حد لسوء تصرفات الموظفين، فهي أشبه ما تكون بخطبة وعظ، لا تتضمن إلا توصيات جوفاء عديمة القيمة لموظفين فاسدين مستهترين، أساؤوا معاملة الأهالي، واغتصبوا أموالهم.

٤ – إن حالة القلق النفسي بين المصريين على نحو ما تصوره محتويات المذكرة لم تكن ثورة ولا ذيول ثورة وإنما مظاهر إستياء عميق تولد من تراكم المظالم وتخمير التذمر طويلاً، بحيث أن هذه الحالة كانت بمثابة مرحلة الحضانة لتفريخ ثورة حين تتاح الفرصة، وقد اتاح هذه الفرصة خروج بطليموس الثالث على رأس قواته لخوض غمار الحرب السورية الثالثة، فأنتهز المصريون الفرصة وقاموا بثورتهم الأولى سنة ٢٤٥ ق.م.

---

(1) Justinus, XVII, 1.9. L.C.L.

(2) E. Bevan, OP, Cit, P. 23.

(٣) إبراهيم نصحي، دراسات من تاريخ مصر في عهد البطالمة، المرجع السابق، ص ١٩١ .

٥ – إن تاريخ وثيقة تبتونيس يرجع في أغلب الظن إلى فترة تسبق قيام بطليموس الثالث بحملته السورية، وتبعاً لذلك فإن وزير المالية الذي أصدر المذكرة التي تتضمنتها هذه الوثيقة كان أبوللونيوس (Apollonus)، وهو الذي احتفظ بمنصبه حتى أعفاه منهُ بطليموس الثالث في أوائل عهده في تاريخ غير معروف، وإذا صح ذلك فإنهُ لا يُستبعد أن هذا الإعفاء كان نتيجة فشل وزير المالية في معالجة الأحوال المضطربة السابق ذكرها .

بطليموس الرابع (٢٢١-٢٠٥ ق.م)

على الرغم من أن مصر في عهد بطليموس الثالث قد بلغت الذروة من حيث الثـــروة والجـــاه والممتلكات، غير أن عوامل الانحدار من القوة نحو الضعف كانت قد بدأت تدب في نواح كثيرة من مرافق الحياة الداخلية ،وكذلك بدأت عناصر جديدة تظهر في أفق السياسة المصرية في الخارج كانت تتطلب يداً حازمة وعقلاً جباراً يسير بسفينة البلاد إلى بر السلام .

ولكن مصر لم تجد ذلك الرجل الذي يقود البلاد ويرتفع بها في الآفاق حيث تولى عرش مصر بعد بطليموس الثالث ابنه بطليموس الرابع والذي قاد البلاد إلى الهاوية، فقد بدأت أحوال مـــصر في التدهور وفي نهاية حكمه وصلت إلى درجة مخزية .

والواقع أن بطليموس الرابع كان بداية لسلسلة من ملوك البطالمة المستبدين الذين يجمعون بـــين حب الشهوات والقسوة والحرمان من الحس الخلقي، فهؤلاء الملوك كانوا يحملون في أنفسهم رذائـــل مدنية مزخرفة من الخارج بطلاء براق، جذاب للنفوس الوضيعة .

وقد حكم بطليموس الرابع مصر وهو في الثانية والعشرين من عمره، كان مخنـــث الـــروح والجسم، وهذا ما قاله المؤرخون عنه والدليل على كلامهم أنه قد أمضى السبع عـــشرة ســـنة الـــتي حكمها تحت سيطرة وزير كان همه أن تكون مقاليد الأمور في يده مهما كلفه ذلك ،ومن ثم كانـــت الأخلاق والضمير والسمعة لا تعني عندهُ أي شيء [(١)].

هذا الوزير هو سوسيبيوس (Soseepus) الذي صوره لنا مؤرخو عصره، بأنه آلة عتيقـــة للأحقاد والمؤامرات والدسائس[(٢)]*. وقام سوسيبيوس بتحريض بطليموس الرابع ضد أفراد عائلته، فقتل والدته برنيكي، ثم قام بقتل عمه وأخويه، وعدد آخر من أصدقائه ،حتى يخلو الجو لهذا الرجل فُيحكم السيطرة على الملك، ويدير بنفسه البلاد دون تدخل أحد* [(٣)].

ويبدو أن بطليموس الرابع ووزرائه كانوا يدركون حالة القلق والتذمر الـــسائدين في الـــبلاد فحاولوا تدارك الأمر قبل استفحاله، وذلك عن طريق إتخاذ الملك صفات الفراعنة كاملـــة، وإعـــداق

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى ، دراسات فى تاريخ مصر ، المرجع السابق ،ص١٠٠.

(٢) سليم حسن ،مصر القديمة ، المرجع السابق ،ج١٥، ص ٣٩٩.

(٣) أبو اليسر فرح ،تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ،عين للدراسات والبحوث الانسانية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٥٧.

الهبات على المعابد ورجال الدين، وذلك على نحو ما يتبين من نصب بيثيوم الثاني وهو نصب تذكاري ديني أقامهُ بطليموس الرابع، وقد تضمن ذلك النصب قراراً أصدره بطليموس الرابع لجميع الكهنة في منف سنة ٢١٧ ق.م بمناسبة إنتصار فيلوباتور (بطليموس الرابع) في معركة رفح [١]. ويبدو أن ذلك كلهُ كان دون طائل، إذ أن **بوليبيوس (Polybus)**: يحدثنا أن المصريين بالرغم من إزدهائهم بالانتصار في رفح، إلا أنهم أصبحوا لا يحتملون الخضوع لسادتهم، فأخذوا يبحثون عن زعيم يقود ثورتهم [٢].

ويبدو أن **بوليبيوس** كان يدرك أن النبلاء المصريين وقد عصف البطالمة الأوائل بمكانتهم وثرواتهم وإمتيازاتهم، ورجال الدين وقد كبلهم أولئك البطالمة بالقيود التي كسرت وكذلك المحاربين المصريين وقد ازدرى أولئك البطالمة كفايتهم العسكرية فحرموهم شرف الاشتراك في حروبهم، إلى أن إضطرت الظروف القاهرة فيلوباتور، إلى إعدادهم وفقاً لأحدث فنون القتال وإشراكهم في معركة رفح حيث أثبتوا تفوقهم على قوات انطيوخس الثالث المقدونية والإغريقية، وجموع الشعب التي أنهكتهم الضرائب والإلتزامات الثقيلة، كل أولئك كانوا يحنون إلى إستعادة ما كانوا ينعمون به في الماضي، وإلى تخليص بلادهم من نير الحكم الأجنبي، ويبدو أن الثورة بدأت في مصر الوسطى، حيث مقر الإرستقراطية الدينية في هيراقليوبوليس، قبل أن تمتد إلى الدلتا، وإلى مصر العليا، حيث بلغت أوجها في سنة ٢٠٦ – ٢٠٧ ق.م [٣]. وتشير نقوش معبد أدفو على أن أعمال البناء في هذا المعبد العظيم توقفت بسبب إختباء الثوار المتمردين فيه [٤].

ويبدو أن قوات بطليموس الرابع فيلوباتور فشلت في تهدئة الأوضاع في كثير من الجهات وبوجه خاص في منطقة طيبة أحد معاقل الثورة الرئيسية، إذ أنها بقيادة الزعيمين النوبيين أرماخيس (Armakhis) وأنخماخيس (Ankhmakhis)، اشتبكت في صراع عنيف مع فيلوباتور ثم بعد ذلك مع ابنه وخليفته إبيفانيس (Epevanis)، وتشير بعض المراجع أن طيبة إنفصلت عن حكم البطالمة على مدى عشرين عاماً (٢٠٦ – ١٨٦ ق.م) وأنهُ كان يحكمها آنذاك الزعيمان النوبيان السالفان الذكر، والدليل على ذلك أن الكتابات الخاصة بتلك الفترة لم تأت على ذكر جباية الضرائب من منطقة طيبة بعد سنة ٢٠٦ ق.م حتى سنة ١٨٦ ق.م [٥].

---

(1) Gauthier et Sottas, Decret IV. PP. 1-75.

(2) Polybus. V. 107. L.C.L.

(3) J. P. Hanaffy. The Empire of the ptolemies, London, 1895 P.P. 318-319.

(4) Bevan. OP. Cit P.P. 239-241.

(5) W. Spiegelberg, D. Sogenente demote Kronik, Leipzig, 1914, P. 163.

بطليموس الخامس (٢٠٥-١٨٠ ق.م)

عندما توفي سوسيبيوس الذي كان وزيراً لبطليموس الرابع والمسيطر على الحكم ، في هذه الأجواء خلا حكم مصر لزميله اجاتوكليس (Agatoklies) وأسرته. وهو أيضاً من الطامعين في الحكم، وكانت أسرته تقوم بأكبر أعمال الفساد ، وذلك إن دل على شيء، فإنما يدل على أن هذه الأسرة الفاسدة أصبح في يدها حكم مصر والبلاد دون منازع باسم بطليموس الخامس، الذي لا يزال طفلاً صغيراً، ومنها قد توصل اجاتوكليس إلى القبض على زمام الأمور في داخل البلاد . [١]

ولقد أمر اجاتوكليس بعد أن وارى رفات الملك بطليموس الرابع وزوجته ارسنوى الثالثة في المدافن الملكية بوقف الحداد ثم وزع على الجنود مرتب شهرين كاملين؛ وذلك لأنه كان مقتنعاً بأن قوة المال لدى السواد الأعظم من الناس كفيلة بمحو ما في نفوسهم من بغضاء وكراهية، وبعد أن هدأت النفوس بين رجال الجيش أملي عليهم صيغة اليمين الذي كانوا قد تعودوا على حلفه عند إعلان تولي ملك جديد عرش الملك . ولكي يكون إليه حكم البلاد بمفرده خطى خطوة ثانية بعد أن أعطى للجنود راتب الشهرين فقام بإبعاد فيلامون (Felamon)، الذي أشرف على قتل الملكة أرسنوى الثالثة ، فعينه حاكماً على إقليم لوبيا ، أما الملك الطفل، فقد وكّل أمر تنشئته والعناية به لأمه أونانتا (Onanta)، وكانت امرأة جبارة ،ولأخته اجاتوكليا (Agatoklia) حظية الملك السابق المفضلة. كما قام بإبعاد كل من يخشى خيانته أو الوقوف له في عملية الاستيلاء على حكم مصر مثل بيلوبس Pelops ، الذي أبعدهُ؛ ليكون على مقربة من الملك انطيوخس الثالث . وبهذا يكون قد انفرد بحكم مصر [٢].

تزوج بطليموس الخامس من كليوبترا ابنة الملك انطيوخس الثالث وأنجبت منه ثلاثة أطفال وكان أكبرهم هو بطليموس السادس .

إذا كانت الأحوال سيئة في عهد فيلوباتور فإنها كانت أكثر سوءاً في عهد إبنه وخليفته بطليموس الخامس أبيفانيس، ففي الإسكندرية وقعت إضطرابات شديدة أدت إلى أن وفد على الملك، حاشيته التي لا يهمها إلا مصالحها الشخصية، وكانت الثورة محتدمة في الوجه القبلي، حيث

---

(١) محمود فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص ١٢١.

(٢) سليم حسن ،مصر القديمة، المرجع السابق، ج ١٦، ص٣.

كان أنخماخيس لا يزال يسيطر على الجنوب، وكذلك الوجه البحري ويتبين من رواية **بوليبيوس**[1] ومحتويات قرار حجر رشيد[2]، أن مدينة تدعى ليقوبوليس (Legopolies) في مديرية أبوصير كانت محاصرة من قبل قوات الملك بطليموس الخامس .

ويبدو أن قرار حجر رشيد يستند إلى أمرين أصدرهما أبيفانيس أولهما فيما يبدو عقب وفاة أبيه أملاً في وضع حدٍ للإضطرابات التي عمت البلاد، إذ أنهُ عفا عن الثوار جميعاً بوجه عام والمحاربين المصريين بوجه خاص وأعطى المعابد والكهنة والسكان عامة عدداً من المنح [3]. ويبدو أن الملك أصدر الأمر الثاني بمناسبة تتويجه، ويتضمن هذا الأمر وصف الإستيلاء على ليقوبوليس نظراً إلى أنهُ تجمّع فيها الكثير ممن تملكتهم نزعة الثورة منذ أمد بعيد، وألحقوا ضرراً بليغاً بالمعابد وكل أهالي البلاد، فحاصر الملك المدينة وقطع المياه عنها واقتحمها، وقضى على خصومه [4].

ومما يجدر بالملاحظة أن كهنة مجمع منف الذي صدر عنه قرار حجر رشيد كانوا يدعون الثوار (بالخارجين عن الدين) ويشبّهون إنتصار الملك على ليقوبوليس بإنتصار حورس على المدن الثائرة، وذلك وفقاً للأسطورة المصرية القديمة. وهذا يوحي إيحاءً قوياً بأن الغالبية العظمى من أعضاء مجلس الكهنة – الذي انعقد في منف وصدر عنه قرار حجر رشيد – كانوا من أحلاف أسرة كبير كهنة منف وهي التي تدل نقوش أنصبتها الجنائزية على أن وظيفة كبير الكهنة كانت وراثية فيها منذ أيام بطليموس الأول حتى أيام أغسطس [5].

في الوقت الذي كان فيه مجمع الكهنة في منف يشيد في سنة ١٩٦ ق.م بإنتصار إبيفانيس في ليقوبوليس، ويسجل المنح التي جاد بها هذا الملك على المعابد والكهنة والأهالي، كانت الثورة في مدينة طيبة منذ عام ٢٠٦ ق.م لا تزال على أشدها، إلى أن نجحت قوات الحكومة في إخمادها، ويدل على استمرار الإضطرابات أنهُ في وثائق من أواخر عهد أبيفانيس ومن بداية عهد فيلوميتور، ترد لأول مرة الإشارة إلى وجود سفن من الإسطول الحربي البطلمي ليؤمن سلامة الملاحة [6].

---

(1) Polybus, XXI, 19, L. C. L.

(2) Bevan, OP, Cit, P. 266.

(3) Bevan, OP, Cit, P. 267.

(4) M. Rostovtzeff, Social and Ecnomic history of The Hellenstico Worlds, 3 Vols, oxford, 1941, P. 713.

(5) Strack, Die dynastic der ptolemaer, Berlin, 1897, P.P. 158 – 159.

(6) M. Rostortzeff, Op, Cit, P. 315.

بطليموس السادس (١٨٠– ١٤٥ ق.م)

تولى بطليموس السادس (ابن الخامس) فيلوميتور الحكم بين عامي ١٨٠ – ١٤٥ ق .م غير أن ما وصلنا عنه قليل جداً وهذا ما ذكره الكثير من المؤرخين، ولكن الجدير بالذكر أن بطليموس السادس كان أكبر إخوته من بطليموس الخامس وكيلوبترا ابنة انطيوخس الثالث، حيث كان لهم ابنان وابنة واحدة، وكان الابنان يحملان الاسم التقليدي للأسرة نفسه وهو بطليموس، وحملت الابنة اسم أمها كليوبترا، وقد تولى عرش مصر الابن الأكبر بطليموس السادس، وهو بين الخامسة والسادسة من عمره، ولذلك كانت أمه بطبيعة الحال هي الوصية على العرش، وقد نعت بطليموس السادس باسم فيلومتور (Filomtor)؛ أي المحب لأمه، ولما كان بطليموس لا يزال طفلاً لم تسمح كليوبترا لأحد غيرها أن يدير حكم البلاد وشؤونها الداخلية والخارجية، ومن ثم كانت سياستها على النقيض مما حدث في عهد والده بطليموس الخامس الذي كانت مدة حكمه عبارة عن سلسلة وصايات تولاها أفراد، لم يكن لهم مطمح إلا تحقيق رغباتهم على حساب الملك الصغير . [(١)]

وكان همّ كليوبترا عند توليها العرش، وبعد أن أخذت مقاليد الحكم في يديها أن تبذل كل مجهوداتها في رعاية أطفالها بنفسها ، ومن أجل ذلك لم تهتم بكل الإغراءات التي كانت توفد إليها من بلاط أخيها الملك انطيوخس الرابع (Antuokhos IIII) [(٢)].

إذاً عندما توفي بطليموس الخامس أبيرقانيس في سنة ١٨٠ ق.م وارتقى عرش مصر للمرة الثانية طفل صغير (فيلوميتور) عانت مصر في عهده كثيراً من جشع الأوصياء وفساد حكمهم، ومن الدمار الذي أنزلتهُ بالبلاد غزوتا أنطيوخس الرابع في سنتي ١٧٠ و١٦٨، ومن الصراع المرير بين فيلوميتور وأخيه الصغير الذي عرف فيما بعد بإسم يورجيتيس الثاني [(٣)].

وفي ظل هذه الأحداث ظهر رجل مصري متأغرق يدعى ديونيسيوس بتوسرابيس (Duonisus Ptosrapis) يبدو أنه كان يتولى منصباً كبيراً في القصر الملكي ويتمتع بنفوذ

---

(١) هالة حامد السطيحة، المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٢) سليم حسن ، ج ١٦، المرجع السابق ،ص ٢١٣؛ Beffand Skeat, J.E. A, XXI, P. 2.63 .

(3) Strack. Op, Cit, P.P. 158-159.

كبير بين المصريين، وذاعت شهرتهُ بين الناس بسبب الدور الممتاز الذي قام به في محاربة أنطيوخس الرابع، فحاول إستغلال الصراع بين الملكين الأخوين لتحقيق الآمال التي كانت تجيش في صدور المصريين منذ أمد طويل [1]. بيد أن فيلوميتور خيب خطة بتوسرابيس بمصالحة أخيه، فانسحب منهزماً إلى منطقة اليوسيس (Alusies)، ضاحية الإسكندرية المشهورة، حيث إلتف حوله ٤٠٠٠ من المحاربين المصريين، وعندما إنقض عليهم فيلوميتور وهزمهم فرَّ بتوسرابيس وعمل على إشعال لهيب الثورة في البلاد [2].

ويذكر لنا ***ديودوروس (Diodorus)*** *بأن فيلوميتور تولى بنفسه إخماد الثورة بمعاونة قوات كبيرة، وبأنهُ إستطاع إخمادها بسهولة فيما عدا ثورة بانوبوليس (Panopolies) (أخميم)، التي قاومت مقاومة عنيفة اقتضت حصاراً شديداً، وبعد القضاء على الثورة فيها، عاقب الملك الثوار وعاد إلى الإسكندرية [3].*

ومن الجدير بالذكر أن هناك نبوئتان مصريتان تدعوان إلى الثورة لم يصلنا عن النبوءة الأولى سوى أنها تناولت «سفر الأخبار الديموطيقي»، أما النبوءة الثانية؛ فهي المعروفة بنبوءة «صانع الفخار» (Potteris Oraele)، وفي مضمونها تعبير عن شدة كراهية المصريين لحكامهم الإغريق؛ الذين افسدوا الأخلاق، وأهدروا القيم المعنوية التقليدية الفرعونية، وتنبأ بتدمير الإسكندرية، وطرد الأجانب، وإقامة العاصمة في منف، حيث سيحكم ملك قومي بمساعدة إيزيس لمدة خمسة وخمسين سنة، ومما يؤخذ في الاعتبار بخصوص هذه النبوءة ما يأتي:

أولاً *: المفروض أن تكون هذه النبوءة قد صدرت عن صانع الفخار، وهو يجسد منذ أمد طويل لدى المصريين إله الوحي (خنوم).*

ثانياً *: إن النبوءة تعتبر القيم المعنوية التقليدية الفرعونية سبيل الخلاص من التدهور الخلقي الذي أشاعهُ الأجانب.*

---

(1) Strack. Op, Cit, P. 161.

(2) K. Sethe. Die historische Bedeututung des 2 phila – Dckrets aus der zeit des ptolemaios Epiphanes zeit – Ag – Sp. 53. 1917. P.P. 35-49.

(3) Diod. XXVI. 6 – 30. L.C.L.

ثالثاً : *إن النبوءة تنطوي على إحاطة عميقة بالتراث الأدبي المصري وبأساليب إصدار النبوءات، ويرى* ***لويد (Loyd)****، أن مصدر هذه النبوءة لابد من أنه جماعة من الكهنة يصعب تحديدها، لكنهُ ليس مستبعداً أن يكون مصدرها كهنة وطنيين، إما كهنة الإله خنوم في الفنتين، وإما كهنة الإله حارسافيس (Harsafies) في هيراقليوبوليس [1].*

وبالإستناد إلى أحد الأمرين التاليين:

١ – أن النبوءة تشير إلى غزوتين من سورية والنوبة وإلى حرب أهلية بين الإغريق.

٢ – أن هذه النبوءة تشير إلى أحوال حديثة وواقعية.

فإن ***إبراهيم نصحي*** *يرجح أن النبوءة تشير أولاً إلى غزوتي أنطيوخس الرابع (١٧٠ و١٦٨ ق.م) وإلى قدوم الزعيمين النوبيين ارماخيس وأنخماخيس بقواتهما لمساعدة ثوار منطقة طيبة؛ حيث نجحا في إنتزاع هذه المنطقة، كما ذكرنا سابقاً، من السيادة البلطمية على مدى عشرين سنة (٢٠٦ – ١٨٦ ق.م). وثانياً إلى الصراع المرير بين فيلوميتور وأخيه الصغير، وهو الصراع الذي عرفنا أن ديونيسيوس بتوسرابيس حاول استغلالهُ لطرد هذين الأخوين [2].*

وفي ضوء هذين الإستنتاجين يرى ***نصحي*** *أن حوالي عام ١٦٠ ق.م أرجح تاريخ لهذه النبوءة عن أوائل عصر البطالمة أو عهد بطليموس الثالث أو أواخر القرن الثالث ق.م أو سنة ١٣٠ ق.م [3].*

---

(1) A. B. Loyd. Op. Cit. PP. 52-54.

(2) Noshy. Preludes of Eg. Revolutions against ptols. And Greeks. Proceedings XIX pap. Congress. Vol. II. 1992. PP. 418 - 420.

(3) Noshy. Op. Cit. P. 421.

بطليموس السابع (تولى عام ١٤٥ ق.م لمدة شهر)

تخللت مرحلة حكمه مدة احتل فيها انطيوخس الرابع ملك سورية البلاد سنه ١٧٠ ق . م، ووقع بطليموس السادس أسيراً في يد ملك سورية ..، وقامت ثورة في الإسكندرية أعلنت الأخ الأصغر ملكًا لهم باسم بطليموس السابع، وعندما أفرج عن الأخ الأكبر حكم الملكان الأخوان مصر مناصفة . وفي سنه ١٦٣ انفرد الأخ الأكبر بالسلطة مرة أخرى .. إلى أن مات بطليموس السادس سنة ١٤٥ ق . م ، وتولى من بعده الملك الأصغر بطليموس السابع الذي ما لبث أن توفي بعد شهر من توليه الحكم. [١]

بطليموس الثامن (حكم ١٦٩ ق.م في مصر ومن ١٦٣-١٤٥ ق.م في قورينائية (برقة) ثم من ١٤٥ ق.م – ١١٦ ق.م مصر)

عندما تولى بطليموس الثامن العرش لقب بيورجييتس الثاني (Euergetes II)، أي الخير، ولكنه كان أيضاً يطلق عليه اسم فسكون (Physkon)(وتعني البطين)، وبطليموس الثامن هو ابن بطليموس الخامس[٢] *حكم في مصر من ١٤٥ – ١١٦ ق .م، وقامت ضده ثورة عنيفة في سنتي ١٣١ – ١٣٠ هرب على أثرها، وانفردت بالحكم في تلك المرحلة كليوبترا الثانية ملكة مصر، إلا أنه استطاع العودة من جديد ليستعيد ملكه في الإسكندرية، وتوفي سنة ١١٦ ق.م. ومما يجدر الإشارة إليه أن بطليموس الثامن كان ملكًا على قورينائية، وهو الأخ الأصغر لبطليموس السادس ملك مصر السابق، الذي كان على خلاف معه مما اضطر مجلس الشيوخ الروماني إلى فصل قورينائية عن مصر وحل هذا الخلاف بإعطاءه مملكة قورينائية، فأصبح ملكًا عليها* [٣].

وبعد بضعة سنين أدعى بطليموس ملك قورينائية أن أخيه بطليموس السادس، يحاول اغتياله وضم قورينائية إلى مصر مرة ثانية، وغطى بطليموس إدعاءه بذكاء، إذ أعلن بكتابة وصية إرث، ونشرها تقضي بأنه عند موته تؤول مملكته قورينائية إلى روما وقد اكتشفت هذه الوصية في نقش في مدينة قورينا الليبية، ولكن لم تنفذ هذه الوصية؛ لأن بطليموس هذا خلف أخاه بطليموس السادس

---

(1) Diodo. XXVI. 6 – 30. L. C. L.

(٢) إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج١. المرجع السابق، ص٢٣؛ . Justin, Op. Cit, 8.4.L.C.L

(٣) محمود عبد الرزاق عوض، الحضارة في مصر الفرعونية القديمة، آل جاسر، القاهرة، ط ٢، د. ت، ص ١٢٧.

على عرش مصر وعرف باسم بطليموس الثامن، وقد حكم مصر مدة ٥٤ سنة وهي أطول مدة حكم فيها ملك من أسرة البطالمة على عرش مصر [١].

ونتيجة لهذا الاستقرار السياسي وصداقة روما وقلة الحروب حدث رخاء اقتصادي وانتعشت التجارة بين دول البحر المتوسط الذي أصبح بحيرة رومانية ، وزار مصر عدد من الرومان من أجل السياحة، كما زارها موظفون رسميون من روما وقد نشرت ترجمة بردية تعود لعام ١١٢ ق.م عثر عليها في بقايا قرية أثرية تقع على بعد ١٠٠ كم تقريباً من منطقة أبي الهول والأهرام تضم تعليمات وأوامر مرسلة من موظف كبير بالإسكندرية : لوكيوس ميميوس (Locus Memus) - وهو سناتور روماني - يتمتع بمركز كبير في المكانة والشرف يقوم برحلة من الإسكندرية إلى إقليم الأرسينواتي (Arsinoite) [٢].

إن الصراع الذي وقع بين بطليموس الثامن وكليوبترا الثانية؛ جعل البلاد تنقسم إلى قسمين أحدهما يناصر بطليموس والآخر يؤيد كليوبترا، وقد كانت هذه الحرب الأهلية مزيجاً من الصراع الأسري والثورة القومية [٣]. وتبعاً لذلك عمت البلاد فوضى أمعن المؤرخون القدامى في وصفها[٤]، ويتبين ذلك من خلال الإستيلاء على الكثير من المنازل والأراضي؛ كما حدث في عهد بطليموس الخامس أبيفانيس [٥].

وفي حين أن أغلب المصريين في الوجه البحري ومصر الوسطى اتخذ إحتجاجهم شكل الإضراب عن العمل؛ فإنهُ في مصر العليا اتخذ شكل قتال بين المدن والقرى مع بعضها بعضاً [٦].

ولا أدل على مدى خطورة الكهنة وإسهامهم في الثورات القومية من القرارات التي أصدرها بطليموس الثامن في وقت ما في بداية حكمه وفي عام ١٤٠/١٣٩ ق.م. وفي عام ١١٨ ق.م والتي قضت رسمياً – وإن لم يكن فعلياً – بتحرير موارد المعابد من إعتداءات موظفي الحكومة البطلمية[٧].

---

(١) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص ١٨٨.

(2) A. P. Lioyd, Op.cit. P. 109.

(3) Rostovtzeff. Op. Cit. PP. 873-874.

(4) Diod. XXX. 28. L. C. L.; Juestin. XXXVIII. 8. L. C. L.

(5) Rostovtzeff. Op. Cit. PP. 876-877.

(٦) إبراهيم نصحي ، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج٢. المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٧) منيرة محمد الهمشري، المرجع السابق، ص ٦٣.

بطليموس التاسع (١١٦ – ١٠٧ ق.م)

كانت كليوبترا الثالثة هي من تحكم مصر بعد وفاة بطليموس الثامن (يورجيتيس) الثاني، وقد أطلق عليها أهل الإسكندرية لقب قوقي (Kokke)، أي الحمـــراء، فأطباعهـــا الجامحـــة وقسوتها المتناهية تمخضت عن منازعات أسرية مستمرة، أسهمت فيها أحداث سورية المعروفـــة بالحروب السورية بين البطالمة والسلوقيين ، وعندما جاء بطليموس التاسع اغتصب الحكم رغـــم أنفها بمساعدة السكندريين الذين أطلقوا عليه اللقب الإلهي فيلوميتور سوتر ، وتـــولى شـــقيقةُ الأصغر (إسكندر) ابن كليوبترا الثالثة حكم قبرص، وتزوج بطليموس التاسع من شقيقة كليوبترا الخامسة سليني (Selane) (بمعنى القمر)، هذه التي دبرت لها والدتها كليوبترا الرابعة من أجـــل قتلها، فحرضت أنصارها في سورية ضد بطليموس التاسع، بيد أن ذلك الصراع كـــان ضـــحيتهُ كليوبتر ا الرابعة، التي قتلت في المذبح المقـــدس لمعبـــد أبولـــو(Apollo) في دفنـــه (Dfna) (اسوان الحالية) سنة (١١٢) ق.م [١].

بدأت في عهد الملك بطليموس التاسع المملكة السلوقية في الانهيار بعد انقسامها بين الأخوين جروبوس (Gropos)، حاكم سورية السلوقية وقوزيقنوس (Kozeknos) حاكم جوف سورية ووسط انهيار السلطة المركزية أخذت المـــدن الإغريقيـــة في ســـورية تـــستقل بـــذاتها، وازدادت قوة الأنباط [٢].

---

(١) عاصم أحمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، المرجع السابق، ص ص ٦١- ٦٢.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج١، المرجع السابق، ص٢٥٠.

بطليموس العاشر (١٠٧ –٨٨ ق.م)

لا شك أن أحداث سورية كان لها دور هام في التأثير على الأحداث في مصر وأن مساعدة بطليموس التاسع لقوزيقنوس حاكم جوف سورية في حربه مع أخيه قد أغضبت كليوبترا الثالثة التي دبرت مؤامرة لقتل بطليموس التاسع لكنهُ تمكن من الهرب عن طريق البحر المتوسط ، مما أتاح لكليوبترا الثالثة تنصيب إبنها بطليموس العاشر (إسكندر) وإشراكه معها في الحكم، بدءاً من سنة ١٠٧ ق. م، ومن الجدير بالملاحظة أن روما ساعدت على الاعتراف بالملك الجديد [١].

تُوفيت كليوبترا الثالثة سنة ١٠١ ق.م، وأصبح بطليموس العاشر ملك مصر اسمًا وفعلاً، إلا أنهُ اتبع سياسة غير حكيمة من اللهو والاستهتار بشؤون الحكم، مما جلب على مصر الخراب فأفقدها الكثير من ممتلكاتها، ولاسّيما قورينائية التي أوصى بها أبيون (Aphuon) لروما من بعده سنة ٩٦ ق.م في حين بطليموس لم يحرك ساكنًا مما أوجد اتحاداً بين السكندريين والجيش، فقاموا بثورة ضده فاضطرهُ ذلك للفرار ، ثم عاد مرة أخرى بجيوش مرتزقة إلا أن السكندريين طردوه مرة أخرى، ولاسّيما بعد أن سطا على مقبرة الإسكندر واستولى على التابوت الذهبي الذي دفن فيه، ثم ما لبث أن هلك في معركة بحريةجرت بينه وبين خصومه السكندريين، وهو يحاول الوصول إلى قبرص عام ٨٨ ق.م. وبعد وفاته خلت الأمور إلى أخيه الأكبر بطليموس التاسع للعودة من منفاه، فاستولى بمساعدة السكندريين على مصر وقبرص لكن الثورات ما لبثت أن اشتعلت، ولاسّيماً في طيبة التي زحف إليها بطليموس التاسع، واستمرت الحرب فيها ثلاث سنوات انتهت بتخريبها عام ٨٥ ق.م [٢].

لم تنته الثورة في عهد بطليموس العاشر إلا بعد أن استرد بطليموس التاسع عرشهُ في مصر، وتدل المعلومات المستمدة من الوثائق، على أن هذه الثورة لم تختلف عن الثورات السابقة التي حدثت في عهد ملوك البطالمة السابقين، إذ أنها كانت مزيجًا من الإحتجاج على حال الطبقات الدنيا ومن الآمال القومية والتعصب الديني، وبالتالي فإن منطقة طيبة؛ كانت كالعادة أخطر معاقل الثوار [٣].

---

(١) إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج١. المرجع السابق، ص٢٥٢.

(٢) عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص٦٣.

(3) Rostovtzeff. Op. Cit. PP. 876-877.

ولأجل ذلك يحدثنا **بوسانياس (Pausanias)** [1] بأنهُ ترتب على مقتل كليوبترا الثالثة، وهروب بطليموس العاشر (إسكندر) خوفاً من الإسكندريين؛ أن بطليموس التاسع فيلوميتور سوتير إسترد عرشهُ ثانية أواخر سنة ٨٨ ق.م، وأنهُ حارب أهل طيبة الثائرين، وأخضعهم بعد ثلاث سنوات من بداية الثورة، وأن انتصاره عليهم كان انتصاراً باهراً إلى حد أنهُ لم تبق لهم بقية من رفاهيتهم السابقة . ويبدو أن **إبراهيم نصحي**[2] كان يخالف رأي **بوسانياس** فيما يخص الثورة، فقد رأى بأن الثورة بدأت فعلاً عام ٩٠ ق.م، ولكنها فيما يبدو لم تبلغ أشدها إلا عندما إسترد بطليموس فيلوميتورسوتير عرشهُ، وحارب الثوار على مدى ثلاثة أعوام، وقضى عليهم قضاء مبرماً في أواخر سنة ٨٥ ق.م، وأن **بوسانياس**؛ المعروف بميله إلى الإجمال في عرضه الأحداث التاريخية؛ دون تحري الدقة في تواريخها، فقد أغفل أمر المرحلة الأولى من الثورة، التي لم تبلغ فيما يبدو في عنفها مبلغ المرحلة الثانية، ولا أدل على عدم تحري **بوسانياس** الدقة في عرض الأحداث التاريخية؛ من أن بطليموس العاشر لم يهرب مباشرة عقب وفاة أمه – سواء قتلاً أو طبيعياً – ذلك أنهُ إنقضى بين الحادثين اثنا عشر عاماً تقريباً [3].

(1) Pausanias, I Description of Greece. Withan English translation by W. H. S. Jones. 9. 3. L. C. L.

(٢) إبراهيم نصحي ، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج٤. المرجع السابق، ص ص ٢١٧ – ٢١٩.

(٣) المرجع نفسهُ، ص ص ٢٥٦ – ٢٥٧.

بطليموس الحادي عشر (٨٨ – ٨١ ق. م)

توفي بطليموس التاسع وهو في الثانية والستين من عمره تقريباً في أواخر عام ٨١ ق.م أو أوائل عام ٨٠ ق. م دون أن يترك في مصر من سلالته الشرعية سوى ابنته برنيقى الثالثة، والتي آل إليها الملك بمفردها، إلا أن بطليموس العاشر الذي فر إلى روما في حماية سولا (Sola) عام ٨٣ ق.م قد أُرسل إلى الإسكندرية بأمر من سولا نفسه؛ ليكون ملكاً على مصر باسم بطليموس الحادي عشر (إسكندر الثاني) الذي تزوج من برنيقى الثالثة ابنة عمه، ولم يبق بطليموس الحادي عشر على سلطة برنيقى زوجته التي كانت تنظر إليه كطفل يحتاج لرعايتها مما دفعهُ إلى قتلها بعد ذلك، مما أثار أهل الإسكندرية عليه وقتلوه في الجومنازيوم، ولم يدم حكمهُ أكثر من تسعة عشر يوماً [١].

بطليموس الثاني عشر (٨٠ – ٥١ ق. م)

بطليموس الثاني عشر (ابن غير شرعي لبطليموس التاسع سوتير الثاني) تولى الحكم ما بين٨٠ – ٥١ ق .م واشتهر بلقب الزمار وكان لقبه الرسمي ديونيسيوس (Duonesuos) الصغير وتزوج كليوبترا السادسة. [٢]

وعندما أعلن مجلس الشيوخ في روما في ٥٨ ق . م ضم قبرص إليها وتحويلها إلى ولاية رومانية بعد أن كانت خاضعة لمصر ، وقف بطليموس الثاني عشر موقفاً سلبياً، أدى إلى ثورة أهالي الإسكندرية ضده، فلم يجد أمامه إلا الفرار إلى روما وبقي هناك إلى سنة ٥٥ ق.م وازداد نفوذ روما على مصر وفي سنة ٥٩ ق.م كان يوليوس قيصر(*) *قنصلاً في روما وكانت مسألة ضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية ضمن برنامجه السياسي. وسعى بطليموس الزمار ليثني قيصر عن خطته نحو مصر، ودفع نظير ذلك ٦٠٠٠ تالنتوم، وهو نصف دخل مصر. وبذلك أعلن يوليوس قيصر اعتراف روما بالزمار ملكاً على مصر حتى مات سنة ٥١ ق . م .* [٣]

---

(1) Cicero , Dereye Alex , C. A. H, IX, P. 388.

(2) E. Bevan. Op.cit. P.26.

(*) ولد يوليوس قيصر في عائلة عريقة من الأشراف الرومان، عايش في مرحلة مراهقته عهد الحرمان (الحرمان من حماية القانون) الذي فرضه ماريوس صهر أبيه. كما عايش عهد ديكتاتورية سولا وأوائل عهد بومبي (قائد روماني) Pompey. ويعدّ يوليوس قيصر من أبرز الشخصيات العسكرية الفذة في التاريخ وكان سبباً لقيام ثورة من أجل تحويل روما من جمهورية إلى إمبراطورية. كان هناك العديد من الحكام الذين تبنوا اسمه وأبرزهم ابنه (بالتبني) أغسطس قيصر وبطليموس الخامس عشر (قيصرون) ابنه من كليوبترا السابعة وصولاً لقياصرة روسيا تبنى ابن أخته أكتافيوس وجعله الخليفة الذي يمسك العرش بعده، انظر، Http: // ar. Wikipedia. Org.

(3) Tau benschlag, The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the papyri, 1955, P. 198.

كليوبترا السابعة (٥١ – ٣٠ ق. م)

تولت كليوبترا السابعة الحكم مع أخيها بطليموس الثالث عشر طبقًا لوصية والدهما، وإن كانت روما قد تدخلت لتحقيق تلك الوصية؛ خوفًا من عدم احترام السكندريين لها، وبما كانت تتصف به كليوبترا من القدرة والكفاءة والشهامة في الحكم، فقد كان لها دورها الإيجابي أيضًا في الصراعات في روما نفسها، والدليل على ذلك وقوفها إلى جانب بومبى (Pompi) في صراعه على السلطة في روما حيث أمدتهُ بخمسين سفينة وبكمية كبيرة من القمح وقوة قوامها ٥٠٠ من الرجال، وربما ذلك ما ألب السكندريين عليها واتهموها بالخيانة وثاروا عليها فاضطرت إلى الفرار[1]. **(شكل٢٣)**.

ويذكر **إسترابون** *بأن بومبى قد فر إلى مصر حيث قتل على يد رجال جابينيوس (Japenus) فأحزن ذلك الخبر قيصر، حين وصوله إلى الإسكندرية عام ٤٨ ق.م، وعلى الرغم من الصراع الذي حدث في الإسكندرية بين السكندريين وجنود قيصر إلا أن تطور الأحداث كان في صالح كليوبترا التي وجدت في قيصر حليف لها للعودة إلى الحكم مجددا* [2].

بيد أن الأمن لم يستتب، ولاسّيما بعد شعور السكندريين بنوايا روما في التدخل في شؤون مصر، ولم يكن ما أبداه قيصر من حسن نية بمصالحة كليوبترا السابعة وأخيها الملك بطليموس الثالث عشر، ليوقف الشعور بالاستياء في الإسكندرية، فقد عجل بروح الانتقام من قيصر، الذي تحصن بالقصور الملكية، فأثار بذلك السكندريين الذين اتحدوا مع قوات بوثاينوس (Pothaynus) وأخيلاس (Akhelas) الأوصياء على العرش، ودارت بينهما معارك عرفت بحرب الإسكندرية، والتي كانت من أسوأ آثارها إحراق مكتبة الإسكندرية [3].

وقد وصلت الإمدادات لجيش قيصر من آسيا بقيادة ميثريداتيس (Methredaties) البرجامى، وقد انضم قوات من الأعراب بقيادة إمبليغوس (Iamblichos) حيث هاجم الجيش الإسكندرية، ودارت موقعة حامية لم تلبث أن تحولت إلى مذبحة مروعة قضى فيها على الجانب الأكبر

---

(1) G. Lefevre , Le Dernier Decret des Lagides Melonges Holleaus , 1913. P. P. 119-122.

(٢) إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج١، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(3) Strabon , XIII , 625.L.C.L

من الجيش السكندري، كما أن الكثيرين ممن سلموا من القتل هلكوا غرقًا أثناء تقهقـــرهم، وكـــان بطليموس الثاني عشر في عداد هؤلاء الغرقى [1].

وبانتصار قيصر الحاسم والسريع، ألقى الإسكندريون أسلحتهم وهجروا معاقلهم، فقبل قيصر استسلامهم وعفا عنهم، وبعد أن أصبح قيصر سيد الإسكندرية ومصر، نفذ الوصـــية الـــتي تركهـــا بطليموس الزمار، فأقام على العرش كليوبترا وأخاها الأصغر بطليموس الرابع عشر، وأقصى عن مصر أختها الصغرى أرسنوى، وقد تزوجت كليوبترا السابعة من قيصر وأنجبت منهُ عام ٤٧ ق. م، الطفل الذي أطلق عليه السكندريون اسم قيصرون [2].

وربما كانت لسياسة كليوبترا السابعة، وتدخلها إلى جانب قيصر في روما حجر الزاوية في نهاية مملكة البطالمة، حيث ظهرت بمظهر المناصر لقيصر في صراعه على السلطة في روما، وهذا ما أدى إلى إصرار قادة روما على القصاص منها وسرعة ضم مصر إلى حوزة الإمبراطورية الرومانية.

وقد قدمت كليوبترا كل ما تملك مصر من جيوش ومؤن وسفن لقيصر في صراعه في آســـيا الصغرى، وضمه لمملكة القرم وقضائه على أعدائه في شمالي إفريقيا، وعندما أصبح قيصر سيد العـــالم، خفت كليوبترا إلى روما، وبصحبتها أخوها الصغير بطليموس الرابع عشر، حيث أدمجهـــا قيـــصر في عداد الحلفاء والأصدقاء للشعب الروماني [3]، ويطلعنا **ديو كاســـيوس** (Dio Cassius) (**بـــأن كليوبترا بعد عودتها من روما بقليل أشركت معها إبنها في الملك، وعملت على أن يعتـــرف بـــه الرومان ملكاً شرعياً**)[4]، لكن الباحث هنا يستبعد هذا الأمر، ولاسيّما أن كليوبترا عادت إلى مصر بعد مقتل قيصر عام ٤٤ ق.م، ويحللُ بعض المؤرخين سرعة عودة كليوبترا إلى مصر ؛ بسبب خوفهـــا *من أن يصدر السيناتو (مجلس الشيوخ الروماني) قراراً بضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية، وخوفها من الاعتقال والسجن، ولاسيّما بعد تمكن القنصل أنطونيوس من السيطرة تدريجياً على مقاليد الحكم في روما، ودخوله في صراع مع أوكتافيوس (Oktavuos) (أغسطس) (حفيد الأخت الـــصغرى لقيصر، وبمقتضى وصية قيصر إبنهُ بالتبني ووارثهُ).* [5]

---

(1) Dio cassius , XLII. 43.L.C.L.

(٢) عاصم أحمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٩.

(4) Dio Cassius , XLIV. 35.L.C.L

(5) M. Rostovtzeff, Op. Cit, PP. 267- 268.

معركة آكتيوم وسقوط حكم البطالمة

تمر الأحداث في روما إلى الهاوية، ولاسّيماً بعد قيام الحكومة الثلاثية بين أوكتافيوس وأنطونيوس (Antonios)، ولبيدوس (Lepidus) حاكم ولايتي الغال (Galia) وإسبانيا (Espin)، فمراحل سفك الدماء والصراع على حكم روما، قد وضعت كليوبترا في موقف حرج سرعان ما تبدد أمام لقائها لأنطونيوس في قليقيا، ثم بعد زيارته لمصر في شتاء عام ٤١- ٤٠ ق. م، وما ترتب على تطور تلك العلاقة التي تحاكي بها، وبالغ في وصفها الكثيرون [١].

وبطلعنا بلوتارخ (**Plutarch**) (**أن كليوبترا أنجبت من أنطونيوس تؤمين شبها فيما بعد بالتؤمين السماويين: الشمس والقمر؛ ولذلك سميا إسكندر هيلوس (Helios) ويساوي الشمس وكليوبترا سليني (Selene) وتساوى القمر** [٢] *وأن أنطونيوس على الرغم من زواجه من أوكتافيا (Oktavia)، فقد اعترف بزواجه بعد ذلك من كليوبترا، وبأبويته للتؤمين، وذلك في عام ٣٧ ق. م، ولقد كانت هدية كليوبترا من زواجها بأنطونيوس إعادة بناء إمبراطورية البطالمة، وأن أنطونيوس لم يستطع أن يمنحها إلا الأماكن التي كانت الظروف تسمح بها حيث منحها إمارة خالكيس (Chalcis)، وإقليم قليقيا وتراقيا وقبرص والجزء الأكبر من شواطئ فلسطين وفينيقيا* [٣].

وبذلك عادت الإمبراطورية البطلمية إلى ما كانت عليه بفضل سياسة كليوبترا مع أنطونيوس وربما ذلك ما شعرت به كليوبترا نفسها بأنها قد ملكت بالفعل الإمبراطورية الرومانية نفسها، وقد كان ذلك حافزاً في أطماع كليوبترا للقضاء على أوكتافيوس نفسه، فحفزت أنطونيوس لمحاربته فنقض أنطونيوس معاهدة التحالف الثلاثي واعتدى على أرمينيا عام ٣٤ ق.م [٤].

وقد أثار ذلك العمل الشعور القومي في روما، ولاسّيما في مجلس السناتو (Cenato) الذي وجد في شخصية أوكتافيوس الخلاص من أنطونيوس وكليوبترا ورجوع الإمبراطورية على ما كانت عليه، ولهذا عمل أوكتافيوس على تقوية مركزه في روما وجمع المال اللازم للحرب، وفي عام

---

(1) Dio Cassius , XLIV. 32 .L.C.L

(2) Plutarch , Anton. 9.36. L.C.L

(٣) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج١، المرجع السابق، ص ٣٤٣.

(٤) عاصم أحمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، المرجع السابق، ص٧٠.

٣٢ق.م، أصبحت إيطاليا، وكذلك الولايات الغربية (صقلية وسردينيا وإفريقيا وبلاد الغال وإسبانيا) على أهبة الاستعداد للحرب، وإعلان الحرب على كليوبترا نفسها [١].

ولقد كانت القوات التي جمعها أنطونيوس ليواجه بها أوكتافيوس تتألف من إسطول كبير يزيد عدد سفنه عن ٥٠٠ سفينة كان بينها ٦٠ سفينة مصرية ومن جيش قوامهُ ٧٠٠٠٠ من المشاة و١٢٠٠٠ من الفرسان حيث وصلت هذه القوات إلى الساحل الأيوني نهاية سنة ٣٢ق.م، بينما كان الجانب الأكبر من الأسطول في خليج آرتا (Arta) الضيق على السواحل الغربية لبلاد اليونان، والجانب الأكبر من الجيش في شبه جزيرة أكتيوم (Aktum)، بينما حشد أوكتافيوس أسطول يزيد عدد سفنه عن ٤٠٠ سفينة بقيادة أجريبا (Agripa)، حيث حدثت أولى الصدامات في المناطق الأمامية من أكتيوم وحوصر الأسطول الأنطوني في خليج آرتا مما دفع أنطونيوس إلى الانتقال مع بعض قواته من أكتيوم وعسكر أمام أوكتافيوس وحاول تضييق الخناق عليه، بيد أن أنطونيوس أصبح وضعهُ حرجاً؛ نتيجة انشقاق كثير من رجال الدول الخاضعة لهُ وأمرائها، فتزعزعت ثقتهُ بكل من حوله ومما زاد حرجهُ عاملان: أحدهما تفشي المرض بين جنوده، لأنهم تأثروا بمدة الشتاء حول خليج آرتا، والآخر هو نقص المؤن؛ نتيجة نجاح أوكتافيوس في قطع الإمدادات [٢].

وقد كانت خطة أنطونيوس وكليوبترا أن المعركة القادمة يجب أن تكون بحرية، وذلك بإيعاز من كليوبترا التي حاول معها قائد جيش أنطونيوس بأن تعدل عن فكرتها، وأن تكون المعركة برية ولكنها أصرت على أن تكون المعركة بحرية، ويبدو أن أنطونيوس قد اتفق مع كليوبترا على خطتين إحداهما دحر أوكتافيوس بحرياً، والأخرى الهرب إذا فشلت الخطة الأولى [٣].

وقد بدأت المعركة في نهاية عام ٣١ ق.م، وكانت معركة طويلة؛ ونظراً لطولها فإن كليوبترا عجزت عن الانتظار لمعرفة مصير المعركة وفرت هاربة فجأة، ولما أحس بها أنطونيوس تبعها، وقد عادت كليوبترا إلى الإسكندرية، لكي توهم الناس بالانتصار بينما ذهب أنطونيوس إلى قورينائية، ثم عاد إلى

---

(1) Dio Cassius , L , 5.L.C.L ; Plutarch , Anton , 60, 61.L.C.L

(٢) عاصم أحمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، المرجع السابق، ص٧١.

(٣) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج١، المرجع السابق، ص ٣٧٥.

الإسكندرية، ليدرس الموقف مع كليوبترا، فحشدا قواتهما للدفاع عن الإسكندرية وفي نهاية عام ٣١ ق.م وصلت قوات أوكتافيوس إلى الإسكندرية التي استعصت عليه؛ نتيجة استبسال المدافعين عنها في قتالهم، بينما اختبأت كليوبترا في مقبرتها الملكية الخاصة، وفي المقابل انتحر أنطونيوس، وقد سمح أوكتافيوس بعد دخوله الإسكندرية لكليوبترا بدفن أنطونيوس، وأمام حزنها الدفين انتحرت هي الأخرى، لتنهي مرحلة من الصراع الدامي الطويل، وتنهي أيضاً تاريخ دولة عريقة وحقبة من حقبات تاريخ مصر السياسي [1].

ولكن ما علاقات مصر الخارجية مع السلوقيين والرومان في عهد البطالمة؟

(١) عزت أندراوس، الاحتلال وعصر البطالمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٣. وللمزيد ، انظر: محمد محفل، محمد الزين، المرجع السابق، ص ص ١-٣٠.

ثالثاً : علاقات البطالمة الخارجية مع السلوقيين والرومان

يجدر بنا قبل التحدث عن هذا الموضوع أن نعطي لمحة تاريخية عن علاقة مصر القديمة بسورية القديمة، فالعلاقة بين البلدين كانت تقوم على أساس ترابط مصالحهما المشتركة، وحاجة كل منها لمنتجات البلد الآخر، ونتيجة للموقع الجغرافي لكل منهما وما يوفرهُ هذا الموقع من أسباب الاتصال بينهما، وسورية القديمة التي ذكرناها نقصد بها كل المنطقة التي تشغلها الآن سورية ولبنان وفلسطين والأردن بمعنى بلاد الشام، فمن حيث الموقع فإن سورية ومصر القديمتان كانتا متجاورتان لا تفصلهما إلا صحراء سيناء، والتي لم تكن في الحقيقة عقبة في طريق الاتصال بينهما، لأن طرق الاتصال كانت متوفرة خصوصاً عن طريق البحر من جهة الساحل السوري (١).

وكان تبادل المنافع الاقتصادية، هو المسيطر على العلاقات المصرية السورية حتى نهاية الألف الثالثة ق.م تقريباً، ولكن أضيف إليه في مطلع الألف الثانية ق.م عنصر آخر وهو عنصر الأمن، إذ ارتبط أمن البلدين الواحد منها بالآخر ارتباطاً محكماً، حتى أن ما يحدث في أي منهما كان ينعكس بشكل مباشر على البلد الآخر، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد كان من نتيجة حركة الشعوب الهندوأوروبية في سورية أن احتلت مصر من قبل الهكسوس، وقد سبق وأن ذكرنا ذلك في الفصل التمهيدي، وكانت إحدى نتائج حروب تحوتمس الثالث في سورية، أن انحسر النفوذ الميتاني عنها، وارتد إلى ما وراء الفرات، كما أن ضعف مصر في نهاية الأسرة الثامنة عشرة أدى إلى الاجتياح الحثي لسورية حتى جبل لبنان، ويكفي أن نتذكر أن (١٩) جيشاً سار على الطريق الممتد بين سورية ومصر، منطلقاً من إحداهما متجهاً نحو الأخرى وبالعكس، لندرك مدى أهمية البلدين الواحد منهما للآخر من الناحية الأمنية، والدليل على ذلك إزدهار تجارة الموانئ السورية زمن الأسرة الثامنة عشرة ووصولها إلى القمة في التوسع التجاري والعمراني (٢).

شهدت المرحلة الممتدة بين ٢٠٢ وحتى ٩٦ ق. م اضمحلال ثلاث قوى كانت هي المسيطره في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وهي مصر وسورية ومقدونيا. وفي المدة نفسها ظهرت روما التي

---

(١) محمود عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، ص ٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦.

استطاعت في القرنين الثاني والأول أن تكون هي العامل الأول، ولعلها أصبحت العامل الوحيد في تحريك جميع القوي الموجودة في المنطقة.

عندما جاء أنطيوخوس الأول بن سلوقس إلى عرش المملكة السلوقية في آسيا الصغرى وسورية، لم يمر عام واحد فقط إلا ونراه قد دخل في معارك مع المملكة البطلمية في مصر، وهكذا بدأت حلقات الصراع الدامي بين المملكتين الجارتين عام ٢٨٠ ق.م ويسجل التاريخ أن أول معاركها كانت حرباً غامضة لا ندرك أسبابها الفعلية، عرفت بحرب كاريا (Karia) أو دمشق، لكن المملكتين الجارتين سرعان ما وقعتا صلحاً عام ٢٧٩ ق.م وكان ذلك أقرب إلى هدنة مؤقتة بينهما لأسباب أهمها :

١- انشغال أنطوخيوس بالدفاع عن مملكته وحدودها الشمالية الغربية في آسيا الصغرى، ضد الغال (Galati) وقيام ثورة داخلية في سورية.

٢- انشغال بطليموس الثاني فيلادلفوس، بحملات عسكرية ذات أهداف اقتصادية تجارية ضد الأنباط. ومنذ ذلك العام ظلت العلاقات بين مصر البطلمية وسورية السلوقية بين مد وجزر، وشد وجذب ، تنتابها لحظات ترقب وانتظار ، ولم يأت عام ٢٧٥ ق.م حتى عادت العمليات العسكرية بينهما إلى سابق عهدها ، ووقعت أحداث الحرب السورية الأولى عندما استغل بطليموس الثاني انشغال أنطيوخوس الأول بحروبه مع الغال، وقام بحملة لغزو سورية، وبمجرد انتصار الملك السلوقي على الغال عاد مسرعاً إلى قلب مملكته وهزم القوات البطلمية واسترد دمشق وحاصر ميليتوس (Miletus)، التي كانت قد أصبحت مصرية – بطلمية منذ عام ٢٧٩ ق.م. [1]

هدأت الجبهة السورية المصرية لسنوات قليلة، وبموت أنطوخيوس الأول ورثه على عرش البلاد في المملكة السورية ابنهُ أنطيوخوس الثاني عام ٢٦٢ق.م، وكانت مدينة إفسوس الكبيرة[*] *قد*

(1) W.W. Tarn , Hellenistic Civilsaion (Revised By the author and G. T. Griffith, U. S. A. 1974. P. 13.

(*) تقع جنوبي آسيا الصغرى، على الساحل الشمالي للحوض الشرقي للبحر المتوسط، بالخصوص ، انظر، محمود إبراهيم السعدني ، تاريخ الحضارة الهلنستية، الرياض، ط١، ١٩٩٧ ، ص٣٠٤.

سقطت في أيدي الملك البطلمي فلادلفيوس، ضمن أملاكه الخارجية العديدة، فتحالف أنطيوخوس الثاني مع أنتيجونوس جوناتاس؛ للانتقام من بطليموس الثاني، وأسفر هذا التحالف عن نشوب الحرب السورية الثانية: ٢٤٦-٢٤٥ ق.م، وعندما وضعت هذه الحرب أوزارها نتج عنها ما يأتي :

١- عودة مدينتي إفسوس وميليتوس إلى حظيرة أملاك الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني بالإضافة إلى جزء كبير من ساحل آسيا الصغرى.

٢- استيلاء السلوقيين على فينيقيا من ايدي البطالمة حتى بيروت.

٣-هزيمة الأسطول البطلمي في الجزر اليونانية عند كوس (Kos).

٤-استيلاء جوناتاس على البحر الإيجي وفقدان مصر لإيونيا وساموس. (١)

هذه النتائج أجبرت بطليموس الثاني إلى إنتهاج أسلوب المصاهرة مع أعدائه، وهي حيلة الضعفاء وهذا دليل واضح على أن مكانة مصر وهيبتها بدأت تفقد بريقها، فزوج ابنتهُ بيرينكي للملك السلوقي أنطيوخوس الثاني . هذه الزوجة حملت معها مهرها السخي لأنطيوخوس حتى عرفت باسم (فرينفوروس) (Ferneforos)(*). وربما كانت نتيجة هذه المصاهرة السبب في أن تنازل بطليموس الثاني عن كيليكيا وبامفيليا، أقصى الطرف الشمالي الشرقي لحوض البحر المتوسط للملك السلوقي أنطيوخوس الثاني، لقاء تنازله، بصورة نهائية عن المطالبة بجوف سورية؛ لأهمية هذا الإقليم الاقتصادية لمصر. (٢)

وتتسارع الأحداث، فبوصول سلوقس الثاني إلى عرش سورية استطاع في الحرب السورية الثالثة أن يسترد كيليكيا وشمالي سورية الداخلي من بطليموس الثالث، لكنهُ فشل في استرجاع فينيقيا، وفقد في المقابل ساحل آسيا الصغرى، حيث كان ينشط فيه الأسطول البطلمي؛ ونتيجة للصراع الدائم بين المملكتين فإن الوهن قد أصابهما وكان نتيجة ذلك أن أستغل طرف آخر ذلك الوهن والضعف، ليكون سيد الأحداث فيما بعد ونحن هنا نشير بحديثنا إلى روما. (٣)

---

(1) WW. Tarn , OP. sit. P. 17.

(*) كلمة يونانية تعني حاملة الهدايا أو الصداق وفق العادات اليونانية القديمة التي كانت تفرض على البنت أن تقدم هي المهر للرجل حتى تغريه بالزواج منها. أنظر.WW. Tarn , OP. sit. P22

(٢) عاصم أحمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٣) منيرة محمد الهمشري، المرجع السابق، ص ٦٩.

يذكر **مفيد العابد** استناداً إلى ما ذكر **بوليبيوس** *بأن أنطيوخس الثالث حاول الإسراع في عملية استخلاص جوف سورية من البطالمة مستغلاً فرصة وفاة بطليموس الثالث وتسلم ابنه العابث بطليموس الرابع زمام الأمور، ومن أجل ذلك عقد مجلساً حربياً بعد عودته المظفرة من الشرق للتشاور فيما يمكن عملهُ بهذا الخصوص، وقد حصل على موافقة المجلس بالإجماع، وكان من جملة ما عرض في ذلك المجلس إشارة الطبيب أبولوفانس (Apollofans) بضرورة تحرير سلوقية (على نهر العاص) التي كانت مستعمرة بطلمية منذ الحرب السورية الثانية، فصدرت الأوامر إلى قائد الأسطول السوري بمحاصرة سلوقية بحراً، وقام أنطيوخس بحصارها براً في حين تابعت قوة عسكرية ثالثة تقدمها جنوباً للتمهيد لغزو جوف سورية* [1].

ويبدو أنهُ عندما بدأ أنطيوخس الثالث رحفهُ لم يكن الجيش البطلمي مستعداً للقائه، في وقت أدرك فيه الملك البطلمي مدى تصميم أنطيوخس على حسم موضوع جوف سورية، على الرغم من غموض موقف ابن عمه إخايوس (Ekhaus) في آسيا الصغرى من الأحداث القائمة، وقد لجأ البطالمة إلى أسلوب الحرب الدعائية، بأن سعو لنشر دعايات كاذبة عن مدى استعداد الجيش البطلمي والعمل على التشكيك في ولاء أخايوس لابن عمه أنطيوخس، ولوحوا بأن الصراع يجب أن يُحل عن طريق المفاوضات، لا لشيء إلا لكسب الوقت، من أجل تجهيز جيش قوى ولو حتى باستجلاب المرتزقة [2].

في سنة ٢١٨ – ٢١٩ حدثت المفاوضات بين الجانبين المتحاربين في أنطاكية، حاول خلالها البطالمة العمل على إطالة تلك المفاوضات، لأسباب تكتيكية عسكرية، وفي خلال المفاوضات أصر أنطيوخس على أحقية أسرتهُ الحاكمة بملكية جوف سورية، وكذلك فعل الجانب البطلمي الذي اتخذ من عامل الزمن ذريعة ليبرر أحقيتهُ في تملك جوف سورية بعد مرور اثنين وثمانين سنة، وعندما أدرك أنطيوخس مساعي البطالمة أمر بقطع المفاوضات، وقام باستدعاء قواته سنة ٢١٨ لاستكمال تحرير جوف سورية بغزوها من البر والبحر [3].

---

(١) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠١.

وقد وصف لنا **مفيد العابد** تفاصيل ذلك الصراع بشكل مفصل معتمداً على كتابات المؤرخين القدماء أمثال **بوليبيوس** (١).

وإذا عدنا إلى تتبع قصة الصراع الدامي بين الدولتين مصر وسورية لوجدنا أن أهم وأخطر المعارك بينهما كانت معركة رفح عام ٢١٧ ق.م، التي مثلت آخر انتصارات للقوات البطلمية على القوات السلوقية التي سجلها لنا التاريخ، كما كانت فاتحة لكل ما تلا من ثورات محلية للعناصر الوطنية المصرية في مشوار كفاحها ضد البطالمة بعد أن زاد إحساسهم بضرورة المساواة في كل شيء مع بقية العناصر الأجنبية على أرض مصر، ولاسيما اليونانيين (٢).

ومع ذلك استمر الصراع بين البطالمة والسلوقيين مدة كبيرة (*)، حتى تفرغت روما لأمر هذا الصراع فأصبحت تؤدي الدور الأساس في رسم خارطة السياسة العالمية القديمة في تلك المناطق ومما يعزو تأخر روما في التدخل أمران هامان هما :

١- إنشغال روما بحربها البونية الأولى مع قرطاجة طيلة المدة الواقعة بين ٢٦٤- ٢٤١ ق.م، وعليه لم نحس بوجودها في الشرق القديم آنذاك.

٢ – انتقلت روما بمجرد خروجها منتصرة على قرطاجة؛ وذلك بفضل التكتيكُ المضاد في معركة زاما عام ٢٠٢ ق.م في الحرب البونية الثانية، إلى حركتها، من الدبلوماسية إلى الفعل العسكري المباشر والمساندة الحربية السافرة إلى جانب بعضهم ضد الآخر في صراع المنطقة وأصبحت بذلك منذ مطلع القرن الثاني ق.م سيدة العالم القديم كله بلا منازع (٣).

---

(١) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين، المرجع السابق، ص ص ١٠١ – ١٠٣.

(2) Polybio 5. V. 107.L.C.L.

(*) للمزيد من المعلومات عن الصراع البطلمي السلوقي، انظر، أحمد علي إسماعيل علي، المرجع السابق، ص٣٢٢- ٣٤٠؛

F. W - Walbank. Journal Of Egyption Archaeology XXII (1936). P. 20؛

E . Bikenman.. chronigue d' Egypte, XXIX (1940).P.124 FF؛

T. C . Skeat. The Reigns Of the ptolemies, 1954.P.32.

(3) A.R . Burn.. the pelican History Of Greece, England. 1965 (Rep 1979). PP. 379- 380.

ظهرت روما في القرن الثاني بمنطقة حوض البحر المتوسط في الشرق كقوة، بينما كانت تتضاءل مملكة البطالمة؛ بسبب استيلاء سورية ومقدونيا على أملاكها وساعدها في ذلك الاضطرابات الداخليه في مصر ، ونجد أيضاً أن روما رغم قوتها قد تركت سورية ومقدونية يتقاسمان مملكة البطالمة.

حدثت أيضاً العديد من الاتفاقيات بين روما والعديد من الدول، ولكنه لم يكن لمصر موقف من كل هذه الاتفاقيات، بل كانت كل الدول تقوم بدورها، وتفعل ما تريد من حروب دون وضع مصر في الحسبان مما يدل على أن مصر كانت قد بلغت درجة من الضعف الشديد ،حتى إنها حين عرضت المساعدة على روما ضد أنطيوخس الثالث عام ١٩١ ق.م رفضت روما مساعداتها وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى الضعف الذي وصلت إليه مصر في هذه المرحلة. ولهذا طلب الرومان من أنطيوخس الثالث عند مقابلتهم إياه في لوسيماخية عام ١٩٦ق.م أن يترك أملاك بطليموس التي استولى عليها [١].

وعن علاقات الزواج التي تربط مصر بالخارج، ولاسيّما مع السلوقيين والمقدونيين، فقد كانت كثيرة جداً والغريب في الأمر هو أن مصر هي التي بدأت في عرض ذلك الطلب حيث إنها كانت تبحث عن أي دولة قوية ذات شأن كبير تستند إليها في ظل ضعفها وانهيارها.

وعندما اعتلى بطليموس الخامس عرش مصر، بدأت سورية ومقدونيا في الاستيلاء على أملاكه؛ ولذلك حاول الأوصياء على العرش تقوية نفوذ الدولة البطلمية ضد سورية؛ وذلك بعرض المصاهرة على ملك مقدونيةا، وعندما فشل مشروعهم حاولوا رد خطر أنطيوخس بمصاهرته وقبول عرضه بالزواج ليأمنوا شره، فلا يهاجم مصر بعد أن أصبحت ابنته تتربع على عرشها [٢].

ومن المتحمل أن أنطيوخس الثالث اتبع هذا الأسلوب عندما رأى انتصار روما على مقدونيا عام ١٩٧ ق.م في موقعة كيلوسكفلاى (Kelosekfly)، وتوقع أن صراعه مع الرومان محتوم، لذلك حاول إنهاء خلافاته في الشرق؛ لأن ارتباطه بتلك الممالك معناه أنه حتى إذا لم يقدموا له العون ضد روما، فسوف يكونوا طرفاً محايداً، وبذلك يستطيع أن يتفرغ لحربه ضد روما [٣].

---

(1) S. Reinch, Repertoire de la statuaire Grecque et Romanine, Tome II. VolII, Paris, 1998. P. 271.

(٢) منيرة محمد الهمشري، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٦.

وهناك حادثة توضح أن أنطيوخس قدم عرض المصاهرة لكي يجري له الاستيلاء على مصر عندما تتاح له الفرصة، وهذا يظهر جلياً عندما جاء خبر من الخارج أن بطليموس الرابع قد توفي وهو خبر كاذب، فتحرك أنطيوخس للاستيلاء على عرش مصر أثناء تغير الحكم. وهذا ما يوضح أن أنطيوخس الثالث إذا سنحت لهُ فرصة الاستيلاء على عرش مصر، لما تأخر فيها رغم تحذيرات روما له بعدم التعرض والمساس بممتلكات مصر [1].

ومن هنا يمكن القول بأن علاقات مصر مع السلوقين والرومان كانت بين المد والجزر أو الشد والارتخاء حيث كانت تبدو حميمية في ظاهرها في بعض الوقت وفي الوقت الآخر تبدو مصر مستهدفة وبصورة مباشرة، وهذا ما يمكن الإشارة إليه في هذه العلاقةالتي اعتمدت في أساسها على علاقات المصاهرة، وعلى قوة الطرف الآخر أمام كلٍّ منهم . فمثلاً نجد أن العلاقة بمصر، لم تقم على أساس قوة مصر؛ لأن مصر كانت تظهر في الساحة بالمظهر والموقف الضعيف؛ نتيجة لما كان يحدث من ملوكها في وقتها، ولكن كانت معظم القوى تريد أن تجعلها تظهر بالموقف المحايد، وتجعلها مهمشة غير فعّالة وإن كانت تملك قوة ضئيلة، ومن هنا يتفرغ كلّ منهم إلى الآخر دون النظر إلى أهمية البلاد الأخرى التي قاموا بتهميش دورها من قبل .

(١) أبو اليسر فرح ،المرجع السابق،ص ٥٦.

رابعاً: برقة في ظل الحكم البطلمي

وجد البطالمة في برقة أربع مدن، وهي قوريني وبرقة وتوخيرا (Tokera) ويوسبيريدس (Usperedes)(بنغازي الحالية) ، وقال **جونس (Jones)** أن كلاً من الفيلسوف أكديموس (Akademus) وديموفانس (Demofans)، قد جعلا من مدينة قوريني مدينة قائمة بذاتها وخلعا عليها ذلك الاسم الذي عرفت به بعد ذلك وهو اسم ابوللونيا (Apollonia)، وكانت قبل العصر البطلمي ،لا تزال تعرف باسم قوريني؛ أي أنها كانت لا تزال من الناحية السياسية جزءاً من برقة. (١)

وفي برقة غيَّر بطليموس أسماء مدنها فتحول اسم يوسبيريدس إلى برينيكي (Prenike)،واسم توخيرا إلى ارسنوى (Arsinoe)، وأطلق اسم بطوليميس (Ptolemis) على ميناء برقة، بل حلت محل برقة .وضُمّت مدينة ابولونيا إليها حتى أصبحت مدن برقة تتكون من خمس مدن وليست أربع فقط (٢).

وعلى أية حال إن عودة الحكم البطلمي إلى قوريني على يد بطليموس الثالث، وضع نهاية لاتحاد مدن برقة، ولا نستطيع بعد ذلك أن نتبين كيف كانت علاقة الملوك البطالمة ببعضهم، ولاسّيما بعد المرحلة التي أصبح فيها بطليموس الأخ الأصغر لبطليموس السادس ملك مصر، والذي سيتولى ملك مصر فيما بعد باسم بطليموس الثامن، ملكاً على برقة، والمرحلة التي كان فيها ابنه غير الشرعي بطليموس أبيون (Apion) ملكاً عليها أيضاً (٣).

ظلت منطقة برقة تابعة لحكم البطالمة حتى عهد بطليموس أبيون Apion الأب غير الشرعي لبطليموس السابع، وقد ورث أبيون منطقة برقة بناء على وصية والده وحكمها منذ ١١٦ ق.م، حتى أوصى بها لروما قبيل وفاته دون وريث سنة ٩٦ ق.م. وكانت المنطقة التي ورثتها روما عن بطليموس أبيون تشمل الأراضي الواقعة بين بحر كتابتمو الكبير (Gran Catabatmo)، وهو خليج السلوم في الشرق، ونصب الأخوين فليني (Fllini) على خليج سرت الكبير في الغرب وتنتهي قرب (مقاطع الكبريت) عند ذلك الخليج (٤).

---

(١) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩٣.

(٣) مصطفى كمال عبد العليم،دراسات فى تاريخ ليبيا القديم ،منشورات الجامعة الليبية ، ١٩٦٦، ص ١٦٨.

(4) Romanelli,PietroLa Cirenaice Romana(96 a.c-642d.c),Centro Italiano di studi Mediterranei,A.Airoldi-Editore,1943,-XXI,p27.

إن المعلومات التي لدينا عن برقة بين سنة ٩٦ق.م وسنة ٧٥ق.م ،ليست كثيرة ولكننا نعرف أن مجلس الشيوخ الروماني اكتفى في بداية الأمر بوضع يده على الأراضي الملكية في برقة، بينما عدّ المدن الإغريقية في تلك المنطقة كحليفات لروما، فترك لها حرية التصرف في شؤونها .

مع العلم أن برقة كان سكانها خليطاً من الأجناس ، ففي المدن كان إلى جانب الإغريق، سكان غير إغريق يتكونون في معظمهم من العرب، وكثير من الأجانب الآخرين، ومن خارج المدن سكان الريف يتكونون من أهل البلاد الأصليين من الليبيين والجند المرتزقة الذين كانوا قد سكنوا هناك، باعتبارهم أرباباً للإقطاعيات العسكرية، وكان معظم سكان الريف يشتغلون بالزراعة في المزارع الملكية وأراضي المدن التي كانت قد تركت للسكان الأصليين، وقد أدت هذه التركيبة البشرية إلى نشوب نزاع بين السكان الأصليين والمحتكرين الإغريق [١].

وكانت برقة في العصر الهلنستي ذات أهمية اقتصادية كبيرة، إذ أُعتبرت إحدى صوامع الحبوب في العالم القديم، وقد قيل إن قورينا أرسلت هدية مقدارها ٨٠٠,٠٠٠ ميدمنوس(*) *من الحبوب للمدن الإغريقية في بلاد اليونان الأم، أثناء المجاعة التي حلت بها. عامي ٣٣٠- ٣٢٦ ق.م. وقد ذُكر الكثير عن صوف برقة وتربية سكانها للخيول ونباتها الطبي السلفيوم (Silphium) الشهير الذي كان يحتكره ملوك أسرة باتوس ومن بعدهم ملوك البطالمة* [٢].

من المعروف جيداً أن قورينائية أسهمت إسهاماً كبيراً في الحياة الفكرية الإغريقية، ولاسيّما في القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك بفضل فلاسفتها ورياضييها، وقد نشأت في قورنيائية المدرسة الفلسفية المعروفة باسم (القرنائيون) (Cyrenaics)(**)*، كذلك لا يمكن إغفال دور كلٍّ من كاليماخوس (Kalomakhos) وإراتوشيش (Eratocec) اللذين نزحا من برقة إلى الإسكندرية؛ لإثراء العلوم الإسكندرية. وقد جرى الحفاظ على النظام الإغريقي للتعليم في برقة كما*

---

(1) F. M. Snowder. London, 1976. P. 187- 212.

(*) الميدمنوس – وحدة قياس وزن تساوي ثلاث كيلات ، أنظر، جين أفريك ، تاريخ إفريقيا العام ،م ٢ ، حضارات إفريقيا القديمة، ١٩٨٥، ص ٢٠١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٢.

(**) القرنائيون : هي مدرسة سقراطية بشكل مصغر ، أسسها (أرستبوس) نحو ٤٠٠-٣٦٠ ق.م حفيد أرستبوس الذي كان صديقاً لسقراط ، انظر ،Strabon – XVII - 1- 8.

هو الحال في كل المدن الإغريقية داخل اليونان أو خارجها ، كذلك تمازجت الفنون اليونانية بالبرقاوية بالفن السكندري وكذلك الديانة، فقد شقت عبادة الملوك البطالمة طريقها إلى برقة، وهو ما نلمسهُ في العدد الكبير من النقوش المهداة للملوك البطالمة، كما أخذت برقة بعبادة سرابيس (**شكل ٢٤**)، وقد وجدت تماثيل لإيزيس (**شكل ٢٥**) وأوزريس (**شكل ٢٦**) في قورينا وبطوليس [١].

والكثير مما قيل عن برقة الهلينستية لا يمس سوى الإغريق، إذ إن المعلومات الخاصة بالسكان الليبيين، ومدى تأثرهم بالحضارة الهلينستية نادرة ومن الصعب العثور عليها، ونحن نعلم أن سكان البلاد الأصليين، لم يرحبوا بوجود الإغريق بعد أن جرى طردهم من الأراضي الساحلية الخصبة واحتوائهم في الداخل، ورغم ذلك فالحضارة الهلنستية تدين كثيراً لهذه المنطقة الواقعة في شمالي إفريقيا التي مكنتها من النمو والازدهار مدة ثلاثة قرون [٢]. ويخبرنا **بليني** (**Pllini**) أن أول شحنة من نبات السلفيوم وصلت من برقة بعد وفات أبيون بثلاثة سنوات، أي سنة ٩٣ق.م، وأنها كانت عبارة عن إنتاج الحقول الملكية. [٣]

ولما كانت برقة مثلها مثل المدن الإغريقة لا تستطيع حفظ أمنها واستقرارها بسبب الضعف والاضطراب وقعت فريسة للفوضى وأعمال الشغب. وفي ظل هذا الموقف المضطرب قررت روما ضم المنطقة العليا فعينت لها حاكماً رومانياً أول مرة سنة ٧٥ ق.م، وباشر هذا الحاكم سلطاته وكان اسمه كرنيليولونتولو مارسلينو(Cornelio Lentulo Marcellino) وذلك في عام ٧٤ق.م وعلى الرغم من ذلك الإجراء الروماني فإن قورينة تكبدت خسائر اقتصادية فادحة في القرن الأول ق.م؛ نتيجة القرصنة من ناحية ومن غزوات قبائل المارمايداي (Marmadai) من ناحية أخرى، ثم نتيجة الحروب الرومانية الأهلية، ولم تبدأ تنتعش إلا منذ عهد أوغسطس،ويدل أحد نقوش الحمامات الكبرى في هذه المدينة على أنها تلقت معونات في أواخر القرن الأول الميلادي . ولا شك أن هذه المدينة

---

(1) Strabon – XVII - 1- 8.

(٢) جين أفريك ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦.

(٣) بوفيل روبن هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر، الهادي بولقمة ومحمد عزيز، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨، ص ص ١٩ – ٢٢. نقلاً عن بليني.

بدأت تنتعش بعد ذلك فنحن نسمع أن أحد أبنائها كان عضواً في مجلس الشيوخ الروماني في أوائل القرن الميلادي الثاني .[1]

أما عن سبب عدول روما عن موقفها الأول من مدينة برقة الإغريقية واتخاذها قراراً بضمها إلى أملاكها سنة ٧٥ ق.م، فإن روما قد بررت ذلك متحججة بأن تلك المدن كانت بحاجة إلى حكومة أقل طموحاً من حكوماتها القائمة آنذاك، وبسبب نشوب الحروب الأهلية في قورينائية، وهي حرب تدل المصادر الأخرى على أنها لم تكن الحرب الأهلية الأولى والأخيرة منذ عام ٦٦ ق.م [2].

وقد اختلف المؤرخون عن أسباب ضم روما لبرقة، فقال بعضهم أنه حدث تحت ضغط رجال الأعمال الرومان الذين كانوا في برقة، وقال آخرون بل لأن روما أرادت أن تقفل جميع شواطئ البحر المتوسط في وجه القراصنة الذين تمكن بومبى (Pompi) من هزيمتهم وسحقهم في صيف عام ٦٩ق.م [3] .

وعلى الرغم من أن برقة كانت تابعة لحكم الشيوخ الرومان إلا أنها كانت عرضة لكثير من غارات القبائل الليبية، وهناك إثباتات تدل على أن برقة كان لها حرس حدود روماني بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد ، ولكن يبدو أن ذلك الحرس كان قليلاً، مما حمل الرومان على إرسال مزيد من القوات التعزيزية لحماية برقة [4] .

---

(١) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣.

(٢) علي فهمي خشيم ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣.

(3) Romanelli, Pietrola, op. cit. P. 38.

(٤) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥.

خامساً : مصر ولاية رومانية

عندما استحكم الصراع بين أفراد أسرة البطالمة ، أخذ النفوذ الروماني وكما أسلفنا يتغلغل في مصر بالتدريج حتى أصبح البطالمة لا يعترفون إلا باستقلال صوري ، ولم تكد كليوبترا السابعة ترتقي عرش مصر عام ٥١ ق.م حتى أصبح يوليوس قيصر أقوى شخصية في العالم الروماني، فاستهوتهُ؛ ليتزوجها، وتتربع معهُ على عرش الإمبراطورية الرومانية،كما مر معنا سابقًا، إلا أن الرومان المتمسكين بالنظام الجمهوري لم يرضوا أن يتحول نظامهم إلى ملكي، فأجهزوا على قيصر وأجهزوا بذلك على آمال كليوبترا، التي أحيت آمالها بعد انتصار أعوان قيصر على خصومه، واقتسام العالم الروماني بين أوكتافيوس وأنطونيوس، ووقوع الأخير أسير هواها. فتزوج منها ووزع عليها، وعلى أبنائها منهُ ومن قيصر النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، لكن ذلك لم يشبع غرور كليوبترا، فرنت ببصرها إلى الجزء الغربي أيضاً في وقت احتدم فيه الصراع بين أوكتافيوس وأنطونيوس، فكانت تذكي روح العداوة بينهما، لتخلص لها الإمبراطورية بأكملها، وفي معركة أكتيوم ٣١ ق.م انتصر أوكتافيوس على انطونيوس وكليوبترا، فضم مصر إلى أرجاء الإمبراطورية الرومانية عام ٣٠ ق.م، وأصبحت مصر تتميز بمركزها الفريد بين ولايات الإمبراطورية الرومانية، بسبب موقعها الإستراتيجي ووفرة مواردها التي كانت تسد حاجة الشعب الروماني من الحبوب وامتلاء خزائن روما بالأموال، فوضعت مصر تحت إشراف الإمبراطور مباشرة، وأقيم عليها حاكم عام من طبقة الفرسان، يحمل لقباً لم يحمل مثلهُ حاكم أي ولاية أخرى وهو لقب برايفكتوس (Praefectus) بمعنى والٍ أو حاكم عام، وتقرر ألا يتقلد رجال السناتو مناصب إدارية في مصر بل حظر عليهم زيارتها دون استئذان الإمبراطور ، فظلت هذه القاعدة متبعة إلى أن اضمحلت أهمية مصر في القرن الثالث الميلادي ولم تعد المصدر الرئيس لقمح روما [1].

اعتمد الرومان في توطيد سلطانهم في مصر على القوة فأقاموا حاميات عسكرية في الأماكن الرئيسة، تمكنهم من السيطرة على جميع أنحاء البلاد، ورأى الرومان في إخضاع الإسكندرية أكبر ضمان لإخضاع مصر، وكان يعيش فيها أكبر مجموعة من الإغريق، فوضعوا بالقرب منها حامية كبيرة وطبقوا على الإغريق مبدأهم المعروف فرق تسد. فسرعان ما دب الشقاق بين إغريق

(١) سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦، ص ص ٦٢- ٦٨.

الإسكندرية، واشتد هذا الصراع في عهد كاليجولا (Kalegola) سنة ٣٧- ٤١م. ونيرون (Neron) سنة٥٤- ٦٨م وتراجان(Trajan) سنة ٩٨- ١١٧م، وراح جراء ذلك الصراع أعداد كبيرة من الإغريق [١].

ولم يترتب على دخول مصر حظيرة الإمبراطورية الرومانية تغيرات هامة في إدارة البلاد، لأن سياسة الرومان بوجه عام في فتوحاتهم في الشرق، اقتضت تجنب التدخل ما أمكن في نظم البلاد، التي تتمتع بإدارة منظمة، ولذلك اتبع الرومان مدة ثلاثة قرون تقريباً، النظام الذي يرجع إلى عهد الفراعنة، وأتبعهُ البطالمة، اللهم إلا إذا استثنينا بعض التعديلات، التي اقتضتها الحاجة إليها، وقد ابقى الرومان طوال الشطر الأول من حكمهم نظام تقسيم البلاد إلى مديريات على رأس كل منها قائد. لكن لما كان همهم الأول هو إقامة حكومة قوية، فإنهم لم يكتفوا بأن يجعلوا الحاكم العام المهيمن على جميع شؤون البلاد الإدارية والمالية والقضائية والحربية تحت إشراف الإمبراطور مباشرة، بل عملوا على تيسير سيطرة السلطة المركزية على مختلف أرجاء البلاد ، فقسموا مصر إلى ثلاثة أقسام رئيسة: هي الدلتا ومصر الوسطى ومصر العليا، وأقاموا على كل قسم منها حاكماً رومانياً يدعى إيستراتيجوس (Estrategos) وكان الإمبراطور هو الذي يعينهُ إلا أنهُ كان يخضع للحاكم العام ويستمد منهُ معظم سلطته [٢].

يقول **أغسطس** (**Augustus**) في الوثيقة الشهيرة التي سجل عليها أهم أعماله المجيدة ،والمعروفة باسم (Res Gestae) (**لقد ضمت مصر إلى ممتلكات الشعب الروماني**)[٣]، وقد جادل بعض العلماء في هذه المقولة؛ لأن مصر في زعمهم لم تكن أبداً ولاية رومانية بالمعنى الصحيح، وإنما كانت ملكاً خاصاً للإمبراطور، ولكن في الحقيقة أن مصر كانت ولاية رومانية ، وأن الحكومة

---

(1) E. V. Breccia, Terracotte Figurate Greche EGrece – Egizied Museodi Alessandria, Monumehts de L'Egypte Greco – Romaine II. 1. 1930. PP. 59-69.

(٢) محمود إبراهيم السعدني ، حضارة الرومان، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٨. ص ص ١٧١-١٧٥.

(٣) هـ . ايدرس بل ، مصر من الإسكندر الاكبر حتى الفتح العربي، تر عبد اللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣، ،ص٩١. وللمزيد من المعلومات عن تاريخ مصر القديم في عهد الرومان، انظر، آمال محمد الروبي، مصر في عصر الرومان، دراسة سياسية- اقتصادية- اجتماعية في ضوء الوثائق التاريخية، ٣٠ ق.م – ٢٤٨م. دار البيان العربي، جدة، ط٢، ١٩٨٤، ص ص١١- ٦٦.

الرومانية كانت تستخدم مصطلحاً يسمى بالحكومة الثنائية، فلم يكن أوكتافيوس إمبراطوراً مطلق السلطة، وإنما كان بمنزلة المواطن الأول في الجمهورية، وقد وزعت السلطة بينه وبين مجلس الشيوخ.

ومما يلاحظ أن مصر دخلت في عهد جديد يختلف عمّا قبله من العصر البطلمي ،حيث بدأت الدولة الرومانية شيئاً فشيئاً تتدخل في شؤون مصر الداخلية ومنه أيضاً في تحديد علاقات مصر الخارجية ومنه إلى التحكم بها، وهذا يقتضي علينا أن نشير إلى أن مصر قد تعرضت إلى عديد من العهود والحكام من مختلف الدول القوية؛ مما أكسبها العديد من الحضارات ،ومن أهمها ما نراه في الإسكندرية من حضارات رومانية وبطليمية وفرعونية وغيرها [1].

وهكذا كانت مصر من قديم الأزل محط أنظار العالم سواء كانت في مراحل ضعفها أم قوتها ،وسواء كانت في تقدمها أم تأخرها ، ولكن الاختلاف يأتي من خلال قيمة أهمية مصر بين دول العالم، حيث يلاحظ أنها في مراحل قوتها يكون لها ولحاكمها كلمة مسموعة بين الدول، أما في مراحل ضعفها تقسم وتختار كما لو كانت وليمة ويقومون بتقطيعها، ولذلك دائماً ما يأتي بعد عهود الضعف والانحلال، عهود أخرى تنقذ مصر من الضلال والاحتلال. والسؤال هنا كيف تعاملت مصر مع الحضارة الهلينستية وما مدى تأثير وتأثر مصر بتلك الحضارة وتداعياتها على الحضارة المصرية؟ وهذا ما سيجري تناوله في الفصل الرابع والأخير.

(١) حسين الشيخ، العصر الهلينستي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٣٠.

الفصل الرابع

مصر والحضارة الهلينستية
(الآثار الحضارية)

- أولاً– معالم النظم والحضارة المصرية في العصر الهلينستى
  - ١– تكوين المجتمع .
  - ٢– النظم الاقتصادية .
  - ٣– الحياة الثقافية والدينية.
- ثانياً– ايجابيات العصر الهلينستى وخصائصهُ.
- ثالثاً– سلبيات العصر الهلينستى .

نبذة من العصر الهلينستي

يعدّ موت الإسكندر بداية العصر الذي اتفق المؤرخون على تسميته بالعصر الهلينستي في العالم الإغريقي. ولما كان تاريخ مصر منذ الغزو المقدوني قد أصبح يتصل اتصالاً وثيقًا بالعالم الإغريقي، فإن عهد البطالمة ينتمي إلى العصر الهلينستي الذي انتهى بموقعة أكتيوم في عام ٣١ ق.م، وهي التي بسط الرومان بعدها سلطانهم على مصر، وكانت آخر مملكة هلينستية لا تزال مستقلة، ولو اسميًا. ولما كانت معالم هذا العصر قد بدأت قبل وفاة الإسكندر واستمرت في البقاء إلى ما بعد أغسطس، فإنه يتبين لنا أن هذين التاريخين ليسا سوى اصطلاح اتفق عليه المؤرخون، لكن هذين التاريخين ينمان عن حقيقتين: إحداهما هي أن أعمال الإسكندر تكشفت عن نتائج غيرت وجه العالم فلم يعد كل شيء على حالته السابقة. والحقيقة الأخرى هي أنه بعد خضوع العالم الهلينستي لروما، وتدهوره مع تدهور الإمبراطورية الرومانية خلال حروب روما الأهلية، أعيد بناؤه ثانية مع الإمبراطورية الرومانية على قواعد جديدة، ومن ثم بدأت الحضارة الإغريقية الرومانية. [1]

ويختلف العلماء في تعريف العصر الهلينستي، فيرى بعضهم أنه عصر حضارة جديدة تتكون من عناصر إغريقية وشرقية، ويرى بعضهم أنه عصر انتشار الحضارة الإغريقية بين الشرقيين، ويرى بعضهم أنه لا يتعد استمرار الحضارة الهلينية القديمة على أسسها السالفة. في حين نرى أنه مزيج من ذلك كله؛ لأن كلاً من هذه الآراء يحتوي على قدر من الحقيقة، ففي هذا العصر استمرت الحضارة الهلينية القديمة على أسسها السالفة في جوهرها، لكن دخلتها بعض العناصر الشرقية، ولم تنتشر هذه الحضارة في ربوع الشرق فحسب بل إن مراكزها الرئيسة لم تعد في بلاد الإغريق القديمة، وإنما في عواصم الممالك الجديدة التي أنشأها خلفاء الإسكندر الأكبر على أنقاض الإمبراطورية المقدونية. فلا عجب إن وُصفت الحضارة الهلينستية بأنها حضارة ملكية، والحضارة الهلينية الكلاسيكية بأنها حضارة المدن الحرة. [2] ***(خريطة ٨)***

والجدير بالذكر أن هذا العام قد شهد أحداث موقعة أكتيوم، وهي الموقعة التي انتهت بانتصار أوكتافيانوس (اوغسطس) على انطونيوس وكليوباترا السابعة ملكة مصر آخر سلالة أسرة البطالمة في

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى ، دراسات فى العصر الهلينستى ، بيروت ،١٩٨٨، ص١٦.

(٢) رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ الإغريق وعلاقتهم بالوطن العربي، المرجع السابق، ص ١١٣.

مصر، وتلا هذا انتحار هذه الملكة، وسقوط دولة البطالمة في مصر، وتحول مصر إلى ولاية رومانية . ويرى **تارن** (**Tarn**) *أن هذه الحدود هي مجرد تحديد وضعي بحت؛ لأن مظاهر الروح الهلينستية كانت قد أخذت في الظهور قبل عصر الإسكندر، كما أن أوغسطس لا يمثل في كثير من النواحي فاصلاً حقيقاً بين العهدين* [(١)]، *وربما يصدق قول تارن من الناحية الحضارية إن الرومان قد شجعوا على استمرار الأخذ بنهج الإغريق في كثير من المظاهر، ومن ثّم استمرت الكثير من مظاهر الحضارة الإغريقية في صورتها التي تطورت بها خلال العصر الهلينستي. أما من الناحية السياسية، فإن عصر أوغسطس يمثل بداية لتغيرات بعيدة المدى .فقد أفلت شمس الممالك الهلينستية، وسطعت شمس الإمبراطورية الرومانية التي بسطت سيطرتها على مساحات شاسعه من المعمورة* [(٢)].

وكلمة هلينستى (Helenesti) هي لفظة حديثة استخدمها العلماء؛ لتمييز هذا العصر عن العصر السابق عليه، أي العصر الهللينى (Heleni) الذي سادت فيه الحضارة الإغريقة الكلاسيكية، وترجع بداية استخدام هذا المسطلح إلى أوائل القرن التاسع عشر [(٣)].

كان العصر الجديد الذي افتتحه الإسكندر عصر انفتاح بين الشرق والغرب، توافرت فيه فرص التداخل بين المقومات الحضارية التي ينطوي عليها كل من الجانبين، وقد اتفق الغربيون على تسمية هذا العصر الجديد الذي تداخلت فيه العناصر الحضارية الشرقية والغربية لتشكيل حضارة من نوع جديد باسم العصر الهلينستي، وهى التسمية التي أطلقها المؤرخ الألماني ***يوهان درويسن*** *(**Johann Droysen**) في أواخر النصف الأول من القرن الماضي ليميز بها الحضارة الجديدة عن الحضارة اليونانية أو الإغريقية الكلاسيكية التي عاصرها العالم المتحضر في مرحلة نضجها في القرنين الخامس والرابع ق.م والتي عرفت باسم الحضارة الهلينية* [(٤)]. *ومن الظاهر أن هذا العصر الجديد -إذا كان الاتجاه الشرقي قد مثل جزءاً من حضاراته- أكد وجوده وتفوقه في الملكيات التي قامت على*

---

(١) و . و. تارن، الحضارة الهلينستية ، ترجمة، زكى على ، القاهرة ، ١٩٦٦، ص٣.

(٢) أبو اليسر فرح، الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٣٨.

(3) GrantM;op.cit.intrel.p.Xii;C;Le mondebellenistique L.3ed,Paris,1989.pp.7ff;
أبو اليسر فرح، الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، المرجع السابق، ص ٣٩.

(٤) لطفي عبد الوهاب يحيى ، دراسات فى العصر الهلينستي ،المرجع السابق،ص ١٦.

شواطئ القسم الشرقي للبحر المتوسط، فالقسم الغربي لا يزال سائداً في بقية المناطق، حيث يصبح اتجاه الاستشراق فيها أمراً غير وارد ،ومن هنا تصبح القضية التي تخص المنطقة التي طُبعت بحضارة العصر الجديد قضية تغلب على المقومات الشرقية، أو المقومات الإغريقية بوجه عام [1].

وعلى الرغم من أن العصر الهلينستي يلي العصر الكلاسيكي إلا أنه يجب ألاّ ننظر إليه على أنه مجرد ملحق لذلك العصر السابق، حيث إنه عصر تميز بسمات خاصة عن ما قبله من العصور وهو ما سنجده في العناصر القادمة. ولعل مرد خصوبة العصر الهللينستي – كما يذكر ***أبو اليسر فرح*** *– إلى أن إمبراطورية الإسكندرية كانت هي البوتقة التي انصهرت فيها الحضارة الإغريقية مع الحضارات الشرقية، ويضيف ذات الباحث أنهُ لا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن أن الحضارة الإغريقية، قد ذابت في خضم الحضارات الشرقية، أو أن الحضارة الإغريقية التهمت الحضارات الشرقية، واستطاعت أن تمسخهها، ولكن الحقيقة انهُ على الرغم مما هو معروف من أن المغلوب مولوع بتقليد الغالب فإن العكس هو الذي حدث، ذلك ان الإسكندر كان محباً للحضارات الشرقية وكان يرى أن الشرقيين جديرون بالإعجاب، وربما شايعهُ الكثيرون من قومه في هذا الاتجاه، ومن ثم فقد شهر عصر الإسكندر مولد حضارة جديدة، ذات شخصية مستقلة، ليست شرقية أو غربية الطبع، بل عالمية الطابع، لأنها جمعت أفضل ما في هذين العالمين* [2].

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى ، دراسات في العصر الهلينستي، المرجع السابق ، ص٣٣.

(٢) أبو اليسر فرح، الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، المرجع السابق، ص٣٩.

أولاً : معالم النظم والحضارة المصرية في العصر الهلينستي

وهنا يمكن لنا أن نتناول أهم المعالم التي ظهرت في مصر في العصر الهلينستي، ومدى تأثرها بـــه، فقد جعل هذا العصر تتلون بلون جديد تظهر من خلاله مشرقة على العالم وعلى كل الحضارات الـــتي ظهرت في ذلك الوقت؛ ولذلك يتعين علينا أن ننظر إلى هذه المعالم من أهم جوانبها وأعمالها بواســـطة العديد من المحاور وهى :-

١- تكوين المجتمع

قبل أن ندخل في مجال تكوين المجتمع المصري في مصر القديمة يجدر بنا أن نعطي لمحة عامـــة ممّـــا كانت عليه ولايات الإسكندر خارج مقدونية وبلاد اليونان عامة ومصر واحدة منها وما كان قوامهـــا ونظمها ، *فقد كانت تؤسس على رقعة من الأرض خاصة بالملك، وكان يراعى في تأسيسها أن يكون قوامها جالية يونانية، ويحتمل أنها كانت تشتمل على جاليات أخرى عنصرية، مثـــل جاليـــة التـــراقيين وجالية الفرس وغيرهم، وكل واحدة من تلك الجاليات أو العصبيات كانت متمتعة بقسط من الحقـــوق الشبيهة بالحرية الذاتية، ويحتمل أنها كانت تضم كذلك فئة قليلة من المقـــدونيين المتمـــتعين بـــالحقوق والامتيازات، ونفراً من الأهالي المحليين وكانت الجالية اليونانية أعظمها بكثير، فقد كان أفرادهـــا هـــم المواطنون المتمتعون بالحقوق المدنية، والنظام الإسكندري كان يقضي بإنشاء موظفين من طراز يونـــاني، ويُعين الواجبات والأعباء المفروضة عليهم، وكان من المقرر على هؤلاء أن يعملوا لما فيه صالح المدينـــة كلها، فمثلاً كان يتعين على موظفي البلدية المعروفين باسم (Astynomoi) أن يسهروا للعناية بجميع الشوارع، بصرف النظر عن جنسية أصحاب العقارات والمساكن المطلة عليها، ويبدو من الأمور المحتملة أنهُ لم يكن هناك لا مجلس شورى (Council) ولا جمعية عمومية، ولكن كانت هناك محاكم قضائية يونانية متمتعة بالحكم الذاتي يجري فيها بعيداً عن الملك تطبيق مجموعة من القوانين الخاصة المؤلفة مـــن مراسيم ملكية، وبعض قوانين المدنية نفسها، وهذه الأخيرة جاءت عن قوانين إحدى المدن اليونانية ذات الصدارة ، أو جاء مقتبساً منها، وقد تكون هذه القوانين وضعت مـــن قبـــل لجنـــة مـــن المـــشرعين (Nomographi) عينت لهذا الغرض بناءً على إشارة الإسكندر، والأمر الجدير بالعنايـــة هـــو أن السكان جميعاً كانوا في الواقع رعايا خاضعين لا لمراسيم الملك فحسب، بل كـــانوا في أغلـــب الظـــن*

خاضعين كذلك لقانون المدينة، وهذا من حيث المبدأ قانون شخصي يجري تطبيقهُ على المواطنين الأحرار، ولعل هدف الإسكندر كان موجهاً إلى تطبيق القانون اليوناني، مؤثراً ذلك على منح الحقوق السياسية، على اعتبار أن يكون ذلك أحد الوسائل في توحيد هذه العناصر الخليطة من سكان المدينة والعمل على لم شملها، ويمكننا القول بأن المشرفين الماليين من قبل الإسكندر كانوا يُقطّعون أرض الممالك في آسيا للإيجار، طبقاً للقانون اليوناني [1].

إن الاختلاف بين المدينة اليونانية والمستعمرة العسكرية يظهر واضحاً جلياً من أن المدينة اليونانية كانت المالكة بصفة مطلقة لما يتبعها من أراضٍ ، بينما المستعمرة بقيت قطع الأراضي المخصصة لمستوطنيها خاصة بالملك الذي احتفظ بحق الأيلولة في إرثها ، وهذا الحق ظاهر في قانون الميراث الذي وضعه دورايوروبوس[2] *(Douraeurpus)* [*].

من أهم العلامات المميزة والبارزة في العصر الهلينستي إيمانه بدور المرأة الإغريقية في المجتمع ، حيث تمتعت بمكانة وأهمية كبيرة في هذا العصر، ويتضح هذا بصورة جلية من خلال المكانة التي حظيت بها الأميرات المقدونيات[3]*. واللاتي كن يقمن بجميع المهام التي يقوم بها الرجال في المجال السياسي، بل وفي قيادة الجيوش أيضاً، ومن الأمثلة البارزة في هذا أرسينوي الثانية زوجة بطليموس الثاني وكيلوباترا الثالثة وكيلوباترا السابعة، آخر مليكات الأسرة البطلمية* [4].

ومما لاشك فيه أن هذه الحرية التي تمتعت بها تلك الملكات ،صارت حافزاً للنساء الأخريات نحو مزيد من الانطلاق، ولاسيّما النساء اللاتي نلن قسطاً من التعليم، فعادت المرأة للظهور كشاعرة وأديبة، وأدت دوراً أكبر في الحياة الاجتماعية من خلال الأندية والجمعيات . وفي المقابل سنرى فيما بعد من

---

(١) و . و. تارن الإسكندر الأكبر ، المرجع السابق،ص ص٢٠٨- ٢٠٩.

(2) P.Kos chaker, Zeits, sav. Stiftung, Rom, Abt, Xlvi, P. 297.

(*) دورايوروبوس، شخصية يونانية عرف بتشريعاته القانونية، ولاسيّما الملكية منها، وقانون ملكية الأراضي في وثيقته ينظم حق الإرث في جميع أنصبة الأراضي، وذلك بصرف النظر عن الجنسية التي ينتمي إليها المستوطن، بالخصوص انظر B. Haussoullier , Rev. hist. du droit Francais et etranger, 1923, P. 515.

(٣) و . و. تارن ، الحضارة الهيلنستية، المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٤) عن الدور الذي أدته الملكات اللاتي حملن اسم كيلوباترا انظر:-

J;Whiteborne.,Cleopatras,London and New York.1994. p46

خلال طرح موضوع سلبيات الغزو المقدوني أن المرأة المصرية همشت و لم يكن لهـــا أي دور حـــضاري داخل المجتمع في العصر الهلينستي.

ومن علامات التوحد بين الشعوب في العصر الهلينستى انتشار ديانات بعينها بين شعوب هـــذا العالم، مثل عبادة الربة المصرية إيزيس (Ezies)، والإله سيرابيس Sarapis، والإله السوري أدونـــيس (Adonies)، والإله الفارسي ميثرا (Methra).كما وجد الإغريق في تراث الشرق الفلسفي ضالته المنشودة؛ لذا راجت الأفكار التي تبشر بالمحبة، وتحقيق السكينة للنفس البشرية [(١)].

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نفهم حقيقة العصر الهلينستي دون التعرف على الدور الذي قامـــت به المدن فى هذا العصر .فعلى الرغم من أن الدور السياسي للمدن قد توارى ،وذلك بعد أن أصـــبحت الأهمية السياسية محورها الدول الكبرى، فإن الدور الأكبر أدته المدن التي أقيمت في العـــصر الهلينـــستي ،وحملت أسماء الملوك والملكات مثل مدن الإسكندرية وأنطاكية وسلوقيا وغيرها [(٢)]. *وقد شكلت هذه المدن مراكز الجذب الحضاري، ولاسّيماً مدينة الإسكندرية التي تعد فى ذلك الوقـــت عاصـــمة مـــصر الحضارية والتي تتميز بالعديد من المعالم نظراً لاختلاف الحضارات بها وتعدد الجهات الحاكمة لها* [(٣)] .

ومن ملامح العصر الهلينستي أيضاً انتشار النوادي الاجتماعية والجمعيات العلمية التي لا شأن لها بالسياسة، وأصبحت معاهد الجيمنازيوم (Gemnazum) ، وهي تمثل دار العلوم في تلك المرحلـــة ، من أهم مراكز العلم ، وهي معاهد لها وظائف اجتماعية ، وكان يرأس كل واحد منها شخص يتمتـــع بمكانة سامية في المجتمع [(٤)].

شهد العصر الهلينستي ظهور نظم سياسية وأحوال اجتماعية وظـــروف اقتـــصادية ومظـــاهر حضارية جديدة؛ نتيجة لفتوحات الإسكندر الأكبر ٣٣٤-٣٣٢ ق.م. التي غيرت القـــوى وغـــيرت الأوضاع تغييراً جذرياً ، وفتحت آفاقاً جديدة، والحق أن تأثير هذه الفتوحات لم يكـــن عـــسكرياً أو اقتصادياً بقدر ما كان حضارياً، وفُتح باب الشرق على مصراعيه أمام الإغريق الذين تـــدفقوا عليـــه ،

---

(١) أبو اليسر فرح ،المرجع السابق،ص٣٦.

(٢) جلانفيل داوني ، انطاكية القديمة ،ترجمة إبراهيم نصحى ، القاهرة ،١٩٦٧،ص ١١٨.

(٣) فادية محمد أبو بكر، دراسات في العصر الهلينستي، المرجع السابق، ص ٩١.

(٤) و . و. تارن ، الحضارة الهيلنستية، المرجع السابق، ص ص ١٠٦-١٠٨.

وأقاموا مسالك فيه، وهاجروا إليه ناقلين معهم أساليب معيشتهم وأنظمتهم السياسية ولغتهم ومقومات ثقافتهم ، واختلط الإغريق في الشرق بسكانه الذين كانوا يختلفون عنهم اختلافاً جوهرياً مادياً وروحياً، ومن هذا الاختلاط الذي تفاوت في الدرجة من مكان إلى مكان نشأ نوع أو لون جديد من الحضارة يسمى بالحضارة الهلينستية ،فكأن المقصود بالهلينستية بيئة جديدة متأثرة أو مصطبغة بصبغة غير هيلينية (شرقية) :إيرانية أو سورية أو عبرية أو مصرية أو هندية [1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما موقف البطالمة من الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع في عهدهم وتداعيات ذلك كله على البطالمة أنفسهم؟

رأينا في مناسبات سابقة أن ظروف العصر جعلت هؤلاء الحكام يجلبون إلى مصر أو يشجعون على الهجرة إليها أعداداً غير قليلة من العناصر المختلفة طالما وجدوا أنها ستخدمهم بصورة أو بأخرى ، وهكذا أصبح هناك إلى جانب المصرين الذين كانوا يشكلون الطبقة الأساسية للمجتمع المصري عناصر أخرى كثيرة أوربية وآسيوية، من بينها المقدونيون والإغريق والفرس وغيرهم، ولكن مع ذلك فقد كان العنصران المصري والإغريقي، هما أهم هذه العناصر ،سواء من ناحية العدد أم من ناحية التأثير، ومن هنا نشير إلى مجال التركيب الطبقي أو الاجتماعي من خلال موقف البطالمة من هذين العنصرين اللذين أصبحا يشكلان طبقتين تشغل العلاقة بينهما وبين الأسرة الحاكمة حيزاً من سياسة هذه الأسرة لا يمكنها أن تتجاهله، وقبل أن نشير إلى هذه العلاقة يجب أن نشير إلى ملحوظة مؤداها أن الصفة الطبقية للعنصرين المذكورين لم تكن تعني أي نوع من المساواة العددية بين المصريين والإغريق، فالمصريون ظلوا يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان بينما كان الإغريق لا يمثلون مقارنة بهم إلا أقلية ضئيلة ، ولكن هؤلاء الآخرين كان لهم وزن اجتماعي كبير، نتج عن الامتيازات الكثيرة التي منحهم البطالمة إياها وهذا الوزن الاجتماعي هو الذي جعل منهم رغم قلة عددهم طبقة تستحق أن تسمى بهذا الاسم في ميزان التقييم الاجتماعي [2].

---

(١) فادية محمد أبو بكر، دراسات فى العصر الهلينستى ،المرجع سابق ، ص ص٩٨،٩٧.

(٢) لطفي عبد الوهاب يحى ، دراسات في العصر الهلينستي ، المرجع السابق،ص١٧٢.

٢- النظم الاقتصادية

كان يتطلب تحقيق أهداف السياسة الخارجية لملوك البطالمة الأوائل أموالاً طائلة لبناء الجيوش والأساطيل ، فضلاً عن شراء ود الدول ورجال السياسة، وكان أولئك البطالمة في حاجة إلى وفرة المال أيضاً لتنفيذ مشروعاتهم العمرانية، ولكي يستطيعوا بناء قواتهم المحاربة على غرار قوات منافسيهم، والاستفادة من أصحاب رؤوس الأموال في إعادة تنظيم شؤون الإدارة والنهوض بمرافق مصر الاقتصادية، فعملوا على اجتذاب أعداد كبيرة من الإغريق وأشباههم للوفود إلى مصر والاستقرار فيها، ولما كان يتعين سد حاجة هؤلاء المستوطنين إلى جانب احتياجات أهل البلاد، فقد ازدادت المطالب الواجب مواجهتها، وقد رأى ملوك البطالمة الأوائل أن الاستجابة إلى كل مطالبهم تقتضي استخدام جميع الوسائل الفنية المعروفة في استغلال جميع موارد الثروة في مصر إلى أقصى حد ممكن تحت إشراف إدارة مالية يقظة تسهر على تنظيم الإنتاج تنظيماً دقيقاً، ورفع مستوى المنتجات ، وتصدير الفائض منها عن احتياجات البلاد، وتنشيطاً للتعامل مع البطالمة بتشجيع استخدام النقود على نطاق واسع وإنشاء المصارف المالية في جميع أنحاء البلاد. ولكن ما أهم مقومات الاقتصاد في العهد الهلينستي وتداعياته على قوة البطالمة؟

تميزت الحياة الاقتصادية في العصر الهلينستي بالكثير من أوجه التقدم، حيث أن هذا العصر لوحظ فيه الرواج الاقتصادي في جميع مجالات الاقتصاد والتي تتمثل في :-

آ - الزراعة

ازدادت معلومات الإغريق عن النبات بعد فتوحات الإسكندر ، وظهر ذلك فى أعمال ثيوفراستوس (Theophrastus) عالم النبات، ويمكن القول إن ملوك برجاموم (Pergamum) هم أول من احتضن جهود الدراسات في النبات، ولقد أثبت ملوك البطالمة الأوائل أنهم أكثر من استغل الأرض في تاريخ الإغريق، بالإضافة إلى حفر الترع وتطهير القنوات، واهتم البطالمة بإصلاح الأقاليم التي أهملت في حكم الفرس [1].

(١) عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩. ص ١٦٩؛ عبد العزيز صالح، الأرض والفلاح في مصر الفرعونية، مجلة الجمعية التاريخية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص ٢٠٣- ٢٠٩.

ولعل من أهم إنجازات البطالمة هو إصلاح الأراضي في الفيوم التي أصبحت أهم مناطق الاستيطان الإغريقي، وإقامة مئات القرى التي تحمل أسماء إغريقية، وكانت الدولة تدفع بهذه الأراضي المستصلحة إلى الفلاحين؛ لكي يقوموا بزراعتها بضرائب قليلة إلى أن تتحسن حالتها ،كما كانت تعفى الأراضي التي تتضرر بزيادة الماء أو نقصانه أو التعرض إلى أي ضرر من الضرائب المفروضة، وأن الدولة تُملّك من قام باستصلاح الأراضي له بعد أن ينجح في تحويلها إلى أراضي زراعية تزرع أفضل المحاصيل.وهكذا تزيد المساحة المزروعة من الأراضي بينما تخفف الدولة من عبء التكاليف اللازمة لهذه الزيادة [1].

ومما يجدر الإشارة إليه أن منطقة الفيوم بالتحديد كان لها وضع خاص إلى حد ما في دولة البطالمة، لذلك فإن تقسيمها الإداري كان من نوع خاص، وإذا رجعنا بالتاريخ إلى الوراء فإننا ندرك بأن استيطان منطقة الفيوم وتعميرها لم يكن وليد عصر البطالمة، فقد بدأت هذه العملية منذ عهد الفرعون أمنمحات الأول (Emnemhat I) مؤسس الأسرة الثانية عشر الفرعونية ١٩٩١ – ١٧٨٨ ق. م، وخلفائه، ولاسّيما أمنمحات الثالث (Emnemhat III) الذي يعزى إليه مشروع عظيم للانتفاع بمنخفض الفيوم، وتوسيع رقعة الزراعة حوله، ولا تزال تفاصيل هذا المشروع على جانب من الغموض، نظراً لتضارب الروايات التي أوردتها عنهُ المصادر الإغريقية القديمة، وتحديداً هيرودوت [2]. ، ولكن الصورة العامة المحتملة لهُ، هي أنهُ قام على أساس توجيه جانب من فيضانات النيل إلى بحيرة الفيوم التي كانت لا تزال تحتفظ بعذوبة مائها، لرفع مستوى الماء فيها حتى تنتفع به أكبر مساحة ممكنة من أراضي المدرجات الخصبة التي تحيط بها ثم الانتفاع ببعض مياهها المخزونة لري الأراضي القريبة منها في غير أوقات الفيضان [3].

---

(١) فوزي مكاوي ،الشرق الأدنى في العصرين الهلينيستي والروماني ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، ١٩٩٩، ص١٥٢.

(2) Herodotus , II. 149.L.C.L

(٣) عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق، ص ١٧٣ ؛
Westermann , The development of the Irrigation System of Egypt . Classical Philology . XIV (1919) , PP. 60- 61.

بدأ البطالمة بعد ذلك في استصلاح أراضي منطقة الفيوم وتعميرها ومنح أراضيها ضياعاً للمقربين إليهم وإقطاعات لعدد كبير من الجند الإغريق .[1] ويذهب **ويسترمان (Westermann)** إلى حد القول (**بأن الفيوم كانت مستوطنة يكوِّن الإغريق على الأقل ثلثي السكان بها ويؤكد كثرة عدد سكانها الإغريق العدد الهائل والمتنوع من البرديات الإغريقية التي كشفت عنها في الفيوم**)[2]، وفي رأي **سترابون** أن مدينة أرسينوى (الفيوم) أكثر المناطق جدارة بالملاحظة، فهي ذات سمات طبيعية ومزروعة بأشجار الزيتون وتنتج النبيذ والقمح في كميات كبيرة [3].

شجع البطالمة زراعة محاصيل معينة ومنحوها إعفاءات ضريبية مثل الكروم والورد والخضروات والفاكهة وأشجار الزيتون والنخيل والتين والتفاح والكمثرى واللوز والرمان [4]، وكذلك أدخلوا الأساليب العلمية في ميدان الزراعة مثل دراسة مناسيب المياه وتصنيف النباتات من حيث الفصول السنوية لزراعتها واستخدام الأسمدة العضوية المناسبة لتقوية المحاصيل ، فكان لذلك دور في زيادة معدل المحاصيل الزراعية التي بلغت فى بعض الحالات ثلاثة محاصيل في العام الواحد [5]. إضافة إلى ذلك لجأت الحكومة البطلمية إلى السخرة في أعمال الحصاد وشق الترع، وبناء الجسور، وحفر المصارف ، ويبدو أن هذا العمل الإجباري قد فرض على ضعفاء المصريين فقط، وكان يعفى من السخرة الضباط والمشرفين على الدخل الملكي، والجنود الإغريق والعاملين في التحنيط والشيوخ والمرضى، ولكن بعض الإداريين يستغلون مناصبهم لصالح مصالحهم الخاصة في ظل هذا النظام . وقد اهتم البطالمة بالمراعى؛ لكي يوفروا العلف لخيولهم، ويوفروا الصوف لمصانع النسيج،ومن ثم زادت الأراضي التي زرعت أعشاب الرعي [6]. لقد كانت المعابد تمتلك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وظل لمعبود

---

(1) Westermann , Land Reclemation in Fayom under ptolemies philadelphus and Eurgetes I. classical philology XII. (1917). PP. 29 – 30.

(2) G. M. Harper. Menches Komogrammat Eus Of Kerkeosiris Aegyptus XIV. 1934. PP. 14 – 32.

(3) Strabon, the Geogaphy Of Strabon , XVII , I, 37.L.C.L

(٤) لطفي عبد الوهاب يحيى ،دراسات في العصر الهلينستى ، المرجع السابق، ص ص١٥٧، ١٥٨.

(٥) المرجع نفسهُ، ص١٥٩.

(٦) فوزي مكاوي ، المرجع السابق، ص١٥٤.

الدولة الرسمي، ولمعبده الرئيس مساحة كبيرة من الأراضي، ولم يترتب على ارتقاء البطالمة عرش مصر؛ الانتقاص من مساحة أراضي المعابد، وضم أجزاء منها إلى أراضي الدولة، وإنما الإضافة إلى ثروة المعابد من الأراضي، ذلك أن البطالمة منذ بداية عصرهم دأبوا على أن يجزلوا للمعابد مختلف أنواع النعم وكانت هبات الأراضي من بينها [1]. ويضاف إلى هذه المنح التي أعطيت للمعابد من الأراضي الملكية تلك الأراضي التي كان أرباب الاقطاعات العسكرية يهبونها عند تسلم إقطاعاتهم، ويذكر ديودور الصقلي (Diodorus Siculus) في هذا الصدد أن الربة إيزيس قد وهبت الكهنة المصريين ثلث مساحة البلاد لإقامة الشعائر الدينية الخاصة بالآلهة؛ وتقديم القرابين وأن هذه الأملاك كانت معفاة من الضرائب [2].

وعندما وطد البطالمة مركزهم في مصر ادعوا أنهم الخلفاء الشرعيون للفراعنة، وأنهم تبعاً لذلك سادة مصر، وأصحابها الحقيقيون، ومن ثم فإن مصر كلها من الناحية النظرية ضيعة الملك يقطنها رعاياه الذين يعملون من أجله، وقد حرص البطالمة على أن يصيغوا هذه الفكرة في عبارات واضحة، فزعموا أن هناك عقد بين الآلهة المصرية ومؤسس أسرة البطالمة ينص على ملكية العائلة البطلمية لكل أراضي مصر [3]. ويؤيد ذلك ما ورد في نقش هيروغليفي على جدران معبد أدفو يروي كيف أن الأراضي المزروعة في كل أنحاء مصر من الفنتين (أسوان) حتى البحر، قد أهداها الإله حورس (Horus)، إلى ابنه الملك حورس الحي بطليموس، ومعها وثائق ملكية وسجل وصفي للممتلكات، وعقود الاستيلاء عليها، وقد خطها جميعاً بيده الإله تحوت (Thote) المسجل السماوي [4].

ولما كانت أراضي مصر جميعاً ملكاً للملك، فإنهُ كان لا يحق لغيره سوى الانتفاع بما يتنازل لهُ الملك عن أرض دون امتلاكها، وتبعاً لذلك فإن الأراضي في مصر أصبحت تنقسم إلى قسمين رئيسين، يعرف إحداهما بأرض الملك؛ وكان يستثمرها مباشرة، ويعرف القسم الآخر بأرض العطاء، وهي

---

(١) عبد العزيز صالح، الأرض والفلاح في مصر الفرعونية، المرجع السابق، ص ص ٤٤ – ٤٥.

(2) Diodorus Siculus, I, 21, L. C. L.

(٣) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج ٣، المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(4) A. Bouche, Lectereq, Histoire des Lagides, 1 Vols. Paris. 1907. PP. 179-180.

الأراضي التي تنازل عنها الملك لغيره لاستثمارها دون ملكيتها، باستثناء أرض المعابد التي عُدَّت منحة للآلهة وملكًا لها. ولم يحاول البطالمة سلبها أو حتى الانتقاص منها، وإنما عملوا على زيادة رقعتها، بيد أن الملك بوصفه إلهًا، ادعى لنفسه حتى ملكية هذه الأراضي، وأسند لعمال الحكومة إدارتها واستغلالها فكانت تؤجر لمن يتقدم بأعلى إيجار لها، وتشير بعض المراجع إلى أن بعض رجال الدين كانوا بين مستأجري أراضي الملك، وكذلك أراضي الضياع الموهوبة والإقطاعات العسكرية [1].

يبدو أن اتساع مساحة الأراضي الزراعية في مصر البطلمية، استدعى بالضرورة توفير الأيدي العاملة، وأدوات الزراعة مما أتاح زراعة أنواع متعددة من المحاصيل، غير أن أغلبها كان مزروعًا بالقمح والنخيل، بالإضافة إلى الحدائق وبعض أنواع الخضروات، ونتيجة إدارة الحكومة لهذه الأراضي، فإن إيجارها، وضرائبها كانت تؤول إلى الخزينة العامة للدولة [2].

وفي نهاية القرن الثاني ق.م، كان أغلب الأراضي بالقرب من منطقة أفروديتوبوليس، تزرع بالقمح، وبعضها بالشعير، ولم يُتأكد بعد ما إذا كانت أراضي الملك وحدها، أم أن كل أنواع الأراضي كانت ملزمة بإتباع نظام المزروعات الذي كانت الحكومة تصدره سنويًا، لكنه لا جدال فيما يخص الحبوب الغذائية أن التعليمات السنوية الخاصة بالمزروعات؛ كانت تطبق على أراضي الملك، وكذلك على أراضي المعابد، طوال مدة خضوعها لإدارة الحكومة، وأغلب الظن أن جميع أنواع الأراضي، كانت تلتزم بزراعة المحاصيل التي تحتاجها الحكومة للصناعات التي تحتكرها، والتي سنأتي على ذكرها لاحقًا، مثل صناعة الزيت التي تستوجب زراعة محددة في كل منطقة من السمسم والخروع، وهذا ينطبق على الكتان على أساس أهميتهُ المزدوجة، فبذوره تستخدم في صناعة الزيت المحتكرة كليًا، وألياقهُ في صناعة المنسوجات التي كانت محتكرة جزئيًا، وذلك تبعًا للتقارير التي يرفعها حكام المراكز [3].

---

(1) A. Bouche, Op. Cit. PP. 183-184.

(٢) فادية محمد أبو بكر، منف في العصر البطلمي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٧، ص ١٥.

(3) W. Smith, Dictionary of Greek and Roman, Biography and Theology, London, 1946. PP. 211 - 216 .

ومنذ عصور الفراعنة في مصر القديمة، كانت الدولة تحتكر زراعة الكروم والفاكهة والبقول، لأنها كانت تتطلب جهداً، ونفقات كثيرة، يصعب على صغار المزارعين النهوض بها، مما أدى إلى احتكار هذه الأنواع من المزروعات، واستمر ذلك الوضع حتى في عهد البطالمة، كذلك كانت مساحات كبيرة من أراضي الدولة على امتداد وادي النيل، مزروعة بنباتات البردي اللازمة لصناعة الورق [1].

ونتيجة لقرارات بعض ملوك البطالمة، ولاسيّما قرارات بطليموس الثامن، فإن بعض أراضي الفلاحين تحررت بالفعل من التدخل الفوضوي لموظفي الحكومة، غير أن **عبد العزيز صالح**[2]، أكد *بأن شواهد الواقع تدلل على أن مثل هذه القرارات، لم تكن من الناحية العملية أكثر من قصاصات ورق، تقل قيمتها حتى عن تلك القصاصات، فتكرار صدور تلك القرارات الخاصة بحماية الأراضي الزراعية وممتلكات المزارعين والمعابد، من طغيان الموظفين عليها، تمثل دليلاً دامغاً عن تجاهل هذه القرارات، وهذا مرجعهُ – حسب ما يرى* ***عبد العزيز صالح*** *– إلى جملة عوامل منها:*

١ – *ضعف السلطة المركزية وعجزها عن إحكام السيطرة على الموظفين، الذين كانوا يستغلون مناصبهم، ويسرفون في استخدام السلطة التي منحوها لضمان حصول الملك على دخله. ولما كانت هذه القوى شديدة البأس، كثيرة العدد، فإنهُ لم تفلح في الحد من طغيانها وبغيها نصوص القوانين الخاصة، بعدم الاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة.*

٢ – *من الملاحظ أن نصوص القوانين المذكورة، لم يأتي بها نص يوضح عقوبة مخالفي القرارات، أو بالأحرى لم تتضمن تلك النصوص عقوبات في الأساس.*

٣ – *عدم إنقاص التزامات الموظفين المسؤولين عن إدارة أراضي الدولة، على الرغم من كثرة هروب المزارعين وتركهم هذه الأرض، وإزاء حرص الموظفين على تلبية مطالب الملك المتزايدة باطراد، فإنهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم حيثما وكيفما يستطيعون للوفاء بإلتزاماتهم .*

ولكن ما دور التجارة في تطور الاقتصاد البطلمي؟

---

(١) صوفي أبو طالب، مبادئ تاريخ القانون، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٦٩.

(٢) عبد العزيز صالح، الأرض والفلاح في مصر الفرعونية، المرجع السابق، ص ص ٧١ – ٧٢.

ب : التجـــارة

يجدر بنا قبل الخوض في موضوع التجارة في مصر في العهد البطلمي، أن نعطي لمحة مقتضبة عن تاريخ التجارة المصرية القديمة، فلا يوجد مجال للشك في أن التجارة الخارجية كانـــت خـــلال الدولـــة القديمة في أيدي الملك، وكانت المنتجات التي يحضرها رؤساء البعثات معهم من بيبلوس (Peplos)، وبونت (Ponte)، والنوبة (Nobia)، تخصص للبلاط الملكي، وهذا ثابت من النصوص الكثيرة التي كان هؤلاء الرجال ينقشونها في مقابرهم، فنرى على سبيل المثال أن حجر باليرمو، أكد الطابع الرسمـــي لطلبيات خشب الدعائم الذي كان يُستحضر من لبنان، وأن الخراطيش الملكية المنقوشة على الأختـــام والأواني المكتشفة في سورية وفلسطين والنوبة، صريحة في تحديد المبادلات المعنية، واعتباراً من الدولـــة الوسطى تطورت التجارة مع قبرص، والساحل السوري اللبناني عن طريق أوغاريت (Ogareet) مما أدى إلى زيادة محسوسة في الواردات إلى مصر، وقد يوحي هذا بإنفتاح الاحتكار الملكي لصالح النشاط الفردي، مما أتاح لبعض المغامرين في ذلك العصر ممارسة هذا النشاط، وفي الدولة الحديثـــة زاد تبـــادل الهدايا بين الملوك، زيادة كبيرة، وقد ثبت هذا من خلال المراسلات الدولية الغزيرة في ذلك العصر، مثل مراسلات تل العمارنة المشهورة، وقد قام بعض الأفراد بأعمال خاصة في بلدان أجنبية، وتنقـــصنا إلى حد ما الوثائق حول الأعمال ذات الطابع الفردي للمصريين خارج حدود مصر، ومع هذا فإن المنـــاظر والنصوص التسجيلية، تظهر التجار الأجانب وهم يؤدون عملهم في الأسواق التي كانت تقـــام علـــى ضفاف النيل، أو هم يعرضون سلعهم على زوجات أثرياء مصر القديمة [1].

أما فيما يخص التجارة في العصر البطلمي في مصر، فإن نظام الاحتكار الذي كانت تطبقهُ الدولة البطلمية، وتفرضهُ الحكومة على الأراضي وبعض الصناعات، حد من وجود الفائض المطلوب لعرضه في الأسواق، وعلى الرغم من أنه كان لا يحق لصغار المزارعين والحرفيين بيع منتجاتهم للجمهور، إلا أنهـــم كانوا يسدون احتياجاتهم، ولا يضطرون لشرائها من السوق [2].

---

(١) جونيفيف هوسون، ودومينيك فالبيل، المرجع السابق، ص ص ٨٧ – ٨٨.

(2) E. Noshy. Op. Cit. P. 141 .

يجدر بنا أن نذكر أن النبيذ جرت صناعتهُ لسداد ضريبة الكراميون التي كانت تفرض على مزارع الكروم، وسنأتي على ذكرها، في مجال الصناعة، غير أن هذه الصناعة لم تكن محتكرة، بل استطاع بعض الأفراد استئجار مزارع الكروم، واستخراج النبيذ وبيع الفائض منه في الأسواق، ويبدو أن تجارة النبيذ كانت حرة؛ وأن سعرهُ كان يتوقف على جودة الصنف وقانون العرض والطلب، غير أن بيعهُ كان تحت إشراف محاسبي الحكومة، وكان الثمن يودع في الخزينة الملكية، من أجل استيفاء استحقاقات الحكومة من صاحب النبيذ، وكان لا يستولي صاحب النبيذ على ما تبقى من حصيلة بيع النبيذ، إلا بعد أن تحصل الحكومة على استحقاقها [1].

ولما كانت الدولة تدير الأراضي المزروعة حبوباً غذائية، وتستولي على دخلها حتى منتصف القرن الثاني ق.م على الأقل، فإنهُ لم يكن لدى المزارعين أي سبيل للاتجار في الحبوب الغذائية، وباستثناء ذلك كان بعض الأفراد الذين يسهمون في تأجير ارض الملك والضياع والاقطاعات العسكرية، يستطيعون بيع الفائض عن حاجاتهم [2].

وكانت الحكومة البطلمية تحتكر تجارة المر والبخور والعطور، وتبيعها إلى تجار التجزئة عن طريق ملتزمين، وكانت المعابد، والقائمين بأعمال التحنيط هما أكبر مستهلكيها، لذلك صرحت لهما الدولة بالاتجار فيها واستيرادهما بصورة مباشرة، دون الرجوع للدولة، وتشير بعض الدلالات التاريخية إلى أنهُ كان في وسع الكهنة أن يتبادلوا مع التجار العرب البوسوس وهو نوع من نسيج القماش، لقاء المر والبخور والعطور [3]. ويبدو أن البطالمة خففوا بطريقة ما وطأة الاحتكار على المعابد بالذات، فنجد مثلاً كهنة حتحور (Hthor) في أفروديتوبوليس يُذكِّرون وزير المالية أبولونيوس (Apolonus)، بما أمر به الملك من إعطائهم مئة تالنت من المر من أجل إقامة الطقوس الجنائزية للبقرة المقدسة حتحور [4]. ويبدو على الأقل أن المعابد كان لديها امتياز هام في هذا الصدد، وهو حقها في أن تشتري هذه السلع

(1) Westirman, The Ptolemius and the welfare of…, Op. Cit. PP. 270-271 .

(٢) أ. هـ. بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، تر. عبد اللطيف أحمد علي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٥٢.

(٣) هالة حامد السطيحة، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٤) أحمد علي تميرك، المرجع السابق، ص ١٤٠.

من الدولة مباشرة ولم تكن هذه السلع تستهلك في شكلها الخام، بل تُحول إلى روائح ومساحيق وأدوية، وغير ذلك [١].

وكانت الأشجار قسمين أحدهما تملكهُ الحكومة، والآخر يملكهُ الأهالي، وكان الأهالي يستطيعون قطع أشجارهم وبيعها بعد الحصول على إذن بذلك من الحكومة، ودفع ضريبة معينة، وتشير بعض المراجع إلى وجود تجارة حرة في الأخشاب، بدليل تفاوت أسعارها، وكانت أشجار التوت والسنط والجميز، هي أفضل أنواع الأشجار التي تقطع منها الأخشاب لصناعة السفن المصرية، وكثيراً ما كانت تغرس حول المعابد والهياكل، ويبدو أن رجال الدين كانوا من أهم تجار الأخشاب في مصر في عهد البطالمة، فترى مثلاً مجموعة من الكهنة في قرية (Mya) بالقرب من منف يبيعون لأبولونيوس وزير المالية أشجار التوت والسنط التي كانت تظلل هيكلهم بسعر منخفض إكراماً له [٢].

لقد ساعد على رواج التجارة بوجه عام في العصر الهلينستي ما صادفتهُ الملاحة من أسباب التيسير التي لم تكن معروفة من قبل كإقامة الفنارات، وإنشاء الموانئ ذات الأرصفة والأحواض والمخازن الكبيرة، التي تستوعب تلك السفن الضخمة التي بدأ العالم القديم في بنائها لتيسير عجلة التجارة والملاحة البحرية [٣].

و على الرغم مما كانت تتمتع به مصر من وفرة مواردها ، فإنها تفتقر إلى الكثير من المواد الأساسية اللازمة للصناعات والجيش والأسطول كالمعادن على اختلاف أنواعها والخيول والفيلة، والأخشاب الجيدة. [٤]

اهتم البطالمة كثيراً بالتجارة الخارجية، وكان دافعهم إلى ذلك حاجتهم الماسة لاستجلاب الأموال من أجل العمل على بناء قوتهم ولتدعيم مركزهم في مصر، ولتحقيق أهدافهم الخارجية عن

---

(1) J. P. Hanaffy, History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty. London. 1917, P. 263 .

(٢) محمود فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص ١٨١.

(3) M. Rostovt Zeff, Op, cit, PP. 272 – 273.

(٤) و. و. تارن، الحضارة الهلينستية، المرجع السابق، ص ١١٨.

طريق قواتهم البرية والبحرية، أو عن طريق تقديم المساعدات المالية والعينية أو كليهما ومن أجل كسب المزيد من الأعوان ودعماً لولائهم [١].

كذلك اهتم البطالمة بتصدير المنتجات المصرية مثل القمح والكتان والبردي حيث يكون الميزان التجاري لصالح مصر، ولما كانت ممتلكات البطالمة الخارجية لا تستطيع توفير احتياجات البطالمة جميعها ولا استيعاب صادرات مصر كلها، فإنهم أولوا اهتماماً بالغًا بالتجارة مع البلاد الأجنبية، فعملوا على تأمين طرق التجارة في بحر إيجة وإنشاء علاقات مع دول الغرب مثل روما (Roma) وسراقوسة (Saragosa) وقرطاجة (carthage)، وكذلك عني البطالمة الأوائل بالسيطرة على أهم منافذ طرق التجارة الشرقية كما عنوا بإرسال البعثات الكشفية إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي، وتأسيس مراكز تجارية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وإنشاء الطرق التي تربط وادي النيل بهذه الثغور وتأمينها [٢].

ومن ذلك نتبين أن البطالمة لم يعملوا على تنمية مواردهم فحسب، بل عمدوا كذلك إلى استغلال موقع مصر التجاري ، ومدى نشاط التجارة التي كانت تمر بمدينة الإسكندرية والتي جعلت منها المركز التجاري الأساسي في القسم الشرقي للبحر المتوسط ،إلى جانب ما كانوا يصدرونه من مصر إلى العالم الخارجي ، وما كانوا يستوردونه من الخارج للاستهلاك المحلى، فنجحوا في الحصول على مورد اقتصادي هام من استغلال موقع مصر الممتاز كممر تجاري بين الشرق والغرب، وهكذا كانت تمر بها السلع الآتية من الصومال وشرقي إفريقيا وبلاد العرب والهند، والتي كان من بينها الذهب واللآلئ والأحجار الكريمة، وبعض الأنواع النادرة من الخشب والعاج والتوابل والقطن والحرير كل هذه كانت تنقل بطريق البر بعد وصولها إلى موانئ البحر الأحمر ، عبر الطرق الصحراوية إلى قفط، ثم إلى النيل، ثم بعد ذلك إلى البحر المتوسط [٣]. ولكن ما دور الصناعة في دعم الاقتصاد البطلمي وتداعياته على قوة البطالمة؟

---

(١) و. و. تارن، الحضارة الهلينستية، المرجع السابق ، ص ١٢٠.

(2) L. Preaux , 'Economie Royal Deslagides , Bruxelles , 1939 , P. 12.

(٣) لطفي عبد الوهاب يحى ، دراسات في العصر الهلينستي ، المرجع السابق ،ص١٦٠.

ج – الصناعـــة

ارتبطت نشأة المجتمع وتاريخه في أرض مصر ارتباطاً وثيقاً بعوامل البيئة الجغرافية، فلقد قامـــت في وادي النيل الأسفل، حضارة من أقدم الحضارات في العالم القديم، فالإنسان والبيئة يرتبط كـــل منـــهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً، والحضارة ما هي إلا نتيجة مباشرة لتفاعل جهود الإنسان، ومؤثرات البيئة تتطور مظاهرها من عصر لآخر، حيث يستفيد الإنسان من البيئة ويغيرها بإمكانياته لصالحه.

ولعل مما ساعد على نمو الحضارة المصرية القديمة، كثرة الغذاء الناتج عن الزراعة، مما أدى إلى زيادة السكان، خصوصاً وأن عامل المناخ شجع كثيراً الحركة الزراعية في مصر، بالتالي كان ضرورياً أن تنـــشأ مهن أخرى تزامناً مع الإنتاج الزراعي الغزير، فظهرت حرفة الصناعة المتقنة معتمدة علـــى وفـــرة المـــواد الأولية، وعلى تشجيع متزايد في ظل تنظيم سياسي، وحكومات تكفل الطمأنينة للإنسان المصري القديم.

إذاً يمكن القول بأن الصناعة لا يمكن أن تقوم إلا على مقومات أساسية، يُستمد أغلبها من البيئـــة الجغرافية، مثل توافر مصادر المياه، واعتدال المناخ، لكي تتوفر الظروف الملائمة للزراعة التي تُعد من أهم مقومات استقرار الإنسان الذي يمثل بدوره أهم مقومات الصناعة.

ومن أهم الصناعات التي قامت في مصر القديمة في العصر البطلمي الآتي:

١ – صناعة الزيوت:

كانت صناعة الزيوت تُزاول على نطاق واسع في مصر البطلمية، حيث كانت الدولة تستفيد مـــن محاصيل النباتات الزيتية المزروعة في أراضيها لاستخراج الزيوت، ومع أن صناعة الزيـــوت كانـــت مـــن الصناعات الكثيرة النفقات، وكانت المنتجات وفيرة، فإن هذه المنتجات كانت تُـــسيطر علـــى الـــسوق، وعندما احتكرت الحكومة هذه الصناعة، ووضعت يدها على مصانع الأهالي، وعلى كـــل الأدوات الـــتي تُستخدم في استخراج الزيت، وأنشأت مصانع ملكية، وأصبحت المصانع جميعها تعمل لحـــساب الدولـــة تحت إشراف موظفيها، فرضت الدولة على إنتاج الزيت قيوداً، نتبينها من وثيقة الدخل[1] التي ورد فيها:

---

(١) هالة حامد السطيحة ، المرجع السابق ،ص٢٠٣.

(يتعين على الذين يستخرجون الزيت في كافة أرجاء البلاد أن يُبلغوا الملتزم، ومراقب الحسابات عن عدد المطاحن والمعاصر في كل مصنع، وأن يُرشدوا إلى مصانعهم لمعاينتها، وأن يُقدموا مطاحنهم ومعاصرهم لختمها، فإن كل شخص مسؤول عن هذه المخالفات أمام المشرفين، فيدفع ثلاثة تالنتات، وللملتزم خمسة أمثال الخسارة المترتبة على ذلك، بناءً على تقدير الملتزم، وعندما يُريدون زيت السمسم، فإنه يحتم عليهم أن يصحبهم الملتزم، وأن يستخرجوا الزيت في حضوره، ويتعين عليهم أن يستخرجوا المقدار الذي أعلنوا أنهم يستهلكونه في عام واحد في شهرين فقط، وأما زيت الخروع الذي يستهلكونه، فإنهُ يجب عليهم أخذه من الملتزم بسعر محدد، ويجب على مراقب الحسابات أن يرفع إلى الملك بياناً مكتوباً عن زيت الخروع والزيوت اللازمة للاستهلاك، وأن يقدم إلى وزير المالية بياناً شبيهاً بذلك).

ويتضح من هذه القيود أن صناعة الزيوت، اقتصرت على سد الحاجات، وتحت إشراف عمال المالية، ومعنى ذلك حرمان أصحاب هذه الحرفة من إنتاج فائض عن احتياجاتهم لبيعه في الأسواق، وإزاء ذلك فإن القيود تُعتبر من أهم الأسلحة المادية التي استخدمها البطالمة لإخضاع الأهالي لسيطرتهم (١).

٢ – صناعة المنسوجات :

كانت مصر تشتهر منذ أمد بعيد بمنسوجاتها الكتانية، وكانت تأتي بعدها في الأهمية صناعة الأصواف، ثم المنتجات المختلفة، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن هذه الصناعات مورست في المنازل، وكذلك في المعابد (٢).

ولما كانت صناعة المنسوجات الكتانية، أهم فروع صناعة المنسوجات، فإن بعض المراجع تشير إلى أن وثيقة من القرن الثالث ق.م، تبين أن وزير المالية كان يُحدد كل عام مساحة الأرض التي يجب أن تزرع كتان، وذلك على غرار تحديد مساحة الأرض التي تزرع حبوب زيتية (٣). لكن السؤال الذي يطرح نفسهُ، هل كان الملك يحتكر شراء كل الكتان، كما كان يحتكر شراء الحبوب الزيتية؟ وهل كان الكتان يُباع بسعر محدد؟

---

(١) أحمد علي تميرك، المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(2) F. Cumont. L, Egypte des Astee Lagues. Bruxelles. 1 Vols. Paris 1907. P. 340.

(3) F. Cumont. Op. Cit. P. 344.

تذكر بعض المراجع[1] أن الملك كان يحتكر شراء جميع محصول الكتان بأسعار محددة ويمكن الاستشهاد على ذلك بأمرين اثنين:

الأول : يتبين من خلال إحدى الوثائق أن جانباً على الأقل من كتان ضيعة أبوللونيوس كان يُباع خارج محافظة الفيوم بأسعار غير محددة[2].

الثاني : إذا كان من المرجح وجود مصانع ملكية لمزاولة صناعة المنسوجات، فلا شك في أنهُ كانت توجد مصانع أخرى كثيرة يمتلكها الأفراد .

ويبدو أن الحكومة كانت تفرض كل عام على كل مدينة موافاتها بكمية معينة من المنسوجات، أي على مصانع النسيج، وصغار النساجين الذين كانوا يشتغلون في بيوتهم في كل قرية، وإذا تأخر احد النساجين عن تقديم المنسوجات المطلوبة؛ - شرط أن يكون مستواها جيد – فإنهُ يجب أن يسدد ثمنها وفقاً للسعر الذي حددتهُ اللوائح لكل نوع [3]. كذلك كانت الحكومة تفرض ضرائب عديدة على النساجين، خصوصاً في عملية الحصول على تراخيص بمزاولة هذه الحرفة [4].

وللإشارة فإن المعابد كانت تشتهر بنوع خاص ودقيق من المنسوجات الكتانية يعرف باسم البوسوس (Albosos) وكان يُستخدم لفافات للموميات، وتصنع منهُ ملابس الكهنة والآلهة، وقد كان الكهنة يعطون هذا النوع من المنسوجات للتجار العرب لقاء حصولهم على المر والعطور اللازمة للطقوس الدينية [5].

٣ – صناعة الجعة والنبيذ:

إن الجعة كانت في مصر القديمة شراباً قومياً يُستهلك فيها على نطاق واسع، خصوصاً مع وجود ثروة زراعية، ونشاط صناعي كبيرين، لكن إزاء احتكار البطالمة لهذه الصناعة فيما بعد، وإزاء افتقارنا إلى الوثائق فإنهُ من العسير التنبؤ بوضع صناعة الجعة في عصر البطالمة، مما يطرح سؤالاً مهماً وهو هل

(1) Fraser. Ptolemaic Alexandria. 3 Vols. Oxford. 1917. P. 63.

(2) Fraser. Op. Cit. 1917. P. 64.

(٣) هالة حامد السطيحة، المرجع السابق ،ص٢٠٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٠٩.

(٥) س. سونيرون، كهان مصر القديمة، تر. زينب الكردي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١١٧.

اتبع البطالمة في هذه الصناعة الطريقة نفسها التي اتبعوها في صناعات الزيت والنسيج، من حيث الاقتصار في الإنتاج على سد الحاجات فقط؟ وفي ظل حرص البطالمة على أن لا يتجاوز الصانع، الدولة في مسألة تصريف منتجاته، فإن هذا الاحتمال يبدو هو الاحتمال الصائب (١).

وعلى الأرجح منذ عهد بطليموس الثاني، كانت الحكومة تدير الأراضي – بما فيها طبعاً مزارع الكروم – على نحو ما كانت تدير أرض الملك، وذلك بأن يتولى عمال المالية تأجيرها بالمزاد العلني لقاء جانب كبير من المحصول، فضلاً عن الضرائب، والالتزامات الأخرى (٢).

أما فيما يخص النبيذ فقد جاء في وثيقة الدخل ما يلي: (**أنه كان ينبغي على من يملكون الأدوات اللازمة لعمل النبيذ، أن يسجلوا أنفسهم عند ملتزم الضريبة، الذي كان يضع خاتمهُ على تلك الأدوات، وكان يتعين وجود هذا الخاتم سليماً عندما يُريدون عمل النبيذ، وأنهُ إذا أخفق أحد في تسجيل أو تقديم هذه الأدوات لمعاينتها وفقاً لأحكام القانون، أو لوضع الخاتم عليها، عندما يُريد الملتزم ذلك، أو في إظهار الخاتم الموضوع عليها، فإنهُ كان يدفع للملتزم مقدار الخسارة التي يرى الملتزم أنهُ تحملها عندئذٍ**) (٣).

وتحدثنا الوثيقة نفسها أيضاً (**أنهُ يحتم على الزارع نقل مقادير النبيذ المستحقة إلى المخزن الملكي... ودفع الضريبة المستحقة للملتزم**) (٤).

٤ – صناعة الورق:

اعتمدت صناعة الورق في مصر قديماً على نبات مائي يعرف باسم نبات البردي، كان ينمو في البرك والمستنقعات، وكانت له جذور وسيقان مثلثة الزوايا، وتوجد داخلها ألياف لزجة، هي التي كان يصنع منها الورق في أقصر وقت ممكن، بعد قطع السيقان، قبل أن تجف الألياف، ولذلك فإنهُ من العسير القول إن صناعة البردي تركزت في مكان دون الآخر، لأنهُ نبات يجف بسرعة، ووسائل النقل

(١) محمود إبراهيم السعدني، مصر في عصر البطالمة والرومان، المرجع السابق، ص ص. ٤٢ – ٤٦.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٧.
(٣) س. سونيرون، المرجع السابق، ص ١١٩.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٠.

كانت بطيئة، ولا شك في أن الإسكندرية، كان ينمو في ضواحيها نبات البردي، حيث كانت بحيرة مريوط التي تصرف فيها المياه الآتية من قناة الإسكندرية، ولكن ليس بالضرورة القول إن الإسكندرية كانت المركز الوحيد لصناعة البردي كما قال **فريزر**، لأن ذلك غير منطقي [١].

ويبدو أنه خلال القرن الثاني ق.م كان هناك نوعان من المصانع لصناعة الورق، أحدهما المصانع الملكية، والآخر المصانع الأهلية، والتي يُحتمل أنها كانت تشتري من الملك حق مزاولة هذه الصناعة، مقابل دفع ضريبة نوعية، وإعطاء الملك نصيباً من إنتاجها، ويرجح أنهُ في العهد الأول من عصر البطالمة، لم تكن للملك مصانع خاصة، وأنه كان يكتفي بإشراف الحكومة إشرافاً دقيقاً على مصانع الورق الأهلية، وبالحصول على نصيب من إنتاجها [٢].

عرفت الصناعة تطوراً ملحوظاً في العصر الهلينستي ولعل من بين الاختراعات التي عرفت في ذلك العصر هي لوب إخميديس (Ekhmedes) (الطنبور) والتي ساعدت في رفع المياه من المناجم ،ولقد كان من أفضل المنتجات الإغريقية أعمال السيراميك، وإن كانت تنافسها جزئياً صناعة الزجاج وأطباق الفضة. ولقد ظهر أيضاً سوق كبير للنسيج من الأصناف الراقية ،وقامت صناعة جديدة للنسيج في كوش (Kosh) تعتمد على الحرير الطبيعي البري من آسيا الصغرى. ويلاحظ أن اتساع مجال التعليم أدى إلى زيادة إنتاج ورق البردي والكتب، كما ازدادت صناعات البناء واستغلال المحاجر مع زيادة الاستيطان الإغريقي واتساع مداه [٣].

وقد شهدت مراكز الصناعة تطوراً كبيراً، ففي بلاد الإغريق القارية بقيت أثينا هي المركز الرئيس لصناعات السيراميك حتى ٢٥٠ ق.م، ولكن القليل سمع في المرحلة الهلينستية عن الإنتاج الكورنثي للسيراميك وكان أهل تارنتوم (Tarntom) أصحاب السمعة في إنتاج أفضل المنسوجات . كما أنتجوا أفضل أنواع الفخار الجيد الذي كان قد توقف إنتاجه في منطقتهم، وبين المدن الأقدم ظلت

---

(1) Fraser. Op. Cit. 1917. P. 88.

(٢) أحمد أمين سليم، سوزان عباس عبد اللطيف، في تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٦٨.

(٣) محمود فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص ١٦٢.

ميليتوس مشهورة بالثياب الجيدة ولكن ظهرت مراكز جديدة لصناعة النسيج في برجاموم، التي اهتم ملوكها بتلك الصناعة [١] .

وكانت الإسكندرية من أكثر المدن الصناعية حركة وإنتاجاً، فصناعة الورق كانت قد اشتهرت بها مصر بحكم الطبيعة و احتكرتها الإسكندرية ، و تطورت الصناعات المصرية القديمة كصب الزجاج وقطعه وتلوينه، وأصبحت المركز الرئيس لفن صناعة الفضة ،بينما كانت المصنوعات الحرفية قد انتشرت فى قرى مصر وصدرت حتى البحر الأسود [٢].

إن الصناعات الوطنية فى مصر لم تتضرر بمنافسة رؤوس الأموال الإغريقية ، فقد وُضِعت هذه الصناعة تحت الإدارة الدقيقة للدولة، وهنا نلحظ أن الكثير من الصناعات، قد تحولت إلى احتكارات للدولة؛ لذا يجب على كل الصناع أن يحصلوا على تصريح خاص، ويجب على بعضهم أن يحصل على تصريح لدخول المواد الخام إلى الدولة مثل صناعة الصوف،وإنتاج الزيت الذي كان ممنوعاً كلياً ما عدا مصانع الحكومة، حيث ربط العمال إلى صناعاتهم كعبيد ووضعوا تحت إشراف نظام قاسي [٣] .

إن الخبرة البطليمية فى صناعة المصانع برأس مال حكومي قُلِّدت في برجاموم ،حيث صنع النسيج الراقي بعمال من عبيد الدولة وربما أيضاً صناعة الورق، التي أقاموها لكسر الاحتكار المصري لها وقد يعدّ هذا دليلاً للتدخل الأجنبي [٤]. وإذا كانت الصناعة أحد أبرز المقومات التي اعتمد عليها الاقتصاد البطلمي فما دور طرق النقل في دعم الاقتصاد البطلمي؟

---

(١) أحمد علي تميرك، المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٢) فوزي مكاوي ، المرجع السابق،ص١٥٦.

(3) E. Bevan. Op. Cit. P. 144.

(4) E. Noshy. Op. Cit. P. 92.

د – النقـــل

اهتمت الحكومة البطلمية بالموانئ في الإسكندرية حيث كانت نقطة لقاء بين التجارة النهريـــة والبحرية .فقام ميناء نهرى على بحيرة مريوط (Maruot)، ثم حفرت قنـــاة بـــين الـــبحيرة والبحـــر المتوسط، وأقيمت التسهيلات للإقامة على الجـــانبين وأقـــام سوســـتراتوس (Sostratus) مهنـــدس بطليموس الأول فنار الإسكندرية المشهور وهو برج عظيم يقال إن الضوء كان يظهر للسفن على بعـــد ثلاثين ميلاً وعلى الرغم من أن أسوار الإسكندرية لا منافس لها في البحر المتوسط القديم مـــن حيـــث طولها وارتفاعها، ما عدا أوسيتا (Osieta) أيام الأباطرة الرومان [1].

وعلى الرغم من أن ظروف الملاحة في العصر الهلينستي كانت أفضل إلا أن الإغريق ظلـــوا لا يبحرون في الشتاء ولكنهم فى الصيف كانوا يقومون بمغامرات يطرقون سبلاً غير معروفه من قبل [2] .

ويمكن القول بأن البطالمة اهتموا بطرق النقل الداخلي، وربطوا بعضها ببعضها الآخـــر؛ لنقـــل الحاصلات الزراعية، ولاسّيما الحبوب الغذائية والمنتوجات الصناعية إلى المخازن الرئيسة بالإسكندرية أو إلى ثغور البحر الأحمر تيسيراً لعمليات التصدير والاستيراد، وقد كان لاهتمام البطالمة بتربية المواشي – ومنها دواب الحمل – أثرهُ في نقل الحاصلات الزراعية من المناطق البعيدة إلى أقرب المـــوانئ النهريـــة لتنقلها المراكب من النيل إلى الإسكندرية، ومن ثم فإن البطالمة عملوا على تأمين تلك الطـــرق البريـــة وكذلك طرق القوافل بين وادي النيل وكل من البحر الأحمر والواحات، مثلما عملوا على تأمين الملاحة في النيل [3]. وإذا كان الاقتصاد البطلمي قد اعتمد على الزراعة والتجارة والصناعة وعُزز ذلك بالنقل لتسهيل تبادل السلع والبضائع ونقلها فما دور العملة البطلمية في تنشيط الاقتصاد البطلمي وتقويته؟

---

(1) Heraclides Crelicus Ced, F, Pfister, Die reisebilder des Heraclides (Vienna,1951.) p154.

(٢) فوزي مكاوي ، المرجع السابق، ص١٦١.

(٣) إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج٣، المرجع السابق ، ص ٦٥.

هـ – انتشار العملة البطلمية

لم يكن عصر البطالمة بداية حقيقية لاستخدام المصريين للعملة النقدية، لكن العملة في مرحلة ما قبل البطالمة كان استخدامها محدوداً جداً لا يتعدى مبادلات تجارية، هذا إذا ما قارناها بالمدن الإغريقية التي كانت تستخدم العملات بصورة أوسع، وعند قدوم البطالمة عملوا على سك عملة لهم، وعملوا على نشر تداولها داخل مصر وخارجها، من أجل تنشيط التجارة بوجه خاص، وكانت العملات البطلمية تسك من ثلاثة معادن رئيسة هي الذهب والفضة والبرونز، لكن أكثرها شيوعاً هي العملة الفضية، ولاسّيماً في عهد ملوك البطالمة الأوائل، وكانت العملة البرونزية تقدر قيمتها وفق وزنها [(١)]. ***(شكل ٢٧)***

وقد عمل البطالمة الأوائل على تحسين مستوى العملة البطلمية، ولاسيّما بعد لحوظهم ضعفها أمام عملات الدول الأجنبية في الخارج مثل روما وقرطاجة، ولاسيّما أن معظم السكان كانوا يميلون لاستخدام العملة الفضية، فأصدر بطليموس الثاني فيلادلفوس عملة لقت قبولاً لدى المصريين سكت من البرونز، شاع تداولها في السوق المحلية، ولاقت رواجاً كبيراً من التجار المحليين وبذلك ضمن الملك البطلمي تكدس العملتان الفضية والذهبية في الخزانة الملكية، لاستخدامها في بناء الإسكندرية والتجارة الخارجية وفي تقديم المساعدات والإعانات السياسية[(٢)].

كانت الدولة البطلمية محتاجة للعملات النقدية؛ لدفع أجور موظفيها إلى جانب ما يأخذونهُ عيناً، فعلى الرغم من أن النقود شاع استخدامها إلا أن فكرة التخلي عن عملية المبادلة العينية كانت صعبة نوعاً ما، مما أجبر الحكومة إلى العمل على التوفيق بينها، فأوجدت خزانة للمال لدفع الرواتب (المصارف) وإلى جانبها وجدت مخازناً لإعطاء العطايا العينية،عرفت بالمخازن الملكية [(٣)].

---

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، المرجع السابق ، ص ٨٥.

(2) Rostovtzeff. Op. Cit. PP. 400 – 401.

(٣) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، المرجع السابق، ص ص ٩٦ – ٩٩.

٣- الحياة الثقافية والدينية

كان ملوك البطالمة الأوائل يُريدون أن يكتسبوا لأنفسهم مكانة كبرى في العالم الإغريقي، فشملوا الحضارة الإغريقية برعايتهم، وعملوا على نشرها في دولتهم وتهيئة البيئة المناسبة لمعيشة الإغريق؛ ولذلك عنى البطالمة ببناء الإسكندرية في العالم القديم، وجامعتها ومكتبتها الكبرى، ونالت اهتماماً وعناية خاصة حتى غدت المكتبة من أعظم المكتبات قاطبة، وأصبحت الجامعة تضم خيرة رجال الأدب، والعلوم والطب، فتمتعت الإسكندرية بشهرة لا تبارى في الآداب والجغرافيا والرياضيات والطب والجراحة. (١)

وأسس بطليموس الأول كذلك مدينة بطليميس قرب أخميم (Akhmem)، ووفر لها سبل الحياة والنظم المألوفة في المدن الإغريقية، يضاف إلى هذا مدينة نقراطيس (كوم جعيف في البحيرة) تلك المدينة الإغريقية القديمة، التي أسست في العصر الصاوي (Sawe)، فكانت تنعم بما ألفتهُ من نظم الحياة الإغريقية وأساليبها. (٢)

ويبدو أن الهدف من وراء منع التزاوج وتحريمه بين مواطني هذه المدن وبين المصريين كان من أجل المحافظة على العنصر الإغريقي نقياً خالصاً في مدن مصر الإغريقية ، فلا عجب إزاء كل ذلك، إذا كانت حياة الإغريق الاجتماعية في تلك المدن مثل ثقافتهم الأدبية والعلمية والفنية إغريقية بحتة. (٣)

ولم تقتصر إقامة الإغريق في مصر على مدنها الإغريقية إذ إن الإغريق الذين ضاقت بهم هذه المدن، تفرقوا في أنحاء البلاد، واستقروا في المدن والقرى المصرية القديمة، أو القرى الجديدة التي أنشأها لهم البطالمة، ولاسّيما في الفيوم. وحيثما استقر عدد كاف منهم، كوّنوا لأنفسهم جاليات منظمة على نمط المدن الإغريقية، فكانت لها قوانينها وحكامها وكهنتها ومنتدياتها ومعاهدها ، وبذلك توفر لأعضاء تلك الجاليات قدر كبير من أساليب الحياة الإغريقية (٤).

---

(١) هالة حامد السطيحة، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٢) و. و. تارن، الحضارة الهلينستية، المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٣) هالة حامد السطيحة، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(4) Tau. Benschlag, Op. Cit. P. 221.

ويتبين من ذلك أن هؤلاء الإغريق كانوا شديدي الحرص على إغريقيتهم في جدهم ولهوهم، فلم تكن المعارف التي يتلقونها سوى معارف إغريقية. و لم يكن الأدب الذي يتلونهُ غير الأدب الإغريقي، و لم تكن الأغاني التي ينشدونها سوى أغانٍ إغريقية، وهكذا كانت حياة الإغريق الاجتماعية والثقافية والفنية في الأقاليم حياة إغريقية بحتة.

وعند وفود الإغريق إلى مصر أحضروا معهم آلهتهم ومذاهبهم، وأينما نزلوا شيدوا المعابد لمختلف الآلهة الإغريقية. وقد أظهر البطالمة إجلالهم واحترامهم للديانة الإغريقية واعترفوا بها رسمياً. ولما كان الإغريق يعيشون دائماً في أوساط خاصة بهم سواء في مدن مصر الإغريقية أم خارجها فإنهُ كان طبيعياً أن يستمر الإغريق في عبادة آلهتهم وإقامة شعائر مذاهبهم، كما كان طبيعياً أن تكون المدن الإغريقية أهم مراكز العبادة الإغريقية [1].

لقد أدرك البطالمة أن أكثر الإغريق وفدوا من مدن، اعتادوا على المشاركة في حكمها، في حين أن الحكم في دولة البطالمة كان ملكياً مطلقاً، ومن أجل تبرير سلطة الملك المطلقة في نظر الإغريق لجأ البطالمة إلى وسيلتين:

***الأولى** : اقتفى البطالمة أثر منافسيهم من ملوك مقدونيا وسورية في محاولة لتبرير سلطتهم المطلقة بآراء فلسفية، تظهر الملوك في ثوب المنقذين والخيرين، الذين وقفوا أنفسهم على رفعة بلادهم وإغداق النعم على الإغريق.*

***الثانية** : كانت دينية وانتهت بعبادة البطالمة باعتبارها عبادة إغريقية عامة في مصر.*

ولقد خطا بطليموس الأول الخطوة الأولى في إنشاء هذه العبادة، عندما جعل عبادة الإسكندر، ديناً إغريقياً عاماً في مصر، ليبرر سلطتهُ المطلقة في نظر رعاياه الإغريق، ومن ثم تصبح سلطتهُ بعد تأليه الإسكندر مستمدة من مصدر إلهي، وبذلك يحق لهُ أن يتمتع بسلطة شاملة مطلقة في مملكته، وهكذا وضع بطليموس الأول سنة تأليه ملوك مصر بعد وفاتهم، فعندما توفي، رفعهُ ابنهُ بطليموس الثاني إلى

(١) س. سونيرون، كهان مصر القديمة، تر. زينب الكردي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١١٧.

مصاف الآلهة، ولم تلبث هذه العبادة أن تطورت من عبادة الملوك بعد مماتهم إلى عبادتهم في الحياة وبعد الممات على حد سواء. [1]

ولما كانت الديانة الحقيقية للمصريين، قد ظلت مختلفة عن ديانة الإغريق، فلا عجب إذا لم تحقق الديانة الجديدة الغرض المنشود منها، فقد استمر المصريون يمارسون الحياة التي كانوا يألفونها ، ويعبدون آلهتهم ويتمسكون بعباداتهم وتقاليدهم وذكرى أمجادهم، ويحنون إلى الخلاص من مغتصبي بلادهم. وأغلب الظن أن المصريين كانوا يجتمعون في أنديتهم أو في المعابد أو في بيوت الأعيان، ولا شك في أن ثقافة المصريين بوجه عام كانت مصرية، وعلى الأرجح أنهُ لم يتعلم الإغريقية إلا نفر قليل منهم [2].

ويبدو أن معاهد العلم المصرية العالية كانت أكبر ضحية للسياسة العامة التي اتبعها البطالمة الأوائل، ذلك أنهُ حين بطش أولئك الملوك بجميع الطبقات المصرية عامة وبطبقة رجال الدين المصريين خاصة- وهم الذين كان منهم العلماء البارزون – وقبض أولئك البطالمة بيد من حديد على موارد البلاد جميعها وكانت من أهمها موارد المعابد المصرية، لم يتوان أولئك البطالمة في العمل على اجتذاب الإغريق إلى مصر (كما مر معنا سابقاً)، فأشركهم في الحكم وفي التمتع بخبراتهم ولم يتوانوا أيضاً في إظهار اعتزازهم بالحضارة الإغريقية، ولا في رعاية هذه الحضارة ، بإجزال العطاء بسخاء للعلماء والأدباء والفلاسفة والفنانين الإغريق، الذين أتوا إلى الإسكندرية، ويبدو أن المعاهد المصرية العليا ظلت تمارس في عهد البطالمة نشاطاً علمياً، لكن جل هذا النشاط إن لم يكن كلهُ كان مقصوراً على صيانة تراث الماضي من طغيان الثقافة الإغريقية عليه، ويبدو أن النتيجة المنطقية لانصراف العلماء المصريين إلى الحفاظ على تراث الماضي، والمزج بين الدين والعلم، كانت انحدار مستواهم ومستوى معاهدهم انحداراً شديداً مطرداً ضاعت في ركابه أهمية هؤلاء ، في الوقت الذي اتسمت فيه جامعة الإسكندرية بقفزاتها الرائعة في الدرس والبحث ونتائجها المثيرة في مجالات الأدب والعلوم والطب والجراحة، ولما كانت الأمية متفشية بين المصريين، وكانت المدارس المصرية قد أغلقت أبوابها دون الثقافة الإغريقية، فإننا نستطيع أن نوقن أن أغلب المصريين كانوا بعيدين عن مظاهر الحضارة الإغريقية، مع أنهُ لا شك في أن

(١) س. سونيرون، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، المرجع السابق ، ص ٤٤٣- ٤٤٥.

المصريين الذين شغلوا وظائف في الحكومة اضطروا إلى تعلم اللغة الإغريقية؛ لأنها أصبحت اللغة الرسمية، ولعل الطبقة العليا، من المصريين رأت في تعلم الإغريقية والنهل من موارد الثقافة الجديدة استكمالاً لمؤهلات أفرادها، ولعل ذلك كان أيضاً شأن تلك الفئة القليلة من المصريين الذين أخذوا على عهد البطالمة الأواخر يعملون على صبغ أنفسهم بصبغة إغريقية طمعاً في الفوز بمركز يعادل مركز الإغريق، بيد أنهُ لما كانت الطبقة العليا وكذلك فئة الوصوليين قليلتي العدد، وكان حظ أكثر موظفي الحكومة المصريين من الثقافة الإغريقية تافهاً، وكانت الغالبية العظمى من المصريين أميين، فلا بد إذاً من أن يكون تغلغل الثقافة الإغريقية بين المصريين محدوداً [1].

وفي هذا المجال نجد أن هؤلاء الملوك حرصوا منذ بداية حكمهم على أن تكون الإسكندرية عاصمة دولتهم بمكتبتها مركزاً للإشعاع الثقافي في العالم المتأغرق، ليكون لهم من ذلك قاعدة أدبية، يدعمون بها مركزهم ومركز دولتهم في هذه المنطقة ، وفي سبيل ذلك عمل البطالمة منذ البداية على أن يسيطروا بصورة فعّالة على كل ما يتعلق بالناحية الثقافية ،وهكذا نجدهم رغم تشبثهم بالصبغة الإغريقية للثقافة التي أرادوا أن تصبح الإسكندرية مركزاً لها، وابتعدوا عن الطريقة التي سارت عليها الثقافة الإغريقية حتى هذا الوقت، وتميزت بالطابع الفردي الذي ينبثق عن الشعب ويمثل جميع المذاهب والاتجاهات، ليدخلوا هذه الثقافة في نطاق حكومي، لابد أن يخضع في النهاية لتوجيه الحاكم، وكانت المدارس الفكرية وحلقات المنافسة والمعاهد الثقافية التي ظهرت في بلاد اليونان في مرحلة ازدهار الثقافة اليونانية، تمثل مذاهب يختلف كلاً منها باختلاف مؤسسه واتباعه ،دون التقيد بأي جهاز حاكم ، فالتعاليم السفسطائية[*] التي سيطرت على العقلية اليونانية كانت تمثل اتجاهاً حراً لا يخضع لتوجيه من أي هيئة رسمية أو حكومية وحلقات الدراسة والمناقشة التي كان يعقدها سقراط (Sokrates)، والتي كانت أساس الفلسفة السقراطية ،إنما قامت لترد على نظريات المذهب السوفسطائى والنظريات التي

---

(١) عبد العزيز صالح، وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، تاريخ مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص ٤٢١-٤٢٢.

(*) السفسطائية، هي مذهب فكري فلسفي نشأ في بلاد اليونان في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م، بعد انحسار حكم الأوليغاركية (الأقلية)، وظهور طبقة حاكمة جديدة ديمقراطية تمثل الشعب، هي طبقة السوفسطائيين، للمزيد انظر: Http: llejapat.google.com .

ترد في جوانب الأكاديمية التي أسسها أفلاطون (Aflaton)، والتي كانت تستغل بصورة واضحة، لتمجيد الحكم الارستقراطي، وكانت في الواقع رداً على اتجاهات الديمقراطية المتطرفة التي كانت سائدة في أوائل القرن الرابع ق.م [1].

دور المسرح السكندري

ومن المعروف أن المسرح الإغريقي كان لهُ تأثير لا يستهان به على المجتمع بصفة عامة، كما ارتبط ارتباطاً وثيقاً بقضاياه، حيث كان شعراء المسرح لا يُعبرون فحسب عن الآراء السائدة في عصرهم ومجتمعهمُ، إنما كانوا يسهمون بأساليب مختلفة في خلق اتجاهات وآراء جديدة، أما مسرح الإسكندرية، فلم يؤدِ الدور نفسه إذ لم يكن مسرحاً قومياً، وإنما كان للتسلية؛ نتيجة سيطرة البطالمة على كل مناحي الحياة [2].

وحين ننظر إلى الإسكندرية نجد أنها كانت مدينة ذات صبغة تجارية واضحة في عصر بطليموس الأول، وما لبثت أن أصبحت تحت حكم بطليموس الثاني مركزاً مهماً للأدب والعلوم، وفي مدة وجيزة عاصمة العالم القديم، وإذا أخذنا في الاعتبار أن الحكام البطالمة، كانوا حريصين كل الحرص على استقطاب مشاهير الشعراء والممثلين وتوفير كل سبل الراحة لهم ، فضلاً عمّا يقدمونهُ لهم من امتيازات مالية هائلة، فإن كل ذلك لا بد أن يدفع هؤلاء إلى تفضيل مدينة الإسكندرية على أي مكان آخر في العالم الهلينستي، ومن ثم حظي مسرح الإسكندرية على شهرة فائقة في عهد بطليموس الثاني حتى صار من أشهر مسارح العالم القديم قاطبة [3].

ومن الجدير بالذكر ، أن الإسكندرية في تلك المرحلة قد ظهرت فيها مجموعة من الروابط الحرفية (النقابات) والتي كانت رابطة المسرح التي يرأسها الشاعر فيليسكوس (Philiscus) إحدى هذه الروابط، ونستدل من ذلك على أن المسرح والمشتغلين به، كانت مهنة لا تقل أهمية عن غيرها من

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى ، دراسات في العصر الهلينستي المرجع السابق،ص ص١٨٦- ١٨٨.

(2) H. Baldry , The Greak Tragic Theatre, chatte, Windus, London, 1978, P. 135.

(3) A. E. Haigh, the Tragic Drama of the Greeks, Dover Publications, New York, 1968, PP. 441 – 442.

المهن في ذلك الوقت، وقد ساعد وجود هذه الرابطة على ازدهار المسرح الإسكندري، وحين اختفت هذه الرابطة واجهت المسرح الكثير من العقبات [1].

ويحيط بمسرح الإسكندرية الكثير من الغموض سواء من ناحية الموقع الذي أشار إليه **بوليبيوس** (**Polybius**) دون التطرق لأية تفاصيل، أم من ناحية الشكل الذي لم يتطرق إليه أيضاً أي من هذه المصادر، التي تحدثت عن الإسكندرية القديمة، ومعظم اعتمادنا في استسقاء معلوماتنا عن المسرح السكندري كان على الكتّاب القدامى، الذين زاروا الإسكندرية، وقدموا وصفاً لها، وأقدمهم **بوليبيوس**، الذي أطلق على المسرح السكندري اسم المسرح الديونيس (Dunis) ، مما يظهر الصلة الوثيقة بين المسرح وبين عبادة الإله ديونيسيوس (Dunisus) . [2] والمصدر الثاني **ليوليوس قيصر** (**Caesar**) في النصف الثاني من القرن الأول ق. م . حيث ذكر قيصر أن المسرح كان مجاوراً للقصر الذي سكن فيه عند وصوله الإسكندرية وكان القصر متصلاً بالمسرح حيث اُتخذ المسرح حصناً دفاعياً . [3] والمصدر الثالث كان **إسترابون**، حيث يتحدث عن الحي الملكي، ويذكر أن المسرح كان يقع إلى أعلى الميناء بالقرب من معبد الإله بوسيدون (Posidon) . [4]

كذلك كان **فيلون السكندري** (**Philo**) أحد تلك المصادر، حيث ذكر أن مسرح الإسكندرية كان مقراً لاجتماعات الشعب الثائر (فترة حكم كاليجولا) (٣٧ – ٤١ م) . [5]

ومن الواضح أن العصر الهلينستي لم يتمثل في ثقافة واحدة أو تغير ثقافة واحدة وإنما هي دمج بين العديد من الثقافات، ومن ثم فإن المنطقة لم تصبح ذات سياسة واحدة، ولا ذات حضارة واحدة، وإنما هي مزيج بين الحضارات، ولكنها إذا لم تندمج الاندماج الكامل في كل الجوانب، فإنها من الجانب الآخر لم تعد تتمثل في ذلكما العالمين المتباعدين المختلفين في كل شيء ،وإنما أصبح الشرق والغرب في المنطقة يمثلان قسمين من عالم واحد تقوم فيه كل إمكانيات الاتصال الإيجابي السهل بين هذين القسمين.

---

(1) A. E. Haigh , OP. Cit. P. 443.
(2) Polybius , Histories XV. 30, 4.L.C.L
(3) Caesar , De Bello Civili III , 112,8.L.C.L
(4) Strabon , Geographika XVII , 1.9.L.C.L
(5) Philo , In Flaccum 41.L.C.L

وقد كانت همزة الوصل أو الإمكانية التي من خلالها أو بفضلها جرى ذلك الاتصال بين جميع أرجاء المنطقة هي الثقافة الإغريقية التي قامت على ركيزيتين أساسيتين:

الركيزة الأولى: هي اللغة اليونانية التي أصبحت لغة الثقافة فى المنطقة بأكملها، والتي أصبحت تمثل جواز المرور لكل من يريد أن ينال الحظ من ثقافة هذا العصر ،بل أصبح هناك بين لهجات العالم اليوناني المتعددة لهجة إغريقية مشتركة، أو عامة من الممكن أن تحمل الإنسان عبر المنطقة بأكملها من غربها إلى شرقها والعكس. وهكذا يمكن أن نقول إن اللغة الإغريقية في لهجتها المشتركة أو العامة أصبحت لغة التفاهم، أو التعامل الدولي إلى جانب كونها لغة لثقافة العصر .

أما الركيزة الثانية: فهي الثقافة اليونانية بالمعنى الواسع لها ، فالإغريق أنفسهم الذين هاجروا في أعداد غير قليلة، إلى مختلف أرجاء المنطقة في أعقاب فتوحات الإسكندر، ولاسيّما بعد أن أقام خلفاؤه دولهم الجديدة على أنقاض الإمبراطورية، حاولوا أن يجتذبوا أعداداً كبيرة من الإغريق سواء للاعتماد عليهم كجنود مرتزقة أم كفنيين في جميع المجالات سواء كان ذلك في مجال الإدارة أم الصناعة أم التجارة أم غير ذلك .

ومن هنا فقد كان الإغريق عنصراً مشتركاً في المنطقة بأكملها باعتبارهم سكاناً كما كانت تمثل لغتهم همزة وصل بين أقسام المنطقة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي إيجابيات وسلبيات العصر الهلينستي؟

ثانياً: إيجابيات العصر الهلينستي وخصائصهُ

يمثل العصر الهلينستي من بعض النواحي مرحلتين من مراحل الحضارة، أثمرت في أولهما العلوم والفلسفة والآداب، وغيرها من مظاهر النشاط الفكري، في ظل عالم إغريقي مقدوني مستقل [١]. وأما في المرحلة الثانية، فقد نضب معين الإنتاج العقلي الإغريقي فيها، مما جعل الممالك الشرقية، ومنها مصر تثور في وجه الغرب الإغريقي، وحين كانت هذه الثورة تهدد العالم الإغريقي المقدوني انقضت روما على هذا العالم واستولت عليه، وآلت إليها زعامة الحضارة الإغريقية [٢]. و يمكن أن نعزو ضعف النشاط العقلي في المرحلة الثانية إلى عاملين :

***الأول** : نقص عدد الإغريق الأصليين بانتظام بعد سنة ٢٠٠ق.م.*

***والثاني** : مجهودات روما في تحطيم الروح المعنوية بين الإغريق [٣].*

ويمثل العصر الهلينستي من نواح كثيرة وحدة واحدة، ذلك أنه على الرغم من أن الدول الإغريقية تمسكت من الوجهة العملية بمبدأ الانفصالية والاستقلال، فإنه من الوجهة النظرية خلفت فكرة العالمية، ومن ثم نشأت فكرة وجود عالم واحد (Oikoumene) يعدّ ملكًا مشتركًا للبشر المتحضرين، ومن أجله وجدت لغة مشتركة (Koine) ساعدت التقرب بين عناصر هذا العالم، فقد أخذ المتعلمون في كل مكان، يستعملون لهجة واحدة، والتي نشأت منها تدريجًيا اللغة الإغريقية الهلينستية، ويعتقد بعضهم أنها اللغة التي كتبت بها التوراة الجديدة. وإذا كانت اللهجات المحلية بقيت مدة طويلة في بعض الأحيان، فإنه لم يأت القرن الأول حتى كانت اللغة المشتركةُ مستعملة في كل مكان [٤]. ولكن ما هي إيجابيات ذلك العصر؟

---

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج١- ط٥، القاهرة، ١٩٨٠. ص٤٠.

(2) CF. Samuel. A.E. Ptolemaic chronology. P. 44.

(3) W. W. Tarn , Op. Cit.,PP. 79. 125.

(٤) محمود إبراهيم السعدني، مصر فرعون البطالمة والرومان، المرجع السابق ، ص ١١٣.

انتشار التعليم

ويمتاز العصر الهلينستي بانتشار التعليم وتقدمه، ولا أدل على ذلك من أن المواطن (Gymnasiarch) الذي كان يناط به الإشراف على التعليم في الدولة الإغريقية، أصبح أهم حكامها. وانتشرت المدارس الأولية للبنين والبنات في أكثر المدن الإغريقية تحضرا، بل كان الأولاد والبنات يتعلمون معًا في بعض المدن مثل تيوس (Teos) وخيوس (Chios)، وكان ذلك من قبل في أسبرطة. ويبدو أن تعليم البنات كان يقف عند انتهائهن من هذه المدارس. أما الأولاد فإنهم كانوا ينتظمون بعد ذلك في سلك الجمنازيوم (gymnasium)، ويتلقون فيه عادة في التاسعة عشر، أو العشرين من عمرهم تعليم الشبان، (Ephebeia) ، وكان الهدف لهذا التعليم تدريبهم عسكريًا، لكنه كان يشمل أيضًا تثقيفهم؛ لأن التدريب العسكري في بعض المدن إجباريًا، لكنه لم يلبث أن أصبح اختياريًا. وقد أوجدت اللغة المشتركة، والتعليم حضارة مشتركة في العالم الإغريقي، انتشرت في كنفها الآداب والفلسفة، وعمت في ظلها حرية الفكر والقول، وزالت الكراهية العنصرية [1].

أ – المتحف (دار العلم)

وعلى أية حال فقد كان بطليموس الأول هو منشئ المتحف (دار العلم)، كما يسميها الباحثون والمكتبة الملحقة به، ولقد جرى تطويرهما وازدادتا ثراءًا في عهود الملوك التاليين، واستمرتا كمركز ثقافي وكملتقى هام حتى القرون الأولى من الحكم الروماني، ولقد كان المتحف في الأصل مكانًا مقدسًا يجري فيه أداء الشعائر الدينية لآلهة اليونان، التي كانت مسؤولة عن حماية الفكر، ونشاطاته ويجب ألّا نتصور هذا المتحف (Mouseion) في الصورة، التي نجد عليها متاحفنا اليوم حتى لو كان الاسم يرجع إلى المصدر نفسه، إن الأمر كان يتعلق أكثر بمعهد للبحوث في مؤسسة ملكية أنشئت

---

(١) محمود إبراهيم السعدني ، (دور الجمنازيوم في مصر اليونانية- الرومانية) بحث قدم في مؤتمر (تطور علوم الرياضة والتربية الرياضية) المنعقد في كلية التربية الرياضية، جامعة المينا، – ٢٤- ٢٦- مارس ١٩٨٧.ص ص ٣-٦ ؛ محمد حمدي إبراهيم، (التعليم في مصر اليونانية الرومانية)، رسالة دكتوراه باليونانية غير منشورة، أثينا ، ١٩٧٢، ص ص ٢٤٠-٢٥٥.

بجوار القصر وممتلكاته، وكانت تتمتع بإمكانيات مالية كبيرة بفضل إغداق الملوك، وهذا الإغداق كان في المقابل يزيد من اعتبارهم ومن تأثيرهم بين الناس [1].

لم يكن هذا المتحف منشأة معزولة، فقد وجدت مؤسسات مشابهة له في كثير من المدن الملكية وفي كبرى المدن الإغريقية، كانت توجد مراكز للبحوث ملحقًا بها مكتبات في غير الإسكندرية، وبصفة خاصة في برجاموم، وبعضها – ولاسّيما فيما كان يتعلق بالنشاط الفلسفي – كان سابقًا من الناحية الزمنية على متحف الإسكندرية، والطراز الذي أُتبع في متحف الإسكندرية كان إغريقيًا نقلهُ ديمتريوس الفاليري[*] (Demetrus Faliri) ، وقد أشار بعضهم أيضًا إلى وجود أصول مصرية لهذه المنشأة، تمثلت فيما كان يسمى ببيوت الحياة، وكانت هذه البيوت مؤسسات ثقافية ذات طابع ديني، وهي ملحقة بالمعابد، كما توجد مكتبات في بعض المعابد مثل معبد أدفو على سبيل المثال الذي كانت توجد فيه خزائن، بها أدراج تحوي لفائف البردي، وأيًا ما كان الأمر، فإن الفكرة بصفة أساسية إغريقية المصدر والتأثير إلا أنهُ لم يحدث من قبل أن وجدت منشأة على هذا القدر من الاتساع والشمول، ووقفت وراءها إرادة سياسية لم يكن لها مثيل من قبل، فقد خصص البطالمة وسائل مالية هائلة لهذه المنشأة، التي كانت تهدف إلى جمع شامل للمعارف والمفكرين، وقد حقق البطالمة هنا أهم أعمالهم وأكثرها أصالة وأبقاها عبر الزمن [2].

جذب البطالمة إلى دار العلم أشهر العلماء والمفكرين، وهؤلاء كانوا ينصرفون فيه إلى البحث بعيداً عن الشواغل المادية، ومن المؤسف أن المتحف، لم يبق منهُ أي أثر بعد اختفائه تماماً مع الحي الملكي، ولكن استناداً إلى الشهادات الأدبية المحفوظة، يمكننا أن نتصور ما كان يزخر به من حدائق وأروقة ومنتزهات مليئة بالأشجار ، وكان يحوي قاعة مجهزة بالمقاعد للمحاضرات وصالة للطعام،

---

(1) A. K. Bowman. Egypt after the pharaons 332 B. C. 642. From Al – Exander to the Arab conquest, London. 1986. PP. 509 – 512.

(*) ديمتريوس الفاليري، هو أحد تلاميذ أرسطو وأحد اللاجئين إلى الإسكندرية عام ٣٠٧ ق. م، وأصبح يعدها مستشاراً لبطليموس، انظر ، جونيفيف هوستون ودومينيل فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، تر: فؤاد الدهان، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

وكان نزلاء دار العلم، يتمتعون بميزات كثيرة أخرى مثل الإعفاء من الضرائب، وكانت توجد به أيضاً صالة لتشريح الأعضاء [1].

ب – المكتبة

لا شك في أن مكتبة الإسكندرية كانت أشهر المكتبات في العالم القديم بأسره، غير أنها لم تكن الوحيدة في مصر، فتوجد مكتبة السرابيوم (SeraPum) في معبد سيرابيس (SeraPies)، الذي كان مقاماً في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة على ربوة راكوتيس (Rakoties)، وكان يتولى إدارة المكتبة أمين يختار من بين أشهر العلماء، وكان أول من تقلد هذه الصفة هو عالم اللغة زنودوتوس (Zenodote) الذي كان متخصصاً في الترجمة لهوميروس (Hoerous)، ولا نعرف على سبيل التأكيد ترتيب الأمناء الذين خلفوهُ ولكن يمكن أن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشاعر أبولونيوس الرودسي (Apollonios)، والجغرافي أراتوشيس (Eratoshies)، وعالم اللغة أريسطوفان (Aristophane)، وكان أمناء المكتبة هم في الوقت نفسه مؤدبو الأمراء، مما يبرز مرة أخرى الطابع الملكي لنشأة المكاتب ودور العلم[2]. ولكن ما مكانة ودور المرأة في العصر الهلينستي ودورها؟

المرأة في العصر الهلينستي

لقد كان لبعض النساء المقدونيات كما أسلفنا مثل أرسينوي فيلادلفوس، وكليوبترا السابعة دور كبير حتى على رجال عصرهن، ومن القصور المقدونية امتدت الحرية النسبية إلى النساء اليونانيات العاديات، فاستطاعت من شاءت منهن أن تتحرر إلى حد بعيد من ربقة التقاليد القديمة، فكان في الإمكان آنذاك أن تحصل النساء على كل ما يردن من التعليم، فظهرت بينهن في القرن الثالث الفيلسوفة والشاعرة والفنانة. ووجدت أندية خاصة للنساء في أثينا والإسكندرية، لكنه لا شك في أن هذه الحرية لم تكن إلا من نصيب الأقلية من نساء هذا العصر. وربما كان لظهور أندية السيدات صدى للاتجاه

(1) R.Bogaert. Lestatut des banques en Egypte Ptalemaique , L'antiquite Classiaue , 50, 1981, PP. 86 - 99.

(٢) مصطفى العبادي، العصر الهلينستي، (مكتبة الإسكندرية)، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٥١.

الذي نشط في العالم الإغريقي منذ سنة ٣٠٠ق.م نحو تكوين جمعيات صغيرة كانت قبل كل شيء اجتماعية ودينية تقوم حول عبادة إله معين. وأخذت تظهر أيضًا في أثينا جمعيات عرفت بحرف أصحابها، لكن نقابات أصحاب الحرف لم تعرف في العصر الهلينستي إلا في مصر، وقد كانت هذه الأندية أو الجمعيات تتخذ من نظم الدول أساسًا لنظمها، فكان لها من الحكام مثل ما كان للمدن، وكانت تصدر قرارات مثل المدن، لكن لم تكن للأندية عادة أغراض سياسية، وكانت المرأة الإغريقية تؤدي دورًا بارزًا وأساسيًا في أنشطة هذه الأندية [1]. وإذا كان من أهم إيجابيات العصر الهلينستي انتشار التعليم ودور المرأة المقدونية البارز في جميع المجالات داخل المجتمع . فما هي أهم سلبيات العصر الهلينستي وتداعياته على البطالمة ومصر؟

(1) R. Bogaert. Op. Cit. PP. 103 - 106.

ثالثاً – سلبيات العصر الهلينستي

من الواضح لدينا أن العصر الهلينستي كان به أيضاً العديد من المتناقضات، أو السلبيات أدت إلى سقوطه واضمحلاله ولعل من أهم تلك السلبيات التي وجدها المؤرخون في هذا العصر ما يأتي :-

سخاء الأغنياء وقلة الأجور

كان من أبرز مظاهر هذا العصر الزاخر بالمتناقضات، ذلك الفرق الشاسع بين سخاء الأغنياء وقلة الأجور، فقد كان الأغنياء على أتم الاستعداد للتبرع بأموالهم في خدمة الدولة بقدر ما كانوا غير مستعدين لدفع أجور مناسبة لمأجوريهم، فكثيرًا ما لبى الأغنياء نداء دولهم فأعاروها مبالغ كبيرة دون أرباح، أو تبرعوا لها بهذه المبالغ، أو أخذوا على عاتقهم إنشاء معبد أو جسر أو سفينة حربية أو إقامة حفل عام أو تمثال. وعلى الرغم من هذه الروح النبيلة، فإن الناس في هذا العصر، لم يعرفوا الإخاء كما تعرفه اليوم، أو بعبارة أخرى مساعدة الأغنياء للفقراء بطريقة منتظمة مثل إنشاء جمعيات خيرية أو مستشفيات أو ما شابه ذلك [1].

اضطرابات اجتماعية

كان هذا العصر حتى أوائل القرن الأول ق.م عصر رخاء بوجه عام للطبقات العليا، ونستدل على ذلك من رواج التجارة، وانتشار الأندية وإقامة الحفلات، والترف في المأكل والملبس، والعناية بتخطيط المدن وبناء المنازل وأثاثها [2].

وقد أدى تدهور قيمة النقد نحو سنة ٣٠٠ ق.م إلى ارتفاع الأسعار، لكنه لم يقابل ذلك ارتفاع مماثل في أجور العمال بل أحياناً هبوطها، فاتسع الفارق بين الأغنياء والفقراء؛ مما أدى إلى اضطرابات

---

(١) عبد اللطيف أحمد على ، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨١ص ص٣٠،٣٦.

(2) R. Bogaert. Op. Cit. P. 107.

اجتماعية، ساعد على اشتعال لهيبها مذاهب الرواقيين التي كانت تنادي بالمساواة والإخاء [1]. ومن جملة سلبيات العصر الهلنستي في الشرق ما يأتي :

١- قيام الحروب المستمرة بين المملكتين الجارتين السلوقية في الشام والبطلمية في مصر، طيلة النصف الأول من القرن الثالث ق.م، ولاسيّماً على جوف سورية، وسميت حروب الجارين باسم الحروب السورية أشهرها الحرب الأولى والثانية والثالثة في السنوات ٢٧٥- ٢٦١- ٢٤٥ ق.م [2]. وهذا في اعتقادي دليل واضح على أن فكرة العالمية التي نادى بها الإسكندر، لم تستمر بمجرد موته.

٢- ظهور ما يعرف بزواج الإخوة بين أفراد البيت الحاكم، حيث تزوج بطليموس الثاني فيلادلفوس بأخته أرسينوى والتي كانت ذات تأثير قوي عليه. حتى إنهُ صنع لها عملة خاصة بها ومنحها صفة الألوهية إلى جانبه [3].

٣- شيوع ظاهرة قتل الإخوة والأخوات والأمهات والزوجات. وكان ذلك أيضاً يحدث داخل القصور الملكية المقدونية، كان ذلك من أجل تيسير الحصول على الامتيازات الخاصة، والوصول إلى الثروات والأمثلة على ذلك كثيرة أهمها مقتل والدة الملك فيلوباتور ومقتل أخيه أيضاً مما يشير بأصابع الاتهام إليه أي إلى فيلوباتور أو إلى أحد أعوانه [4].

٤- في كثير من الأحيان لم تكن المرأة المصرية ذات دور فعَّال في المجتمع المصري زمن البطالمة، ولم تتاح لها الفرصة لتشترك بصفتها عضواً في جالية من الجاليات الأجنبية، فلم تعطَ أساساً تلك الصفة، فكانت في نظر الكثير أنها لا تتمتع بمكانة اجتماعية ولا بقدر من الاستقلال الذاتي، ولم يكن القانون يكفل لها أن تتصرف في نفسها أو فيما تملك، بل كان يعدّها قاصراً، ويشترط وجود وصي شرعي في كل احتياجاتها وتصرفاتها، وفقاً لأحكام ذلك القانون، فقد كانت المرأة تخضع

---

(1) Rostovtzeff. Op. Cit. P. 403.

(٢) محمود إبراهيم السعدني ، دراسة تفصيلية عن تصور العلاقات بين المملكتين المقدونيتين الجارتين السلوقية في سورية والبطلمية في مصر ، مجلة الدراسات الأثرية، العدد الثاني، ١٩٩٩م. ص٨٢.

(٣) هـ .أيدرس بل، المرجع السابق، ص ٧٦ هامش (٢).

(٤) المرجع نفسهُ، ص ٧٨، هامش (١).

قبل الزواج لوصاية أبيها وبعد الزواج لوصاية زوجها، ومن بعده لوصاية ابنها أو أبيها أو جدها أو أخيها، بصفتهم اقرب أقاربها، وأحق الناس بالوصاية عليها، وإذا لم يوجد فعليها أن تلجأ للحكومة لتعين لها وصي [1].

وهكذا يتبين مما تقدم أن العصر الهلينستي، قد شهد تطور في الاقتصاد المصري، وله إيجابيات تمثلت في انتشار التعليم والثقافة والأدب، وأصبحت الإسكندرية عاصمة للعالم القديم ولكن في الوقت نفسه، حمل معه سلبيات أهمها سخاء الأغنياء، وقلة الأجور التي يدفعوها للعمال والتفاوت بين الطبقات المكونة للمجتمع، فضلاً عن الحروب بين البطالمة والسلوقيين مما كان لها بالغ الأثر في إضعاف قوة البطالمة وسقوطها لاحقاً.

(1) R. Tauben Snblag , the low of Greco – Roman Egypte in the ligt of the papyri, 1955. P.597.

الملخـــص

Summary

Summary

The Macedonian invasion represents the oldest organized foreign invasion that has achieved its objectives by occupying the old Orient and exploited it economically for its advantage. but despite the military-political success of that campaign, its cultural influence still superficial and does not affect more than their capitals and the main centers of its ruling, as was the case in Alexandria in Egypt, Antioch in Syria, and Babylon in Iraq, while we find the opposite on the other hand, where the Eastern influence imposes itself in many cases not by the force and arms as many of the Macedonians had gave up themselves to the huge heritage of the East and melted in it, so they started to seek a way out of their sprawling empire which was govern by force of arms, and do not have the means to ensure their power and sovereignty but this heritage, therefore, they resorted to all political methods to achieve a kind of political unity under their command, and thus Alexander resorted under the impact of the old Orient conventions in the sanctification of their kings and raising them to the ranks of the gods, went ahead to idolize himself, making his comrades angry of him and they tried to get rid of him and kill him many times. Alexander created an easy and simplified language derived from the ancient Greek called (Quiny) which means the common language to bring together the people of all the empire. Ptolemy the first also -after being independent with Egypt, without the rest of the Macedonian empires- created a new religion is the worship of (Serapeis) for the Egyptians who were not convinced with it and failed miserably at home, and we did not hear about it except in a few documents and inscriptions outside the Egyptian border or in the records of the official state only.

Most historians agree on that the biography of Alexander the Great was marked a new era in human affairs, not only because it unified the pieces of the known world at that time, but also because it made it as one beating heart to distribute the population movements and historical changes in the axes of different characteristics as well. because Alexander as thought has believed in the establishment of unity between all human

beings, he found in Alexandria, the easiest way and the perfect place where he could collect the spectra of his empire which is stretchs from Greece to north Africa and South of the heart of Asia, hence the community of Alexandria came since the beginning of its composition as the embodiment of the idea of global city containing varieties of races melting in one crucible of humanity and civilization, as many Egyptians were taken from the Greek language, and took to themselves a Greek names, and did not find it difficult to utilize as much as possible from the new changing situation.

But is that what has happened to the social situations of Egypt in general and Alexandria in particular?

The answer on this question provides a fertile ground and broad scope in which the opinions compete and try to prove or suggest one of the scales, and this is what a lot of researchers had tried to work on reducing the value and the extent of the capacity and the spread of the Greek culture and its impact on Egyptian culture, though those things, as I think, are not in need of interpretation. Whatever, the Ptolemaic Alexandria civilization came to follow the Egyptian civilization funeral, which is on its way to wilt under the political shift that did not allow to Egypt to have the opportunity of self-determination.

Research's problem:

The problem of the research is represented by the attempt to identify the main factor behind the real aspiration of Macedonia during the reign of Alexander to control the East, and was Alexander during his entry to the East especially Egypt depended on auxiliary cultural and religious factors for reaching to his goals? Especially that the Persian period negativities that preceded the coming of Alexander had over shadowed strongly and clearly in Egypt, which push its people effectively to ally with Alexander perhaps because they saw him as a life jacket which made Alexander to exploit this psychological factor, to achieve his ambitions.

Here, we can ask a set of questions through this research, which represent the basic divisions of the study as the bulk of this study is based on questions, which are:

- Is it really was a campaign of Alexander the Great on the East aimed only to discipline the Persians and to revenge of them? Or there are other motives for it.
- Was the campaign of Alexander a national campaign on for the Greek people? Or the whole campaign is for the interest of the Macedonians, the owner of the idea and the performer?
- did the cities of Greece basically respond with the idea of blending their civilization with what was found in the East? That is, if we suppose that the goal of the campaign was cultural in all of its aspects?
- On the other hand, did the East have the ability to assimilate and respond to the imported civilization from Greece, including Egypt, or that the strength of the Eastern and Egyptian civilization precisely was the reason for its refusal?
- did the campaign have succeeded in achieving its originally unclear goals?
- did Alexander's idea of world domination has succeeded or it is lost by his successors?

Divisions of the research:

This research is divided into an introduction, an introductory chapter, four main chapters, a conclusion and a list of references and appendices for maps and charts.

The introductory chapter entitled as "ancient Egypt situation before the advent of Alexander", and it includes three main elements, namely:

1. Historical and geographical overview of ancient Egypt.
2. Historical and geographical overview of Greece.
3. A historical overview about the Egyptian-Greek relationship before the Macedonian invasion.

The first chapter entitled "Macedonia from the leadership of Greece to the country's expansion and domination in the era of Alexander", which is also contains three key elements:

1. The leadership of Macedonia to Greece.
2. A profile about Alexander (his life - growing up - ascending the throne).
3. Alexander the Great and the preparation for the campaign to invade of the East.

The second chapter entitles the stages of Alexander's campaign course until he entered Egypt, and the chapter is divided as follows:

1. Asia Minor and the battle of Issus.
2. Syria and Phoenicia.
3. The organizations of Alexander that he developed in Asia Minor, Syria and Phoenicia.
4. Alexander's entry to Egypt.
5. Invasion of what beyond the Euphrates and India.
6. Alexander's civilization thought and the emergence of the idea of global domination.
7. The death of Alexander and the end of the campaign.

The third chapter is entitled as "the heirs of Alexander in Egypt", with its most important axes are:

1. The first steps of the transition of power from Alexander to the Ptolemies.
2. Ways of Governance of the Ptolemies in Egypt, and the most important achievements of the kings.
3. Egypt's foreign relations with the Seleucids and the Romans.
4. Cyrenaica under Ptolemaic rule.
5. Egypt a Roman province.

Chapter four is entitled as “Egypt and the Hellenistic civilization”, and the chapter is divided as follows:

1. Systems landmarks and the Egyptian civilization in the Hellenistic age:
   a. The structure of the society.
   b. Economic systems.
   c. The cultural and religious life.
2. The advantages of the Hellenistic period in Egypt and its properties.
3. Disadvantages of the Hellenistic period.

Finally, this study is appended by a conclusion that includes many results of this research. The study is also appended by annexes which include interesting maps and charts for this study.

الخاتمة

خـــاتمـــة

هكذا يتبين من خلال البحث في موضوع **الغزو المقدوني للشرق وآثـــاره الحـــضارية (مـــصر أنموذجاً ٣٣٦-٣٠ ق.م**) أنه منذ فجر التاريخ كانت مصر محط أنظار الغزاة؛ بسبب موقعها المتميـــز بين عالم الشرق القديم بأكمله، ونتيجة لتقارب مناطق مصر الداخلية، سهل ذلك الأمر على الغزاة أن يتحركوا داخلها بكل يسر وسلاسة، ومن المعلوم لدى الكثيرين أن أغلب من حكم مصر لـــيس مـــن أبنائها، فكان كل همهم هو جمع المال وسلب خيرات هذه البلاد، وإرسالها إلى بلادهم، حتى إن كانت مصر من ضمن البلاد التي قد احتكرت بعض السلع، فإن الغازي أو الحاكم غير المصري قام بكسر هذا الاحتكار حتى لا يصبح لمصر أي احتكار خاص لصناعة بها مثل (صناعة ورق الـــبردي الـــتي كانـــت تحتكرها مصر في القديم).

كما اتجه الكثير من ملوك وحكام مصر منذ عهد الإسكندر الأكبر و من بعـــده البطالمـــة إلى محاولة صبغ الحضارة المصرية بالحضارات الأخرى وذلك بالانفتاح على العالم، فأرسلوا إليها الكثير من البعثات الإغريقية ولكن ظلت مصر محتفظة بثوبها الذي كان يبدو من الظاهر قد دخل عليـــه العنـــصر الإغريقي إلا أنه وفى داخله ظل يحتفظ برونقه ولمعانه المصري الأصيل .

وعلى الرغم من ذلك نلحظ أن مصر كانت تفضل غازي على غازي آخر، فقد كانت مصر كارهة للحكم الفارسي عليها؛ وذلك بسبب ظلمه واستبداده وسلبه لخيرات مصر، إلا أنها ومنذ مجيء الإسكندر كانت ترحب به، وتعزز قدومه لدرجة أن شعبها عده ابن للآلهة، أو تابع لها ،وهذا ما يوضح اختلاف السياسات بين الغزاة ،حيث إن هناك من الغزاة من يدخلون الدول الضعيفة بالسيف وهنـــاك من يدخلها بسياسة الملاينة، ولكن الهدف في النهاية واحد وهو ضم هـــذه الدولـــة إلى بـــاقي بـــلاد الإمبراطورية الخاصة به، مع اختلاف قبول هذه الدولة أو رفضها، ومن الملاحظ أن الإسكندر قد قـــدم الكثير لكسب رضاء شعب مصر ،حيث إنه قدس آلهتهم واعتنقها وزار المعابد، وأكرم الكهنـــة وكـــل ذلك لعلمه أن للكهنة دوراً كبيراً في السيطرة على روح الشعب المصري .

وسار على نهج الإسكندر بطليموس الأول في كسب ود الشعب المصري حتى لا يقال عنه إنه سيطر على مصر وولايتها لأطماع لديه وليست حفاظاً على ممتلكات صاحبه الإسكندر .

ولكن الوضع قد اختلف من بعد بطليموس الأول ومنه إلى نهاية عصر البطالمة؛ وذلك كان لأسباب عديدة منها:-

١- إما التفاف مجموعة من الطامعين حول حاكم مصر وما كان لديهم من أطماع في تسيير حكم مصر من خلالهم، وكان ذلك لصغر سن الحاكم، وعدم قدرته على حكم إمبراطورية كبيرة مثل إمبراطورية البطالمة .

٢- أما السبب الآخر، فهو ظلم الحاكم نفسه وأطماعه الشخصية التي كانت تتمثل في جمع المال والانحراف إلى الشهوات من النساء وغيرها من الصفات السيئة المنعدمة الأخلاق مما جعله ينسى شعب مصر، مما أدى إلى سقوط هذا الشعب في البؤس والفقر والجوع والظلم، وما كان لهذا الشعب إلا الصبر في بعض الأحيان أو الثورة وعدم السكوت في بعضها الآخر، ولكن ما كان من الحاكم إلا التجاهل والنسيان .

وكل ذلك أدى إلى ضعف مصر بين بلاد العالم وتهميشها، وتقسيم الغزاة لها كيفما يشاؤون، ثم تنتقل مصر لتصبح ولاية رومانية، وتدخل إليها حضارة جديدة، قد تجعلها مختلفة في صورتها وفي رونقها الظاهري ويظل أهل مصر كما كانوا من قبل محتفظين بالرونق الداخلي لهم على مختلف العصور .

ونتيجة لكل ما تقدم يمكننا أن نقدم حقائق هي في أغلبها نتاج ثقافي ديني سياسي لمرحلة اتسمت بمتغيرات عدة وهذه الحقائق تتمثل في الآتي :

- إن الغزو المقدوني لمصر القديمة بصفة محددة باعتبارها أنموذجاً لدراستنا، وضع حداً فاصلاً بين عصرين في تاريخها أي مصر القديمة . العصر الفرعوني والعصر الهلينستي الروماني، يتضح من خلال ذلك مدى استجابة مصر للفاتح الأجنبي الذي نصب نفسهُ سيداً للبلاد ومدى الانهيار الذي بلغه النظام الفرعوني ، فعند هذا الحدث ينتهي تاريخ مصر في ظل حكم الفراعنة ، لكن تاريخ مصر القديم لا يتوقف! إذ يصبح تاريخها بعدئذٍ جزءاً من تاريخ الشرق الهلينستي، وتندمج ثقافتها الأصلية بالثقافة الهلينستية ومن بعدها اللاتينية؛ لتتردد في مدى أكثر اتساعاً أصداء أفكارها القديمة ومعارفها ولتنتشر في أنحاء البحر المتوسط كله من العاصمة الجديدة (الإسكندرية).

- أصبحت الإسكندرية في العصر البطلمي نقطة التقاء وانصهار حضاري بين عالمين مختلفين، أحدهما شرقي في نظمه ومعتقداته وقيمه ونظرته للحياة بوجه عام، يضم أغلب المناطق الآسيوية والإفريقية المتاخمة للقسم الشرقي من البحر المتوسط، والآخر غربي يختلف اختلافاً كبيراً في هذه الأشياء كلها، وهو نطاق الجزر وأشباه الجزر الأوروبية التي تضم مقدونية واليونان بما فيها المدن والدويلات اليونانية الواقعة على شريط الساحل الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى، و لم تكن هذه المناطق في الحقيقة منعدمة الاتصال بعضها ببعض قبل بناء مدينة الإسكندرية البطلمية وازدهارها، ولكن لم يكن ذلك أكثر من مجرد تسرب حضاري انتقلت من خلاله بعض التفاصيل الحضارية من جهة إلى أخرى دون أن تصل إلى درجة الالتقاء الواسع الذي يقرب بين القيم الحضارية إلى الحد الذي نهضت به مدينة الإسكندرية، ومن ثم كانت عملية البناء التاريخي من منظور جغرافي ذات أهمية كبيرة للوقوف على الأسباب الحقيقة وراء ذلك.

- لم تكن مدينة الإسكندرية البطلمية، مجرد مدينة كبيرة في منطقة إستراتيجية مهمة، بل سرعان ما أصبحت أهم مراكز الإشعاع الحضاري في القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد، فقد أصبحت فتوحات الإسكندر وغزواته من أجل إقامة إمبراطوريته مجرد أحداث تاريخية تسرد، وذكريات طويت مع صفحات التاريخ، أما مدينة الإسكندرية التي خلدت اسمهُ فقد ظلت شاهداً على التمازج الحضاري بين الحضارة المصرية والحضارة اليونانية، وكانت ثمرة رائعة لذلك التزاوج الحضاري، فقد استطاعت الإسكندرية البطلمية أن تزدهر وتتحدى وتصمد، في حين اندثرت المدن الأخرى التي حملت نفس الاسم.

- لقد أضحت مصر بعد الإسكندرية مجتمعاً اختلطت فيه الأجناس وتمازجت فيه الثقافات، حكمتهُ أسرة غربية هي أسرة اللاجيديين البطالمة، وفي هذا المجتمع الذي ضم مصريين وهلينستيين، ووثنيين ظهرت علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة، تعكسها لنا آلاف الوثائق المكتوبة على البردي، وتتناول عمليات البيع والشراء والتجارة والعلاقات الشخصية.

- عُدّت فنون العصر المقدوني ومن بعده العصر البطلمي حلقة الوصل بين فنون العصر المتأخر (الأسرات من ٢٧ – ٣٠) وعصر الإمبراطورية في مصر، حيث اعتمدت فنون هذه المرحلة على الجمع بين التقاليد القديمة في الفن المصري، وفي الوقت ذاته إظهار الروح الفنية الجديدة التي ألقت

بظلالها على المجتمع؛ نظراً للاندماج مع حضارة وافدة، وهي الحضارة اليونانية، ولأن المصريين والمجتمع المصري كان مدركاً لأهمية موروثه الحضاري من أسلافه، لذلك لم تنجح الحضارة الوافدة عليه في أن تجعلهُ يتخلى عن تقاليده القديمة سواء الفنية أم الدينية، وكان القسم الجنوبي من مصر القديمة أكثر تمسكاً نوعاً ما بعاداته وتقاليده وهيئاته القديمة من الشمال؛ ذلك لأنهُ كان أبعد نسبياً عن التأثيرات الهلينستية في الشمال.

- استمر الماضي متداخلاً تترابط حلقاته وتتشابك خيوطهُ في العصر البطلمي الروماني، الذي بنيت فيه معابد كثيرة على نسق المعابد القديمة نقشت عليها كتابات مصرية هيروغليفية لتخليد ذكرى احتفالات دينية وفق التقويم المصري، وما تزال آثار هذه المعابد باقية في أدفوا ودندرة وفيلة.
- دخول عالم البحر المتوسط في مرحلة لم يعد فيها من الممكن تقرير مصير الدول محلياً، إلى أن انتهى الصراع بين العالم الهلينستي والعالم الروماني، في أكتيوم ٣٠ ق.م، التي حولت مصر من مملكة وقوة كبرى على البحر المتوسط إلى ولاية إمبراطوريةٍ رومانية.
- لقد كان سقوط النظام الفرعوني بداية لتدهور الحضارة المصرية القديمة نفسها، فبحلول أرستقراطية مقدونية الهلينية على رأس الحكم في مصر أخذت تنقطع الصلة شيئاً فشيئاً بالتراث العريق، ولم يمض وقت طويل بعدئذٍ، حتى تراجعت اللغة المصرية أمام اللغة الأجنبية اليونانية إلى أن فقد مفتاح اللغة المصرية التي بقيت لغة للمعرفة أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وأصبحت تلك اللغة بكتاباتها الهيروغليفية والهيروطيقية والديموطيقية طلاسم سحر وأسرار، بعد أن كانت مستودعاً للثقافة والتعليم عندما انقطعت الصلة بين تلك الأجيال القديمة وبين الأجيال التالية من القرن الخامس الميلادي باستخدام الحروف الإغريقية لكتابة اللغة القبطية فغابت عندئذ عن الأذهان مراحل التاريخ البعيد. وتماشياً مع ما ذكرناه، فقد نقل لنا الباحث **كويلي** (**Cowley**) ما يزعم بأنهُ نبوءة مصرية نسبت إلى الإله (تعوت)، الذي كان يعرف عند الرومان باسم (هرمس) (Hormes)(*) أكدت المخاوف التي

(*) هرمس، في الأساس هو إله إغريقي لكن الرومان قدسوه وعند الإغريق هو إله العلم وحامي الحدود والقوافل التجارية، ويرافق الأرواح في طريقها إلى هادس (العالم السفلي). وقد شبههُ الرومان بصبي يافع يلبس قبعة وله أجنحة ويحمل في يده عصا، بالخصوص انظر، هارود لامب، الإسكندر المقدوني ، تر: عبد الجبار المطلبي، محمد ناصر الصانع، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥، ص٢١.

كان ينادي بها بعض الكهنة المصريين بعد أن تدهورت العقائد الدينية وتقول تلك النبوءة : (**سيأتي زمان يتراءى فيه للمصريين كأنهم يقدمون آلهتهم عبثاً ودون طائل، ستعود آلهتهم إلى السماء وتترك مصر، ولن يبقى على هذه الأرض المقدسة بعد المعابد الطاهرة سوى المدافن والقبور ، فيا مصر لن يبقى من عباراتك سوى الأساطير التي سيتذكرها حتى أبناؤك، ولن تبقى أخيراً سوى كلمات منقوشة على الحجر، تحكي أخبار مفاخرك التقية، وأما عندما تفقد مصر آلهتهم وناسها، فلن تكون سوى صحراء قاحلة**)[1].

- يبدو أن كهنة المعابد المصرية في مدن مصر المختلفة؛ كان لهم الدور البارز في الثورات التي قامت ضد حكم البطالمة، ومع ذلك فإنهُ لا يبدو أن المصريين كافة ولا الكهنة جميعاً، وقفوا صفاً واحداً ضد البطالمة الإغريق. ومرد ذلك أساساً إلى أن الكهنة – الزعماء الروحيين للمصريين – كانوا ينقسمون إلى فرق ومدارس دينية لكل منها مذاهبها التي تعتز بها، فنشب عن ذلك خلافات واسعة، ونتج عن تلك الخلافات نتيجتان:

الأولى: هي استفحال العداء الشديد بين فرق الكهنة المختلفة وأتباع كل فريق.

الثانية: هي انقسام الكهنة على جماعتين رئيسيتين: إحداهما تناهض البطالمة مناهضة عنيفة، والأخرى تواليهم، أو على الأقل تسالمهم، مما أوعز صدور المواطنين عليهم، وحفزهم إلى الاعتداء على بيوتهم وأراضيهم ومعابدهم.

ونبوءتا (سفر الأخبار الديموطيقي وصانع الفخار)، تضربان المثل الحي للدور الرائد الذي كان الكهنة يقومون به في بث روح الثورة، والحفاظ على كراهية الأجانب، وعلى بقاء الروح الوطنية يقظة، وأنه لمن العسير تصور أن هاتين النبوءتين كانتا الوحيدتين اللتين صدرتا منذ الثورة الأولى في سنة ٢٤٥ ق.م حتى تدمير طيبة في أواخر سنة ٨٥ ق.م.وتبعاً لذلك حاول ملوك البطالمة وضع قيود على كهنة المعابد من أجل الحد من تأثيرهم في حياة المجتمع المصري ومن تلك القيود:

١ – احتفاظ الإدارة البطلمية بحق إشرافها على المعابد، بإبقاء وظيفة مراقب المعبد، بالإضافة إلى استيلاء الحكومة على معظم دخل المعابد.

(1) E.Cowley, Aramaic Papyri Of the Fifth century B. C. Oxford, 1923, 13. 14.

٢ – احتفاظ الدولة بحق بيع الكهنة للمناصب الدينية ذات الموارد الخاصة، ولكن مع بعض التعـــديلات الطفيفة، ذلك أنهُ عندما ضعف البطالمة الأواخر، بدأ الكهنة يتصرفون في هذه المناصب،كما لـــو كانت أملاكاً خاصة لهم. فنجد مثلاً بطليموس الثامن، يشير في أحد قراراته إلى أن أولئك الكهنة الذين دفعوا ثمن مناصبهم يستطيعون الاحتفاظ بها، وأنهُ لا يحق لهم إعطاء مناصـــبهم لأشـــخاص آخرين.

على الرغم من أن الحضارة المصرية تأثرت كثيراً بالحضارة الوافدة مـــن بـــلاد اليونـــان إلا أن مقومات الحضارة المصرية ظلت باقية؛ لأن أسسها قوية، ومع ذلك لم يخف التأثير الواضـــح للحـــضارة اليونانية في مجالات الحياة المصرية المختلفة؛ لذلك فإن الباحث يبين أهمية التأثيرات اليونانية الكـــبيرة في العالم القديم بأسره ويتمنى أن تتاح فرصة؛ لتسليط الضوء على تأثيرات الحضارة اليونانيـــة في منطقـــة أخرى من مناطق العالم القديم؛ لأن تلك التأثيرات تمثل مجالاً خصباً للدراسات المضنية والمهمة .

قائمة
المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- الكتب السماوية.

١- الكتاب المقدس، العهد القديم (التوراة)، سفر الملوك الثاني ، الإصحاح التاسع عشر.

ب- المصادر العربية والمعربة .

١- ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، ١٩٦٧.

٢- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ج ٧، ١٩٨٧.

٣- سترابون، وصف ليبيا ومصر ، تر. محمد المبروك الدويب، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي، ٢٠٠٣.

٤- كلاوديوس بطليموس، وصف ليبيا (قارة إفريقيا) ومصر، تر. محمد المبروك الدويب، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ٢٠٠٤.

٥- محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.

٦- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٨٢.

٧- هيرودوت، تر، عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي ، أبو ظبي، الكتاب الثاني (وصف مصر)، ٢٠٠١.

ج - المصادر الأدبية الكلاسيكية

1- Arrian, I. VII. L.C.L.

2- Caesar, De Bell Civilli, III. L.C.L.

3- Ciceron. Derexe Alex. C.A.H.IX. L.C.L.

4- Didorus siculus, XV. XXVI. XXX, L.C.L.

5- Dio Cassius, XLII. XLIV.L. L.C.L.

6- Heredotus, I, II, III, IIII. L.C.L.

7- Ibid, VI. L.C.L.

8- Justinius, XXXVIII, XVII. L.C.L.

9- Pausanias, I Description of Greece. Withan English translation by W. H. S. Jones. 9. 3. L. C. L.

10- Philon, De Vita cntemplativa. L.C.L.

11- Plutarchus, parallel lives; Antn… L.C.L.

12- Polybius , Histrories. V. XV. XXI. L.C.L.

13- Strabon Geographika. XVII. Xiii. L.C.L.

14- Thoukydides, IV, VIII.L.C.L.

ثانياً: المراجع .

آ: المراجع العربية والمعربة .

١- إبراهيم السايح، تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الآزرطية، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٩.

٢- إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، مكتبة الأنجلوا المصرية، ج١، ط٧، ١٩٩٨.

٣- ـــــــــــ، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.

٤- أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ط١، ٢٠٠٢.

٥- ـــــــــــ، الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢

٦- أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر ، سورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، د. ت.

٧- أحمد أمين سليم، سوزان عباس عبد اللطيف، في تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٨- أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج١، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.

٩- أحمد علي إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام القديم، م١، ط١، مركز الشام للطباعة، دمشق، ١٩٩٨.

١٠- أحمد علي تميرك، الآثار المصرية في العصرين اليوناني والروماني، دار الثقافة، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

١١- أحمد فخري ، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.

١٢- أحمد كمال الدين حلمي، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج١، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوى، مؤسسة جراج الصباح، الكويت، ط١، ١٩٧٩.

١٣- أرنولد توينبى، تاريخ الحضارة الهلينية، تر. رمزي جرجس، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

١٤- آمال محمد الروبى، مصر في عصر الرومان، دراسة سياسية اقتصادية-اجتماعية في ضوء الوثائق التاريخية، ٣٠ق.م-٢٤٨م، دار البيان العربي، جدة، ط٢، ١٩٨٤.

١٥- أ. هـ. بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، تر. عبد اللطيف أحمد علي، القاهرة، ١٩٦٨.

١٦- بسام العسلي، الإسكندر الكبير المقدوني، ٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م، دمشق، ط١، ١٩٨٠.

١٧- بهاء الدين إبراهيم، الشرطة والأمن الداخلي في مصر القديمة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ط١. د. ت.

١٨- بوفيل روبن هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر، الهادي بولقمة ومحمد عزيز، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨.

١٩- ج. إدجار، محمد شفيق غربال، كتاب التاريخ القديم، المطبعة الحديثة، القاهرة. د. ت.

٢٠- جان فيركوتير، مصر القديمة، تر، ماهر جويجاتي، دار الفكر ، القاهرة، ط١، ١٩٩٣

٢١- جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، دار الكتب الظاهرية الأهلية، دمشق، ١٨٧٦.

٢٢- جلانفيل داوني، أنطاكية القديمة، تر. إبراهيم نصحي، القاهرة، ١٩٦٧.

٢٣- جورج بوزتر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، تر، أمين سلامة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط١، د. ت.

٢٤- جون ولسون، الحضارة المصرية، تر. أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٥.

٢٥- جونفيف هوستون، دومنيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٥.

٢٦- جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢.

٢٧- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر- حسين كمال، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧.

٢٨- جين أفريك، تاريخ إفريقيا، حضارات إفريقيا القديمة، ١٩٨٥.

٢٩- حسن الشيخ، العصر الهلينستي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٣.

٣٠- خليل سارة، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠٦- ٢٠٠٧.

٣١- ـــــــــــ، تاريخ الوطن العربية في العصور الكلاسيكية ، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٧

٣٢- ـــــــــــ ، دراسات في تاريخ الإغريق ، مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، جامعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢.

٣٣- ـــــــــــ، دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٧ – ١٩٩٨.

٣٤- دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر، عبد المنعم محمد حسنين، مكتبة مصر،القاهرة، ١٩٥٨.

٣٥- ديلاس أوليدي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، تر، وهيب كامل، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، د.ت.

٣٦- رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع ق. م حتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ط١، ١٩٨٨.

٣٧- ـــــــــــــــــ، دراسات في تاريخ الإغريق ، وعلاقتهُ بالوطن العربي، جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢، ٢٠٠١.

٣٨- رمضان عبده علي السيد، تاريخ مصر القديم، دار نهضة الشرق، القاهرة، ج٢، ط١، ٢٠٠١.

٣٩- ـــــــــــــــــ، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيئ حملة الإسكندر ، دار نهضة الشرق، القاهرة ، ٢٠٠١.

٤٠- ـــــــــــــــــ، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، منذ فجر التاريخ حتى مجيء الاسكندر الأكبر، إيران – الأناضول، كلية الآداب، جامعة المنيا، د.ت.

٤١- سليم حسن، مصر القديمة، ج١٢، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

٤٢- _____، ج١٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.

٤٣- _____، ج١٤، الهيئة المرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

٤٤- _____، ج١٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

٤٥- _____، ج٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠٠٠.

٤٦- سليم واكيم، إيران في الحضارة، الجامعة الليبية، بنغازي، ط١، ١٩٧١.

٤٧- سليمان حزين، حضارة مصر أرض الكنانة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩١.

٤٨- سنية فراعة، وآخرون، الإسكندر الأكبر، مكتبة الصحافة الدولية، القاهرة، ١٩٥٨.

٤٩- س. سونيبرون، كهان مصر القديمة، تر. زينب الكردي، القاهرة، ٢٠٠١.

٥٠- سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الإغريق والرومان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠.

٥١- _____، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.

٥٢- _____، الإمبراطورية الرومانية، دار النهضة العربية القاهرة، ط٢، ١٩٨٦.

٥٣- سيد توفيق، سيد أحمد علي الناصري، معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي،مصر في العصور الفرعونية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠.

٥٤- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٥٥- سيف الدين الكاتب وآخرون، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٥٦- صوفي أبو طالب، مبادئ تاريخ القانون، القاهرة، ١٩٦٥.

٥٧- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، حضارة وادي النيل، دار المعلمين العالية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦.

٥٨- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩١.

٥٩- _____، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩١.

٦٠- عبد الحليم نور الدين، دراسات في تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة. د. ت

٦١- عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.

٦٢- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة، من فجر التاريخ إلى الفتح العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.

٦٣- عبد العزيز صالح وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، تاريخ مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

٦٤- عبد العزيز صالح، الأرض والفلاح في مصر الفرعونية، مجلة الجمعية التاريخية، القاهرة، ١٩٧٤.

٦٥- _____، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٣، د.ت.

٦٦- _____، حضارة مصر القديمة وآثارها، القاهرة، ج ١، ١٩٦٢.

٦٧- _____، تاريخ الشرق الأدنى القديم، (مصر والعراق)، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩.

٦٨- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، العصر الهيلادي، بيروت، ط١، ١٩٧٤.

٦٩- _____، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.

٧٠- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، القاهرة، ط١، ١٩٦٨.

٧١- عزت أندراوس ، الاحتلال وعصر البطالمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.

٧٢- عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٧٣- علي الجوهري، الإسكندر الأكبر حياته وإنتصاراته، مكتبة ابن سينا، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٢.

٧٤- علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، دار الفكر، طرابلس، ١٩٧٥.

٧٥- فادية محمد أبو بكر، دراسات في العصر الهلينستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.

٧٦- _____، منف في العصر البطلمي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٧.

٧٧- فرانسوا شامو، الإغريق، الأسطورة والتاريخ، تر، محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٠.

٧٨- فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضاراته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ ق. م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٨٠.

٧٩- ـــــــــــ، الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٩.

٨٠- فوكس وبرن، تر. رؤوف سلامة، الإسكندر الأكبر، دار المستقبل ، القاهرة، ١٩٩٨.

٨١- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار النهضة العربية، ط١، القاهرة، د. ت.

٨٢- ـــــــــــــــــ، دراسات في العصر الهلينستي، بيروت، ١٩٨٨.

٨٣- ـــــــــــــــــ، دراسات في العصر الهلينستي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨.

٨٤- ـــــــــــــــــ، مقدمة في نظم الحكم عند اليونان والرومان، مطبعة الثقافة الإسكندرية، ١٩٥٨.

٨٥- متوديوس زهيراتي، الإسكندر الكبير، فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٩.

٨٦- محمد الخطيب، الخلود في حضارة مصر القديمة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط١، ١٩٩٩.

٨٧- محمد بيومي مهران، في تاريخ العرب القديم، الرياض. ط١، ١٩٧٧.

٨٨- ـــــــــــــ، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعرفة الجامعية، ج٣، القاهرة، ١٩٨٨.

٨٩- محمد شفيق غربال، تكوين مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧.

٩٠- محمد صبحي عبد الحكيم، مدينة الإسكندرية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨.

٩١- محمد عبد الحميد بسيوني، بانوراما فرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

٩٢- محمد عبد الفتاح السيد، المصريون والبطالمة، أيديولوجية الحكم السياسي في مصر ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٩٣- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج١، ط١، دمشق، ١٩٦٩.

٩٤- محمد محفل، محمد الزين، دراسات في تاريخ الرومان، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٠ – ٢٠١١.

٩٥- محمد يحي عبد الحكيم، مدينة الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.

٩٦- محمود إبراهيم السعدني، تاريخ الحضارة الهلينستية، الرياض، ط١، ١٩٩٧.

٩٧- _____، مصر في عصر البطالمة والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.

٩٨- محمود عبد الحميد أحمد، سلسلة العلاقات السورية المصرية، عبر التاريخ، ج ١، العلاقات بين مصر وسورية منذ أقدم العصور إلى نهاية الأسرة الثامنة عشرة، مكتب الأنوار، دمشق، ١٩٨٥.

٩٩- محمود الفلك، الإسكندرية القديمة وضواحيها والجهات القريبة منها، التي اكتشفت بالحفريات وأعمال سير الغور والمسح وطرق البحث الأخرى، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٦٦.

١٠٠- محمود عبد الرزاق عوض، الحضارة في مصر الفرعونية القديمة، آل جاسر، القاهرة، ط ٢، د.ت.

١٠١- محمود فهمي عبد الباقي، محاضرات في تاريخ مصر البطلمية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٠٢- _____، تاريخ اليونان، مطبعة الغد، القاهرة، ١٩٩٩.

١٠٣- مجدي كامل، أرسطو المعلم الأول، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠١١.

١٠٤- مصطفى العبادي، العصر الهلينستي، (مكتبة الإسكندرية)، بيروت، ١٩٨٨.

١٠٥- _____، مصر من الإسكندر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٩٢.

١٠٦- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٦٦.

١٠٧- مصطفى محمود، الإسكندر الأكبر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.

١٠٨- مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين، من الإسكندر إلى بومبيوس، ٣٣٣- ٦٤ ق.م، دراسة سياسية حضارية، دار شمأل ، دمشق، ط١، ١٩٩٣.

١٠٩- _____، الآثار الكلاسيكية، جامعة دمشق، دمشق، ط ١١، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨.

١١٠- ـــــــــــــ، دراسات في تاريخ الإغريق، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٧٩ – ١٩٨٠.

١١١- ممدوح درويش مصطفى، إبراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية، اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.

١١٢- منيرة محمد الهمشري، دبلوماسية البطالمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

١١٣- ميخائيل شاروبيم بك، الكافي في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٩٧.

١١٤- ميلاد حنا، الأعمدة السابعة للشخصية المصرية، دار نهضة مصر ، القاهرة، ١٩٩٩.

١١٥- نجيب إبراهيم طراد، تاريخ الدولة المكدونية، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦.

١١٦- نور الدين آل علي، جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، المركز الثقافي الإيراني، القاهرة، ١٩٧٨.

١١٧- نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، تر. ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣.

١١٨- هـ . د. كيتو ، الإغريق، تر، عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢

١١٩- هـ. إيدرس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، تر، عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

١٢٠- هارفي بورتر، مختصر التاريخ القديم، تر. محمد رفعت، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١.

١٢١- هارود لامب، الإسكندر المقدوني، تر. عبد الجبار المطلبي، ومحمد ناصر الصانع، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥.

١٢٢- هالة حامد السطيحة، تاريخ وحضارة مصر تحت حكم البطالمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٢٣- و.و. تارن، الحضارة الهلينستية، تر. زكي علي، القاهرة ، ١٩٦٦.

١٢٤- ـــــــــــ، الإسكندر الأكبر، تر. زكي علي، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٣.

١٢٥- ول ديورانت، قصة الحضارة ، م٤، ج٨، حياة اليونان، تر. محمد بدران، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١.

١٢٦- ولتر إمرى، مصر وبلاد النوبة، تر، تحفة هندوسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٧٠.

ب – المراجع الأجنبية.

1- A. B. Lioyd, Nationalist. Propaganda in Ptol-Egypt, Historia, 1980.

2- A. Bouche, Lectereq, Histoire des Lagides, 1 Vols. Paris. 1907.

3- A.E, Haigh, The Tragic drama f the Greeks, Dover publications, New yrk, 1968.

4- A.K. Bowman, Egypt after pharaohs, London, 1986.

5- A. K. Bowman, Egypt after the pharans, 332.B.C.642.Frm Al-exander t the Arab Conquest, London. 1986.

6- A.R. Burn , The pelican History of Greece, England. 1965.

7- B.Haussoullier, Rev. his. Du. Drit Francis et etranger, 1923.

8- Bragsch, thesaurus. 1927.

9- C.F,Samuel. A.E. Ptlemac Chronology.

10- Catal, des Monum, et Inscrip, de l'egypte Antique.

11- Daressy, Notice explictive desruines dutemple de luxr. 1896.

12- Daressy. Rec, Trave, X, 1888.

13- Doress Y Rec, Trave, XIV, 1892.

14- E. Bevan. Ahistory of Egyptye under the ptolemic Dynasty, London, 1927.

15- E. Noshy, Arts in Ptolemaic Egypt, Oxford, 1937.

16- E. Bikenman, Chronique d'Egypte , XXIX. 1940.

17- E. Cowley, Aramaic papyri of the fifth centure B.C. Oxfrd , 1923.

18- E.V. Breccia, Terracotte Figurate Greche e Greco –Egizied Museodi Alessandria, Monuments de l'Egypte Greco-Romane II, 1930.

19- F. Cumont. L, Egypte des Astee Lagues. Bruxelles. 1 Vols. Paris 1907.

20- F.M. Snowder. Londn, 1976.

21- F.Petrie, in Ancient Egypt. Vl I, Londn, 1923.

22- Fraser. Ptolemaic Alexandria. 3 Vols. Oxford. 1917.

23- F. W.Walbank, jurnal of Egyption Archaelogy XXII, 1936.

24- Gauthier et Sottas, Decret IV.

25- G.Evans, As Essay on assyriens, Edinburgh, 1883.

26- G.Gioiz, Ancient Grece At work, Ednpurg. 1978.

27- G.H. Harper, Menches Komgramm ateus of Kerkeosiris Aegyptus XIV. 1934.

28- G.Le Fevre, Le dernier decret des lagides Melanges Holleaus, 1913.

29- G.Radet, Alexander Le Grand, Artisan dulvre, paris. 1946.

30- H. Baldrey, The Greak Tragic Theatre, Chatto, Windus, London , 1978.

31- H.Gauthier, et H. Sottas. Un decret trilinggue en l'honneur de ptol. IV. Le Caire. 1932.

32- J.B.bury, History of Greece, New York, 1963.

33- J.E.A. Beffand skeat, XXI.

34- J.H.Breasted. A.Histrx of Egypt, New York. 1946.

35- J. P. Hanaffy. The Empire of the ptolemies, London, 1895.

36- _____, History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty. London. 1917.

37- J.Whiteborne. Cleopatras, London and New York. 1994.

38- J.Yoyatte, Histoire universelle. I, London, 1956.

39- K. Sethe. Die historische Bedeututung des 2 phila – Dckrets aus der zeit des ptolemaios Epiphanes zeit – Ag – Sp. 53. 1917.

40- L.Preaux, Econmie Royal Des Lagides, Bruxelles. 1939.

41- Mahaffy, Greek life and thought,

42- _____, The Empire of the ptolemies.

43- M. Rostovtzeff, Social and Ecnomic history of The Hellenstico Worlds, 3 Vols, oxford, 1941.

44- Noshy. Preludes of Eg. Revolutions against ptols. And Greeks. Proceedings XIX pap. Congress. Vol. II. 1992.

45- P.Jouguel, le Egypte ptolemaique-dans Hist de la nation Eg.World. 1930.

46- P.Kos chaker, Zeits, sav, Stiffung, Rom, Abt, Xlvi.

47- R.BoGAert, Lestatut es banques en Egypt ptolemaique, l'antique classique , 1981.

48- R. Taubensnblag, The law of Grec-Rman Egypt in the light of the papyri, 1955.

49- Rpmanelli, Pietrola cirenaice Rmana, Centrp Italiano di studi Mediterraner, A. Airol di-Editore. 1943.

50- Rstovtezeff. Social and Ecnomic History of the Hellenistic world, oxfrd, 1941.

51- S. Davis, Race – relations in ancint Egypt, Landon,1951.

52- Strack, Die dynastic der ptolemaer, Berlin, 1897.

53- S. Reinch, Repertoire de la statuaire Grecque et Romanine, Tome II. VolII, Paris, 1998.

54- Sethe Hierog, Urk, der Griech-Rom, Zeit. 1916.

55- T.C. Skeat, The Reigns of the ptolemies, 1954.

56- T.Harld, Alexandria the golden city. Illinis . paris, 1957.

57- Taton, Histore generale des science, I, P.U.F, Paris. 1973.

58- Tau benschlag, The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the papyri, 1955.

59- V.Wilken. Alexandre le Grand, Payot, Paris, 1988.

60- W. Smith, Dichtionary of Greek and Roman biographr and my. Theology, London. 1846.

61- W.W. Tarn , Hellenistic civllsaion (Revised By the authr an G.T. Griffith) U.S.A. 1974.

62- W.W. Tarn, Hellenistic civllization 1952.

63- Westermann, Land revlemation in faym under ptolemies philadelphus and Eurgetes I, Classical Philolgy XII, 1917.

64- _____, The development of the irrigation system of Egypt. Classical philology. XIV. 1919.

65- _____, The Ptolemius and the welfare of subjects, XIII, 1983.

66- W. Spiegelberg, D. Sogenente demote Kronik, Leipzig, 1914.

67- W. Smith, Dictionary of Greek and Roman, Biography and Theology, London, 1946.

68- W. Peremns, Ptolemee II Philadelphe et les Indigenes egyptiend, 1933.

69- Zaki Ali, Naukratis, Etudes de Papyrologie, VII, 1946.

ثالثاً : الدوريات والمجلات.

١- أحمد فخري، واحات مصر، م١، واحة سيوة، بالإنجليزية، تر. جاب الله علي جاب الله، سلسلة الثقافة الأثرية التاريية، العدد ٢٠، ١٩٩٣.

٢- أسامة عبد الرحمن النور، كوش-النوبة، إشكالية التسمية، أركماني، مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية، العدد الأول، ٢٠٠١.

٣- علي عبد الوهاب شاهين، ملاحظات علي جيومورفولوجية المنطقة الشرقية من إقليم مريوط، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ١٩، ١٩٦٥.

٤- اللجنة العلمية الدولية لتحديد تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو)، حضارات أفريقيا القديمة، تاريخ أفريقيا العام، م٢، ١٩٨٥.

٥- محمد علي عيسى، اسم ليبيا ودلالته وظهور الليبيين القدماء على مسرح التاريخ، مجلة تراث الشعب، العدد١، ٢، ١٩٩٩.

٦- ــــــــــــــ، الجذور التاريية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية ، العدد ٥، ٢٠٠٠.

٧- ــــــــــــــ ، الليبيون القدماء في المصادر التاريية القديمة، مجلة تراث الشعب، العدد١، ٢٠٠٢.

٨- محمود إبراهيم السعدني، دور الجمنازيوم في مصر اليونانية- الرومانية، بحث قدم في مؤتمر تطور علوم الرياضة والتربية الرياضية، المنعقد في كلية التربية الرياضية، جامعة المنيا، ٢٤-٢٦مارس ، ١٩٨٧.

٩- ــــــــــــــ، دراسة تفصيلية عن تصور العلاقات بين المملكتين المقدونيتين الجارتين السلوقية في سورية والبطلمية في مصر، مجلة الدراسات الأثرية، العدد الثاني، ١٩٩٩.

رابعاً : الرسائل الجامعية .

١- محمد حسن محمد باشا، أصل المجموعة ج النوبية، جامعة السوربون I، باريس، ١٩٨٤، (رسالة دكتوراه غير منشورة).

٢- محمد حمدي إبراهيم، التعليم في مصر اليونانية الرومانية، أثينا، ١٩٧٢، (رسالة دكتوراه غير منشورة).

٣- محمد عبد القادر راشد، مدينة الاسكندرية البطلمية وإقليمها دراسة في الجغرافيا التاريخية، جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٠، (رسالة ماجستير غير منشورة).

خامساً : مواقع الويب .

1- Http://www.alltalaba.cm/board/index.php?shwtpic.

2- Http://www.Egypt.com/vb/archive/index.php.

3-Http://ar.wikpedia.org/wiki.

4-Http://www.4eqt.net/show4827.html.

5 - Http://www.google.org.

6 - Http://www.arkamani.org.